

مشاهداتي في بلاد الهند

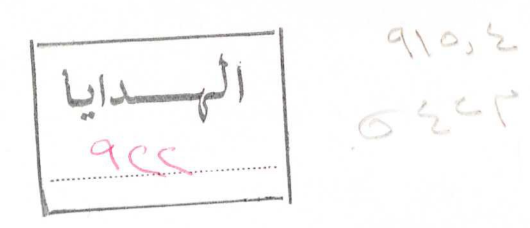
الهادي ابراهيم المشرقي

IN INDIA

By

HADI B. MISCERGHI

Poligrafico Libico
Tripoli - Libya
1967



مشاهداتي في بلاد الهند

الهادي ابراهيم المشيرقي



طبع بالمطبعة الليبية
طرابلس ليبيا
١٩٦٧



الاهـــداء

حسن أبو يوسف الكويتي

الى روح الخل الوفى المرحوم الاستاذ **احمد راسم باكير** الذى جاهد وكافح فى صمت وتواضع من أجل اعلاء كلمة الحق وصال وجال من أعلى المنابر مرشدا ومدافعا من أجل حرية الشعوب ، وموجها الامة جميعها للسير قدما فى طريق النهضة والتضحية من أجل العروبة والاسلام .

الى الأخ العزيز الشعلة المتقدة نورا ونارا الذى أفتقدته الى الابد وافتقدته معى الكلمة الهادفة من أجل الحرية والعدالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ، أما بعد ،

فانه يسعدنى أن أقدم الى القراء الكرام هذا السفر الثمين (مشاهداتى فى بلاد الهند) الذى وضعه الاديب الرحالة ، الآستاذ الهادى ابراهيم المشيرقى ، من كرام العاملين المخلصين فى المملكة الليبية ، ويتحدث فيه عن مشاهداته فى بلاد الهند .

وقد تفضل الأستاذ المشيرقى فقدم هذا الكتاب لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وخصها بثمنه ، مساهمة منه فى خدمة قضية فسلطين ، قضية العروبة والاسلام .

وان منظمة التحرير الفلسطينية لتستبشر خيرا بتقديم هذا الكتاب اليها ، فقد سبق للأستاذ المشيرقى أن وضع كتابه (ليبى فى اليابان) وقدمه لجبهة التحرير الجزائرية فى مرحلة كفاحها لنيل حريتها واستقلالها ، وكما حقق الله للجزائر حريتها واستقلالها بفضل جهاد أبنائها ، ومؤازرة اخوانهم الوطنيين من أبناء العروبة والاسلام أمثال الأستاذ المشيرقى ، فأننا واثقون من أن الله سيحقق لفلسطين تحرير ما اغتصب منها ، واسترداد ما سلب من حقوق شعبها ، بفضل جهاد أبنائها ، وجهاد اخوانهم أبناء العروبة والاسلام الذين يعتبرون قضية فلسطين ، قضيتهم الأولى ، ويعتقدون أن ازالة ذلك الكيان الصهيونى الغريب ، الذى اقامه الاستعمار فيها باسم (اسرائيل) واجب مقدس عليهم .

يتحدث الأستاذ المشيرقى فى جملة ما يتحدث عنه فى كتابه هذا عن دخول الاسلام الى بلاد الهند ، وقد سبق له أن تحدث بمثل هذا الحديث عن دخول الاسلام الى بلاد اليابان فى كتابه (اليابان ـ بلد السحر والجمال) وان هذا الحديث الشيق ليعيد الى قلوبنا وأبصارنا تلك الصورة الرائعة لأمتنا الواحدة فى وطنها الواحد يوم حملت رسالة الاسلام فى المشرق والمغرب ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، واننا لنتطلع بثقة ويقين ، الى يوم قريب باذن الله ، تعود فيه أمتنا سيرتها الأولى .

انه لمن المؤلم أن يتمكن الاستعمار والصهيونية فى هذا الزمن من اخراج الاسلام والمسلمين من بقعة عزيزة عليهم ، مقدسة لديهم فى فلسطين ، وان تكون أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، مهددة بالخطر الاستعمارى الصهيونى ، بينما يحدثنا الأستاذ المشيرقى فى كتابه عن تلك البطولات الاسلامية التى فتحت الدنيا واهتدى بهديها العالم منذ قرون ، ولعل فى هذ الحديث ما يعيد الثقة الى النفوس ، فينطلق المسلمون كرة أخرى ليطهروا وطنهم من رجس الصهيونية والاستعمار .

ان منظمة التحرير الفلسطينية لتشكر للأستاذ المشيرقى عاطفته النبيله باهداء كتابه هذا اليها ، وهو بذلك يضرب مثلا على ما يكنه أبناء المملكة الليبية المجاهدون من عاطفة صادقة نحو فلسطين ، وسنلتقى واياهم مع اخواننا أبناء العروبة والاسلام ، فى بطاح فلسطين المقدسة ، مجاهدين فى سبيل تحريرها باذن الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، الا أن نصر الله قريب .

أحمد الشقيرى

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

طرابلس فى ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٦٧

لم يكد يمر وقت على طبع كتابي الاول (ليبي في اليابان) حتى صبت نفسي الى طبع كتاب آخر وها انادا اليوم اتقدم بهذه المشاهدات التي رايت ان اجمعها واطبعها ويطلع عليها من فاتته فرصة زيارة الهند من ابناء الضاد

فيلم باحوال امة عظيمة في التاريخ لعبت دورا وابرزت للوجود عظماء من امثال غاندي ومحمد على جناح ونهرو ، وبذلك تتم الفائدة واشعر من صميم فؤادي باني قد قمت بالتعبير عما يكنه ضميري من محبة وحنين لتلك البلادالعظيمة مهديا لقطاني من تلك المشاهدات التي اعتبرها ذكريات ايام طوال قضيتها في ربوع الهند الحبيب الذي يسكنه الشعب الوديع المسالم الذي بث فيه الزعيم المثالي غاندي العظيم روح الاخاء والوفاء والتسامح والاخلاص ، الهند الذي يكفي ان يقال عنها انها انجبت هذا الرجل العظيم الذي عاش للسلم ومات من اجله ،

سيدي القاريء: لعلك لا تجد في هذا الكتاب شيئا مغريا أو أسلوبا جذابا يجعلك تقبل على مطالعته بشوق فارجو المعذرة اذ ان كتابي هذا لا يشتمل على قصة خيالية ولا هو بالبحث العلمي المستفيض ولكنه مجرد استعراض يشبه الشريط السينمائي ولكن بدون «ماكياج» جمعت فيه اجمل مشاهداتي في بلاد الهند ونقلت فيه ما سمعت وما رأيت آملا ان اكون قد وفقت في ذلك ٠ ان ذكريات مشاهداتي في الهند لم تدون في المذكرات بل انها اختارت ان يكون القلب لها مقرا مدى الدهر ومهما كان الوصف فاني في الواقع اشعر بان ذلك لا يفي تلك الربوع حقها نظرا لما اكنه لها من عميق الحب ولارتباط هذا البلد العجيب الساحر بروابط من حياتي ولا ابالغ اذا قلت ان رحلتي الى بلاد الهند هي الدافع الاساسي المشجع لي على مواصلة الرحلات لدرجة انى لم اعد اطيق المكوث في بلاد ما ، فتجدني كلما انتهيت من رحلة اسرع في التخطيط والاستعداد لغيرها وفقا لبرامج تعد خصيصا قبل ذلك بوقت كاف فقد قمت حتى اليوم بزيارة : ايطاليا والنمسا والمانيا وسويسرا وبلجيكا وهولاندا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وبريطانيا ومالطا والولايات المتحدة وجزر كرايبي ، وهايتي وسان دومينيكو ، وسان جوان (ترنداد) انتيقوا وبورت أسبان وفينزويلا والبرازيل والارجنتين والمغرب وتونس ومصر والسودان والحبشة وكينيا وتنجانيقا واوغاندا والكونغو وتشاد والكمرون ونيجيريا وغانا والسنغال ولبنان وفلسطين والاردن والحجاز وسوريا والعراق وتركيا وايران والباكستان والهند وسيلان واندونيسيا حتى جزيرة بالي والملايو وتيلاند وهونغ كونغ والصين الشعبية حتى وصلت السور المشهور واليابان حتى هيروشيما ويوغسلافيا والاتحاد السوفييتي حتى سيبريا وجزر الهاواي والتيوتان وزنجبار والصومال ومدغشكر ، وقد تجولت في داخل اغلب هذه الاقطار كما تكررت زياراتي لكثير منها عملا بالقول المأثور سافر ففي الاسفار خمس فوائد ، وفي الحقيقة ففي الاسفار فوائد جمة لا حصر لها ولا حد فالرحالة دائرة معارف والسفر لذة ومتعة وهو راحة وفرجة وترفيه رغم ما قيل عنه من انه مشقة وقطعة من العذاب فمرحبا بالتعب في سبيل المعرفة وسعة الافق والعلم باحوال وامور العالم والامم ٠

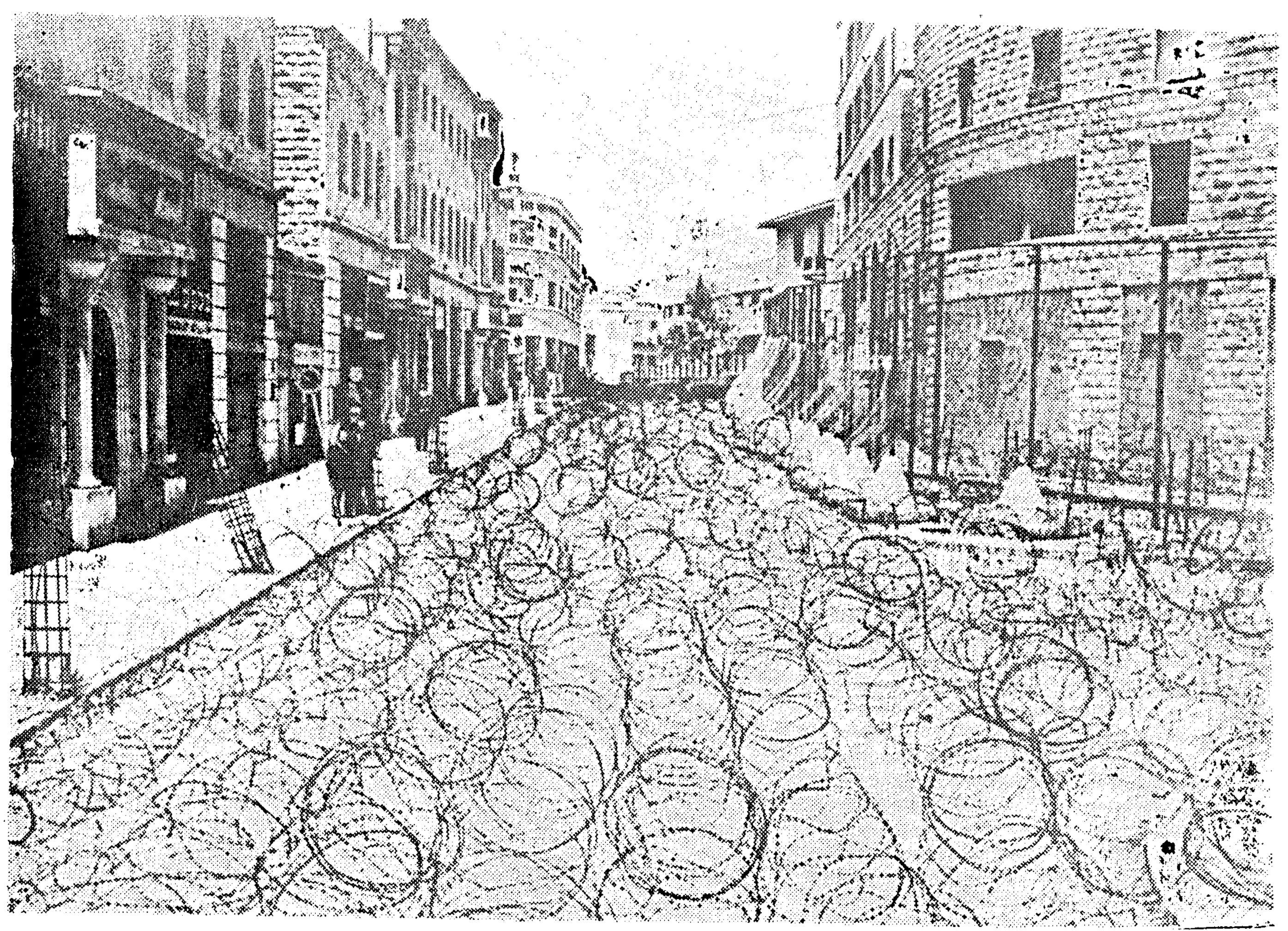
ومن خلال رحلاتي علقت انطباعاتي عن الهند بذهني واصبحت شغلي الشاغل حتى افرغتها في هذا الكتاب المتواضع الذي اقدمه اليوم للقراء علهم يجدون فيه ضالتهم المنشودة ٠ فان وفقت فتلك هي بغيتي وان لم يحالفني الحظ في نيل رضا القاريء فتلك لم تكن امنيتي — حفظ الله الهند وجاراتها وسهل السفر للقاريء

الهادي ابراهيم المشيرقي

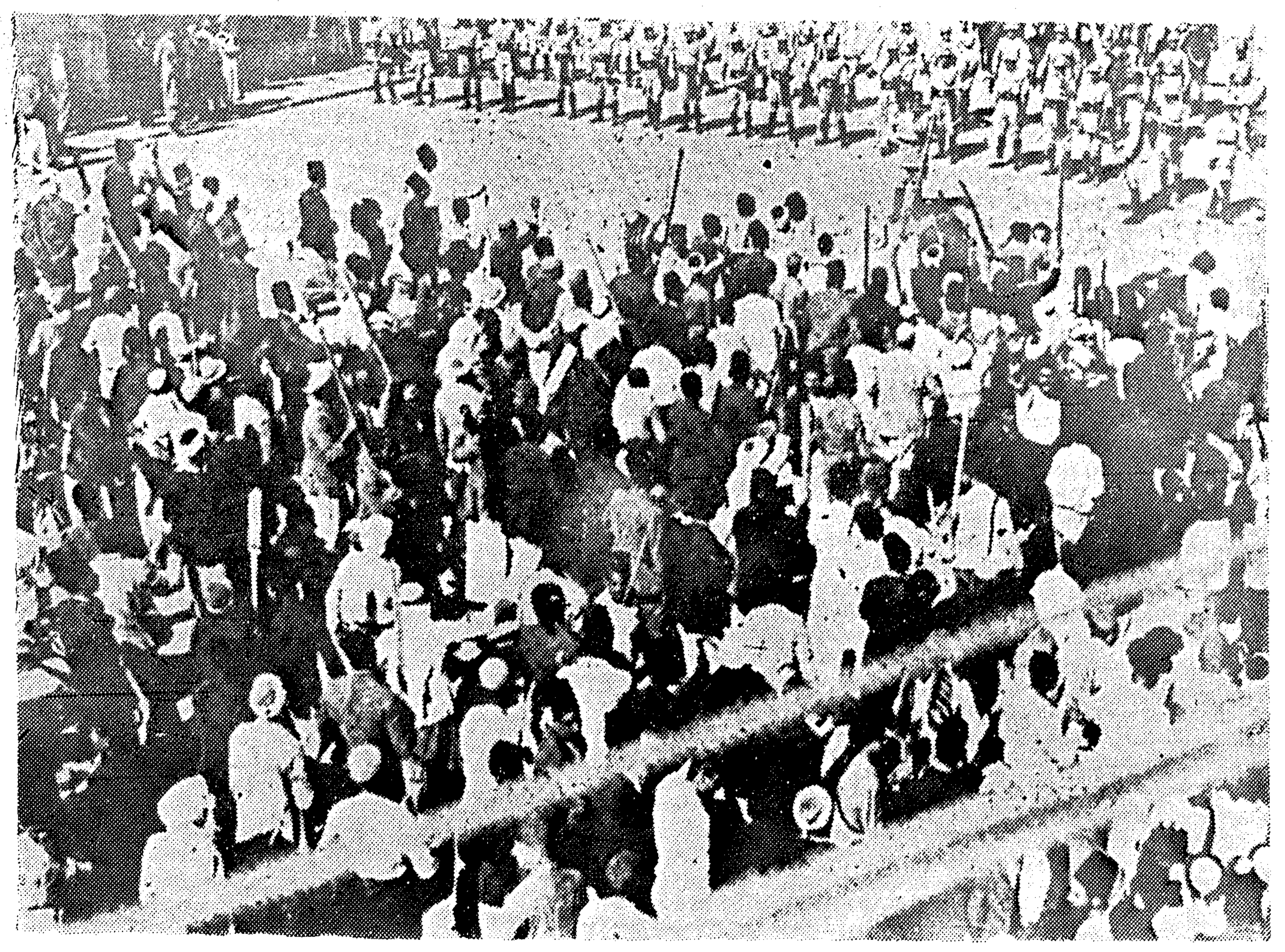
ان قيام منظمة التحرير الفلسطينية وليد الارادة الفلسطينية العنيدة وان ارادة الشعب الفلسطيني أقوى من جميع المؤامرات التي تحاك ضده لتصفية قضيته ، قضية العرب الاولى «قضية فلسطين» ، وقد ظهر في الصورة السيد احمد الشقيري ، رئيس المنظمة ، والسيد اللواء وجيه المدني ، القائد العام لجيش التحرير يستعرضان احدى كتائب الجيش اثناء قيامها بتدريباتها العسكرية .

لقد قدم الشعب الفلسطيني خلال فترة الانتداب البريطاني البغيض، قوافل من الشهداء الذين سقطوا صرعى على مذبح الحرية والفداء من أجل الدفاع عن فلسطين وعن عروبة فلسطين ، وليس سكران محمد سكران الا أحد ابطال ابناء فلسطين البررة ، الذين اشهروا سيوفهم في وجه العدو دفاعا عن هذا المبدأ السامي واستردادا للفردوس السليب .





الاسلاك الشائكة كانت احدى الوسائل التى كان الانجليز يستعملها فى جميع أنحـاء فلسطين حماية للصهيونين ودفاعا عنهم من غضبة الشعب الفلسطينى وثورته العارمة التى اسـتمرت مدة ثلاثين عاما ضـد الاستعمـار .
ويرى فى الصورة مشهد من ذلك فى احدى شوارع القدس الرئيسية



شعب اعزل قاوم بكل الوسائل والسبل بريطانيا العظمى لمدة ثلاثين عاما دفاعا عن وطنه ، كان سلاحه الايمان وهدفه الدفاع عن الامة العربية جمعاء · ويرى فى الصورة احدى المظاهرات التى قام بها الشعب الفلسطينى الاعزل ضد المستعمر الغاصب من اجل هذا الهدف الكبير ·



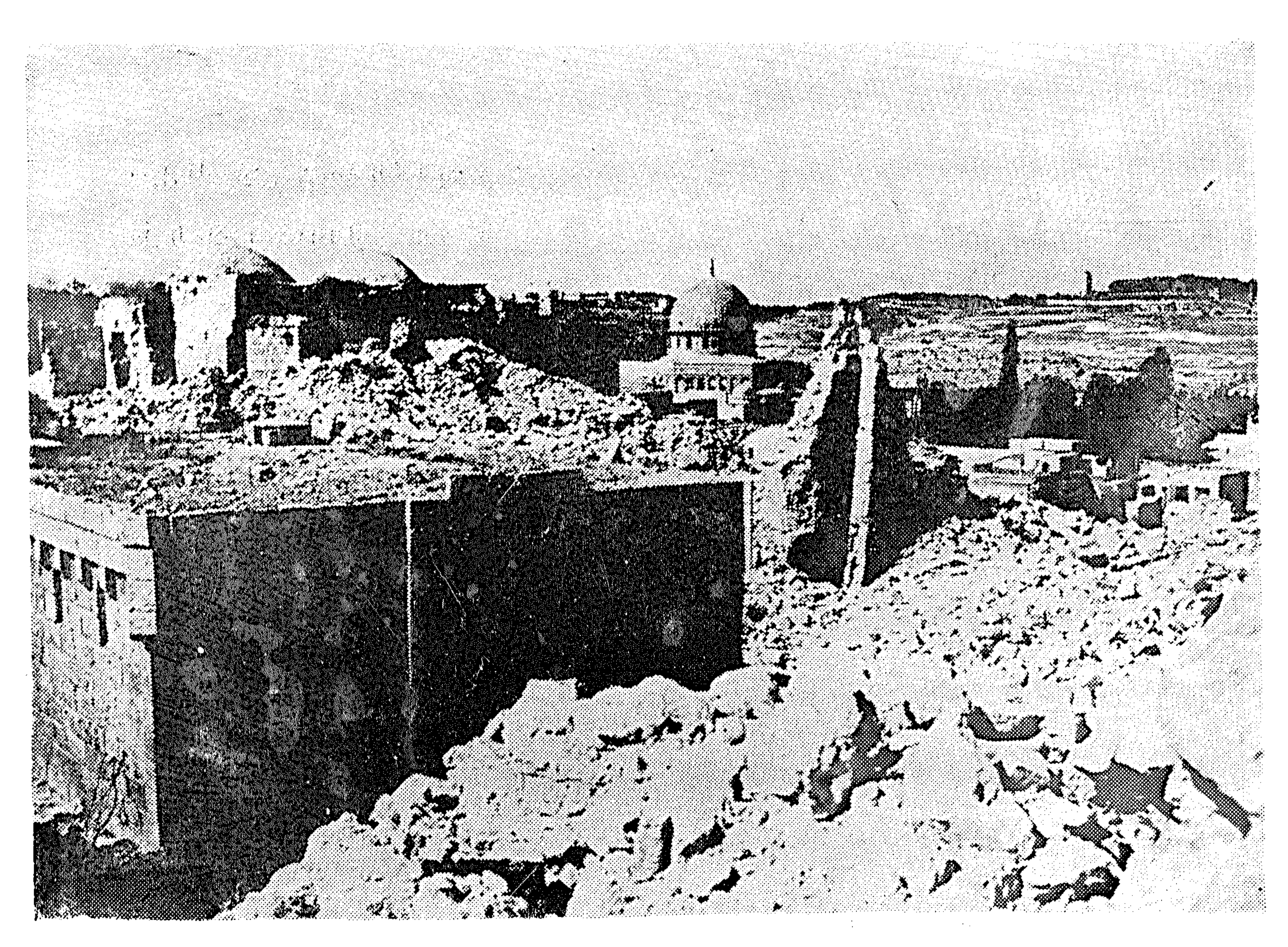
لم يترك الاستعمار البريطاني وسيلة الا واستعملها ضد الشعب العربى الفلسطينى وقد كان القتل والسجن والاذلال والتعذيب وسيلة من وسائله الوحشية لاقامة دويلة العصابات الصهيونية فى الجزء المغتصب من وطننا الغالى السليب



فريق من المجـــاهدين الفلسطينيين العرب الذين هبوا للدفـاع عن حقهـم المشروع اثر قرار التقسيم عام١٩٤٧ بقيادة البطل الفلسطينى عبد القادر الحسينى الذى خاض معـارك عديـدة وانتصـر فيهـا كان آخرهـا معركـة القسطل ، المعركة الغير متكافئة التى اشترك فيها الانجليز مع اليهود ضـد المجاهدين العرب



لم يكن الجهاد فى فلسطين خلال مدة الانتداب البريطانى البغيض مقصوراعلى الرجال ، فقد شاركت المرأة الفلسطينية اخاها فى النضال جنباالى جنب ٠



قبة مسجد الصخرة المشرفة فى المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفيـن تهيب بالعـالمين العـربى والاسلامى ان يهبوا هبة رجل واحد للدفاع عن اقدس بقعة بارك الله حولها.
اخذت هذه الصورة سنة ١٩٤٨ بعدما وجه الصهاينة مدا فعهم على قبة الصخرة الشريفة

شبل فلسطينى من أبناء النكبة يتدرب
على السلاح استعدادا ليـوم النضــال
والكفاح ، يوم تحرير الجزء المغتصب
من الوطن الغالى السليب ٠



لقد قــام جيش التحــرير الفلسطينى بــارادة الشعب الفلسطينى ، وليس جيش التحرير بالجيش التقليدى بل هو الطليعة الفدائية لتحرير ارضنا الطيبة ، هو الجيش الفدائى الذى لن يرتاح ولن يستقر له قرار حتى يتم له النصر والتحرير والعودة .



ملامح الثأر ترتسم على وجوه أبناء النكبة الذين آلوا على أنفسهم أن يقدموا أرواحهم رخيصة فى سبيل تحرير بلادهم .

ويرى هنا بعض جنود جيش التحرير الأبطال أثناء قيامهم بتدريباتهم اليوميـة على المدفعية الثقيلة .

مشاهداتي في بلاد الهند

ليست هذه مشاهدات فحسب ، وانما هى مشاهدات ومسموعات، فكما عنيت بوصف ما شاهدته ، عنيت كذلك بنقل ما سمعته من المترجمين والادلاء وحاولت في ذلك ان احافظ على امانة النقل لما سمعت ، لان الامانة واجب ، ولان امانة النقل تحفظ الراوى مما قد يوجد فى المروى من مخالفة للحقائق .

تعددت وسائل النقل التى استعملناها فى قطع المسافات فى دواخل الهند وقطعنا مسافة عشرة آلاف وخمسمائة كيلومترا (١٠٥٠٠ ك م)

الهند والهنود

تفيد كتب الجغرافيا بان الهند بلاد مترامية الاطراف مساحتها كمساحة اوربا ويسكنها سدس سكان العالم أجمع ، وتفيد كتب التاريخ بانها بلاد عريقة فى القدم ، توالت فيها حضارات وحروب ومدنيات منذ اقدم العصور أول من وصلها بحرا من الاوروبيين هو (فاسكادى جاما) البرتغالى فى ٢٠ مايو ١٤٩٨ وكان نزوله فى كالكوتا . ثم وصلها الهولانديون سنة ١٥١٥ م ثم الانجليز سنة (١٦٠٠ م) والفرنسيون سنة (سنة ١٧٠٠ م) وجميعهم ذهبوا اليها قصد التجارة وكان قد سبق هؤلاء الى دخول الهند المسلمون الذين دخلوها فى عهد الدولة الاموية سنة ٩١ هـ و ٧١٣ م تحت قيادة البطل الشاب محمد بن القاسم الثقفى ابن اخ الحجاج ابن يوسف ابان خلافة الوليد بن عبد الملك الاموى .

وفى سنة ١٧٦٣ م اجتمعت كل من دول البرتغال وهولاندا وفرنسا وانجلترا وتقرر عندئذ التخلى عن الهند لانجلترا بموجب معاهدات تمت بين تلك الدول .

والهنود يبلغ تعدادهم حوالى ٣٦١ مليون نسمة (١) يجمعهم كونهم هنودا ولكنهم يختلفون فى الاصل والدين واللغة اذ يوجد من تباين الاجناس والديانات واللغات واللهجات فى الهند ما لا يوجد فى كل العالم .

مؤتمر اصحاب الفنادق

كان السبب المباشر للقيام بتلك الرحلة المتعة الى الهند هو انعقاد مؤتمر سياحى عالمى لاصحاب الفنادق بدلهى فى شهرفبراير ١٩٥٥م. كان مؤتمرا كبيرا أهتمت به الحكومة الهندية وجمعية اصحاب الفنادق ايما اهتمام وكان رئيس الشرف وكيل رئيس الجمهورية سعادة راد حقى شان .

جمعتنا الطائرة الخاصة التى اقلتنا الى الهند من لندن عبر باريس وروما والقاهرة وبعد تناول العشاء فى مطار القاهرة استانفنا السفر الى دلهى ووصلنا صباحا

استقبلنافىالمطار بدلهىالجديدة استقبالا رائعاملؤهالحفاوة والترحيب والزهور ، فقد قلد كل منا عقدا من الزهور الزكية الرائحة ، وما ألطفها من عادة فى الاستقبال !

ثم تفرقنا الى جماعات كل جماعة ذهبت الى الفندق المخصص لها .

وفى يوم الافتتاح تكلم رئيس جمعية أصحاب الفنادق بالهند ووزير المواصلات ووكيل رئيس الجمهورية ورئيس الجمعية العالمية بباريس والسكرتير العام .

(١) كان هذا احصاء سنة ١٩٥٥ عندما زرت الهند

ولعل القـــراء لا يهمهم من امر المؤتمر شيء فلا لزوم للتعرض اليه ولكن على سبيل التفكه اقول : رفعت جميع اعلام الاقطار المشتركة فى المؤتمر ولولا الحظ لما خفق علم بلادنا بينها ولما عرفته الهند ، اذ لولا العلم الليبى الذى حملته معى من طرابلس لما تمكنت من الحصول على علم هناك ، ولما تمكن المسئولون عن المؤتمر من اعداد العلم فى الوقت المناسب لان التعريف ببلادنا والدعاية لها لم يتوفرا ، ولان السفارة العراقية المكلفة



اعضاء المؤتمر عند وصولهم لمطار دلهى

بامورنا هناك ليس لديها اعلام بلادنا ٠
وكان من الطبيعى ان أزور السفارة التى تمثلنا خاصة وقد كانت السفارات الاخرى للبلدان الممثلة تدعوا ممثلى بلادها الى دعوات خاصة ، قمت بتلك الزيارة مع رفيقين هما السيد الطيب سليم مدير مكتب تونس للنضال بالهند والسيد حسن آية احمد ،من اعضاء هيئة التحرير الجزائرية ٠ وهذان الرجلان المغتربان يستحقان كل تقدير واحترام لما يقومان به ولما يلاقيانه فى تلك الغربة .

استقبلنا القائم باعمال السفارة بكل ترحاب وحفاوة واثناء حديثى معه سالته عن سبب عدم احتفاظ السفارة بعلم ليبى ، فاجاب بانه لم يكن قد كلف بذلك ٠ كما علمت منه بان السفارة لم تكن لديها أى استمارات أو أختام خاصة بليبيا ، وبأنها كانت لا تمنح تاشيرة الدخول الى ليبيا الا بعد الاتصال بوزارة الخارجية العراقية ، واتصال هذه بالمفوضية العراقية بطرابلس ، واتصال الاخيرة بالحكومة الليبية وبالعكس ، فاذا وصل الاذن أخيرا فقد يكون المسافر قد عدل عن دخول ليبيا أو قد يضطر الى تجديد الاجراءات والتاشيرات والشهادات السابقة (اذ لم يزل على قيد الحياة) تأسفت كثيرا لذلك ، فليس من تشجيع السياحة تعسير الاجراءات ٠ فسألته عن لون العلم الليبى فلم يعرف عنه شيئا كما انه يجهل نوع الحكم عندنا ويجهل اننا دولة ملكية ٠

العاصمة

جمعت دلهى الكثير من الاجناس اختلفت مشاربهم وتعددت دياناتهم ، كما تنوعت ابنيتها وصناعاتها واختلط قديمها بحديثها ٠ فللعاصمة الهندية تاريخ قديم كما لاثينا وروما مرت بها عصور ذهبية ، وتعرضت لانهزامات وانتصارات ومحن ٠

من آثارها منارة قطب الدين وقوس علاء الدين وعمود (درافا)وجمعه مسجد والقلعة الحمراء ومرصد (صوان جى سنغ) ٠

هذا بعض من الاثار القديمة فيها ، ومن معالمها قبر غاندى ومعبد (بيرله سندير) ٠

منارة قطب الدين :

تخليدا للانتصارات التى احرزتها الجيوش الاسلامية عند دخولها هذه البلاد بقيادة قطب الدين ، قائد الحملة فى عهد محمد غور ، شيدت منارة قطب الدين سنة ١١٩٩ ، وهى تبعد عن دلهى مسافة ثمانية عشر كيلومترا ، ويبلغ ارتفاعها ٧٤ مترا ، ولذلك فهى اعلى برج حجرى فى الهند ، وفى سنة ١٣٧٠ رممها فيروز شاه توغلوق ٠

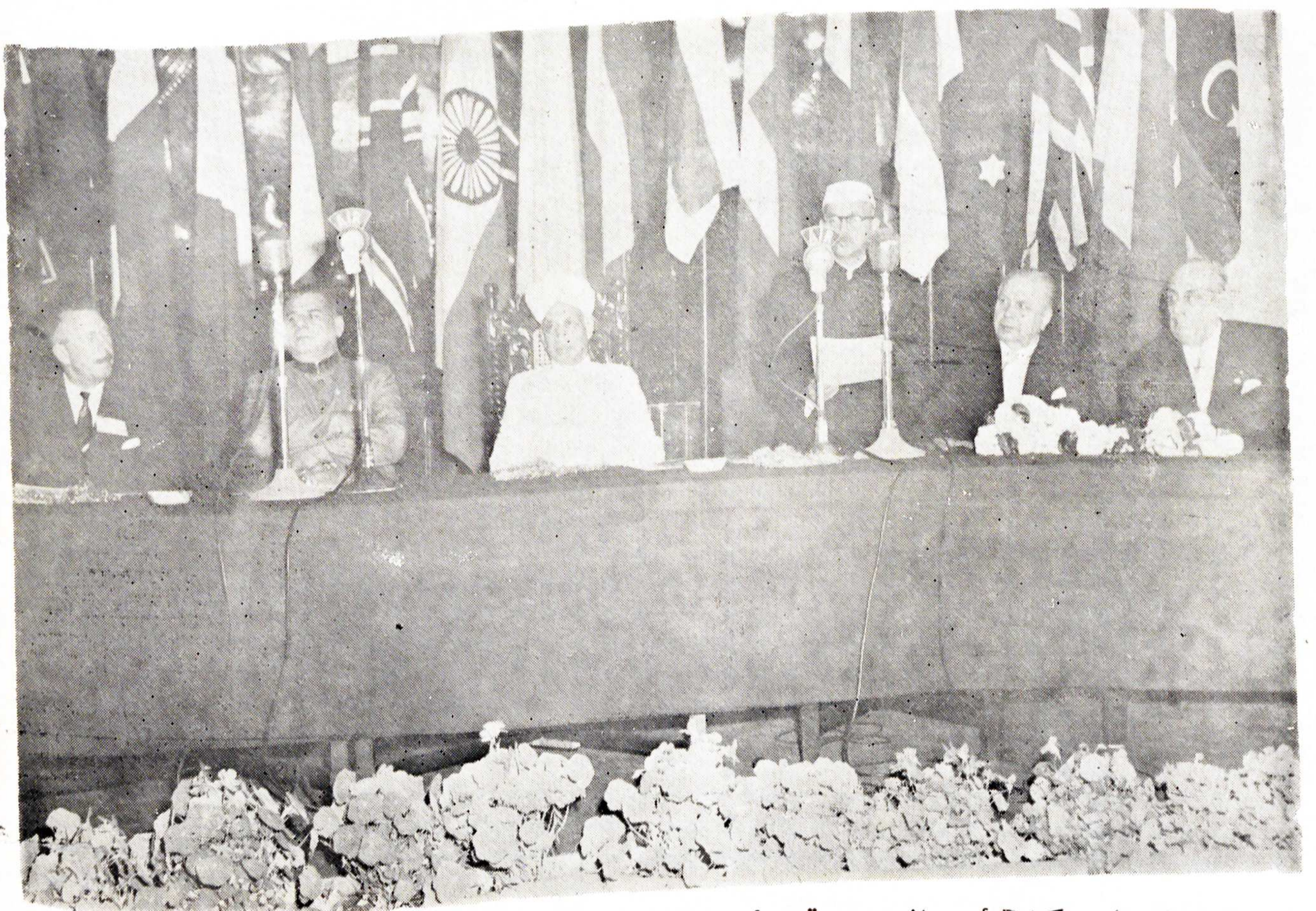
شيدت هذه المنارة بنوع من الحجارة كتلك التى وجدت فى أطلال معبد قديم بقربها مما ادى الى قول بعض الهنود بان المنارة بنيت بحجارة المعبد بعد تخريبه ٠ وهذا يؤيده نوع الحجارة ولا يمكن الاعتماد على هذا القول اذ ان عوامل اخرى تضحض هذا القول اساسا ، فالمنارة على شكل مخروط والحجارة كلها زخرفة ونقوش مما لا يتاتى القيام به باستعمال حجارة قديمة كانت قد استعملت فى بناء معبد ومعبد قديم فوق ذلك ٠ والمنارة تتكون من خمس طوابق الثلاثة الاولى من الرخام الاحمر وبها بعض الخراب والطابقان العلويان اللذان قد يكونا من عمل فيروز شاه من المرمر ملمسهما ناعم وهما اقصر من الطوابق السفلى ،

قوس علاء الدين :

وبجانب المنارة هناك أساس منارة علاء الدين والتى كان من المراد لها أن تصبح فى ضعف حجم منارة قطب الدين ، ولكن بناءها لم يتجاوز اعداد القاعدة اذ

يروى بان متعهدها (علاء الديـن خلجى)توفى بعد ذلك
ويروى بان علاء الدين (الملك)لم يتمكن اتمامها فاستعاض
عن المنارة بقوس بديع الصنع بناه بالقرب من المنارة هو

قوس علاء الدين ولا تزال القاعدة التى تم اعدادها لمنارته
التى ما كان لها أن تكون ظاهرة كالجبل ..

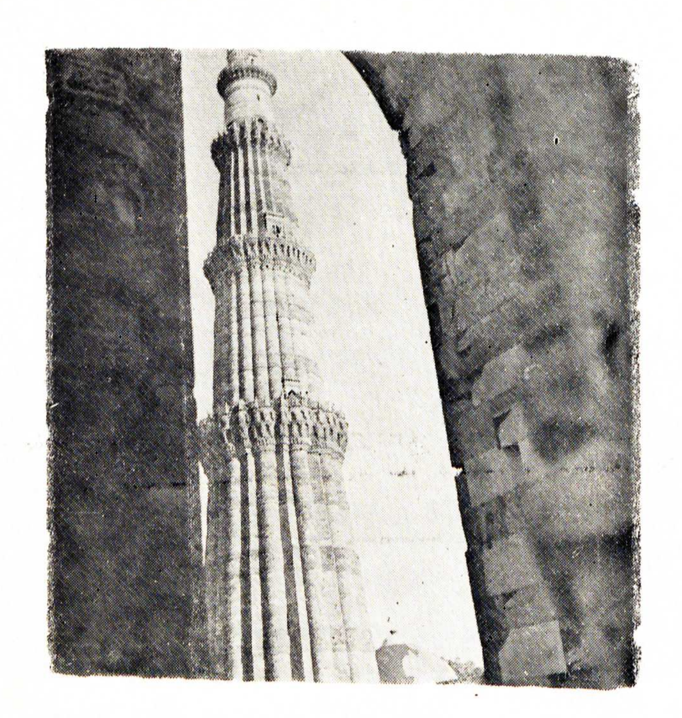


سعادة راد شان وكيل رئيس الجمهورية ورئيس الشرف لحفل الافتتاح وعلى يساره سعادة باهادور شاستري وزير المواصلات حين ذاك يلقى كلمة الحكومة



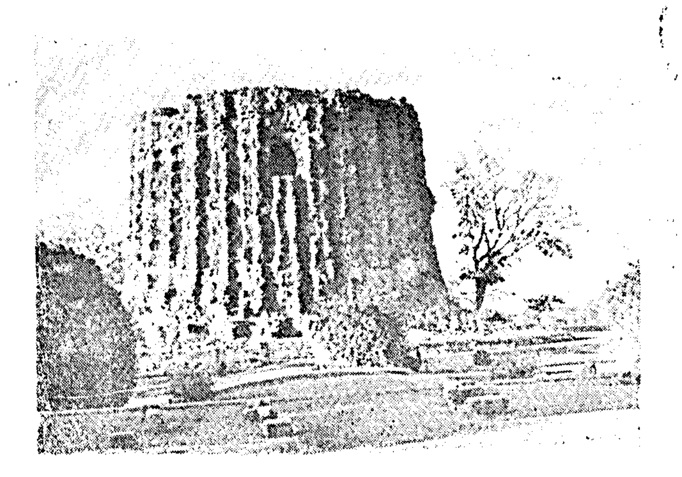
عمـود (درافـا) :

وبين المنارة و (القاعدة) من جهة ، والقوس من الجهة الاخرى ، ووسط أطلال المعبد القديم ، وضع المهراجا (درافا) عمود نصر تذكارا لاحد انتصاراته ٠ والعمود من الحديد وقد نقشت عليه كتابة باحدى لغات الهنـد العديـدة ، ويبلغ ارتفاعه ١٥ مترا وهو قائم بذاته ، تجلت فيه دقة الصناعة رغم كبره وشكله المخروطى التام ، حتى ان الخبراء اليوم كما افاد الدليل يدهشون لتمكن القدماء من صنع عمود كهذا (قطعة واحدة من الحديد قبل الفى سنة)



منارة قطب الدين ظهرت وسط قوس علاء الدين ولم يكن القوس بهذا الارتفاع ولكن من عمل خدع التصوير وكل الصور لصاحب المشاهدات

ولهذا العمود شان مع النساء ، تقصـده الواحدة فتسنـد ظهرها اليـه وتحـاول ان تحيطـه بيديهـا مـن الخلف ، والمحظوظة هى التى تتصل يداها من وراء العمود ، فلها اذا ان تطلب أو تتمنى ما تشاء ويتحقق ذلك فى اعتقادهن ماذا تطلب المرأة يا ترى ؟؟
وماذا تطلب الفتاة ؟؟



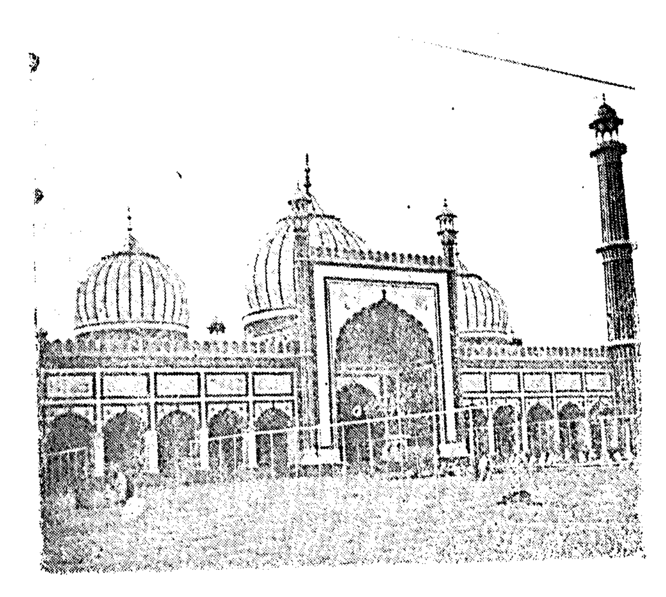
قاعدة منارة علاء الدين المتروكة

مرصد « سوان جى سنق الثانى »

أما ما لا يمكننى الحديث عنه فهو مرصد « سوان جى سنق الثانى » وهو كذلك فى دلهى ، لاننى لم اتمكن من مشاهدته ، فقد كنت مدعوا للغذاء عند بعض اخوانى المناضلين من تونس والجزائر غير اننى ، وان لم اتمكن من مشاهدته فقد سمعت الكثير عنه « انه مرصد عظيم » ومن حسن الصدف عندما زرت سمر قند شاهدت مرصد (اولوغ بك) الذى سبق مرصد سنق الثانى بقرن وكلاهما من الاثار الاسلامية الخالدة .

جمعة مسجد :

بهذا الاسم يعرف المسجد الذى بناه الملك محمد الاكبر. وصحنه واسع ، وقد شيد البيت فيه من اقواس متلاصقة



جمعة مسجد

تفتح كلها على الصحن ، يلجأ اليها المصلون عند اشتداد الحر . وفى وسط الصحن توجد فسقية واسعة جدا يجلس الناس حولها للوضوء . وفى كل ركن من اركان الصحن مئذنة ، وفى شهر رمضان يصعد اليها المؤذنون ويؤذنون للصلاة فيها جميعا فى وقت واحد . ولاحظت وجود دار أمامها قيم فى ركن من اركان الصحن ، واجابة على سؤالى عن هذه الدار دخلها القيم ، وفتح صندوقا بداخلها أخرج منه شعرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم آخر واخرج منه نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم وقطعة من ستار الكعبة ومصحفا بخط سيدنا على كرم الله وجهه ثم بقايا مصحف آخر بخط أحد السبطين رضى الله عنهما .

القلعة الحمراء :

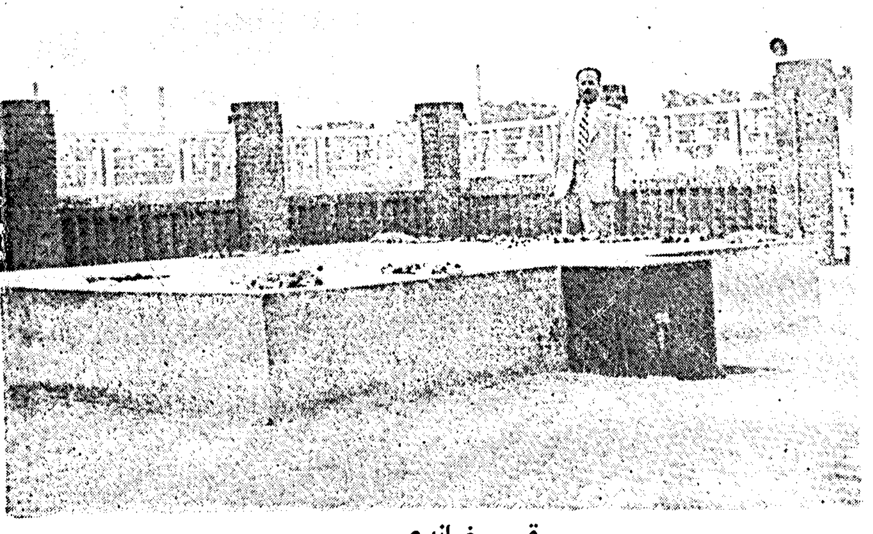
القلعة الحمراء بدلهى شبيهة جدا بالقلعة الحمراء فى (اغرا)وسأتحدث عن الاخيرة واصفها فى غير هذا المكان ٠

قبر غاندى :

وسط حديقة يانعة حيث لا تفارق الازهار المقام ، أزهار يضعها الزوار وازهار تقدمها الطبيعة ، وفى المكان الذى احرق فيه جثمانه النحيل أقيم قبر رمزى لغاندى الزعيم الاعظم الذى عاش مجاهدا ومات مجاهدا فى سبيل خدمة بلاده وأهله والانسانية ٠

لنقف هنا اجلالا وتقديرا لهذا الانسان العظيم ، الذى احس بماساة امة كاملة كانت تئن من الغبن والظلم والاستغلال ، فاندفع بايمان عميق قوى يعمل من اجل خلاصها واستقلالها ، ولقد ساعده على تولى قيادة تلك الامة المغلوبة على امرها صفات انسانية تحلى بها منذ صغره هى الحب والاخلاص والصدق ٠ فما كان ليكره أحدا او يحقد وما كان ليخون او يخلف الوعد ، وما كان ليكذب أو يتخلص من تبعة عمل اتاه ٠ منذ صغره ، وفى علاقاته عامة مع والديه وزوجته ، ومع اصدقائه وزملائه وحتى مع المنبوذين الذين احبهم ورفع معنوياتهم بأن اعتبرهم من الانسان ٠

جاءت نقطة الانطلاق ، بداية الكفاح البطولى المثالى بعد ان اتم دراسته فى لندن وعاد الى الهند ليسافر من بعدها الى جنوب افريقيا ٠ هناك رأى أفظع صنوف الاستعباد فدافع من اجل العمال الملونين المساكين ، وقضى هناك عشرين عاما ذاق خلالها العذاب والاهانات بل وحتى الضرب ، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه كما اثر فيه احساسه بالظلم والمذلة اللذين كانا يعانيهما عمال جنوب افريقيا من السود والاسيويين ٠



قبر غاندى

وعاد الى الهند ليهب نفسه لقضيتها ،واستطاع بتلك الصفات العالية التى لازمته من الصغر ان يجمع الهنود من حوله على اختلاف طوائفهم وأديانهم وأن يكون منهم – على فقرهم وضعفهم الجسمانى وانعدام امكانياتهم – قوة ارهبت الامبراطورية البريطانية واهتز لها التاج ٠ عظيم ذلك الرجل الذى قال : « اننى اذ اخدم الهند لاابتغى ايذاء أمة اخرى ، ان الوطنية القائمة على البغضاء تقتل ، اما الوطنية القائمة على الحب فهى تمنح الحياة » و « كنت أرفض دائما ان اعمل فى السر عملا أخجل من أن آتيه جهرا» كان قتله على يد برهمى انتقاما منه لسياسة التقرب الى المسلمين الذى كان ينهجها غاندى حتى بعد التقسيم

انه مات برصاصة غادر وقد قال وهو يلفظ انفاسه الاخيرة ـ وحتى فى هذه اللحظة الحاسمة من حياته لم يثنه عن مبدئه الذى عمل من أجله الم الفراق ومرارة المصير ـ لقد قال: «عفا الله عن قاتلى فلا تقبضوا عليه بل خلوا سبيله وانا ميت فلا تعذبوه من اجلى وقد ضربنى لمبدأ اعتنقه وآمن به ٠

بهذه الكلمات المأثورة المؤثرة ودع الزعيم غاندى شهود مصرعه ولقد اضحى بذلك المثل الاعلى لمنتهى التسامح والصفح والحكمة واصبحت نصائحه وعظاته نبراسا يهتدى به ٠ وقد قال قاتله انه اقدم على هذه الجريمة لاسباب تسامحه وذلك بتنصيب المسلمين فى وظائف عامة رغم انفصال معظمهم عن الهند ٠



طالبات احدى مدارس دلهى



مبارحة دلهى بالقطار الى اجرا

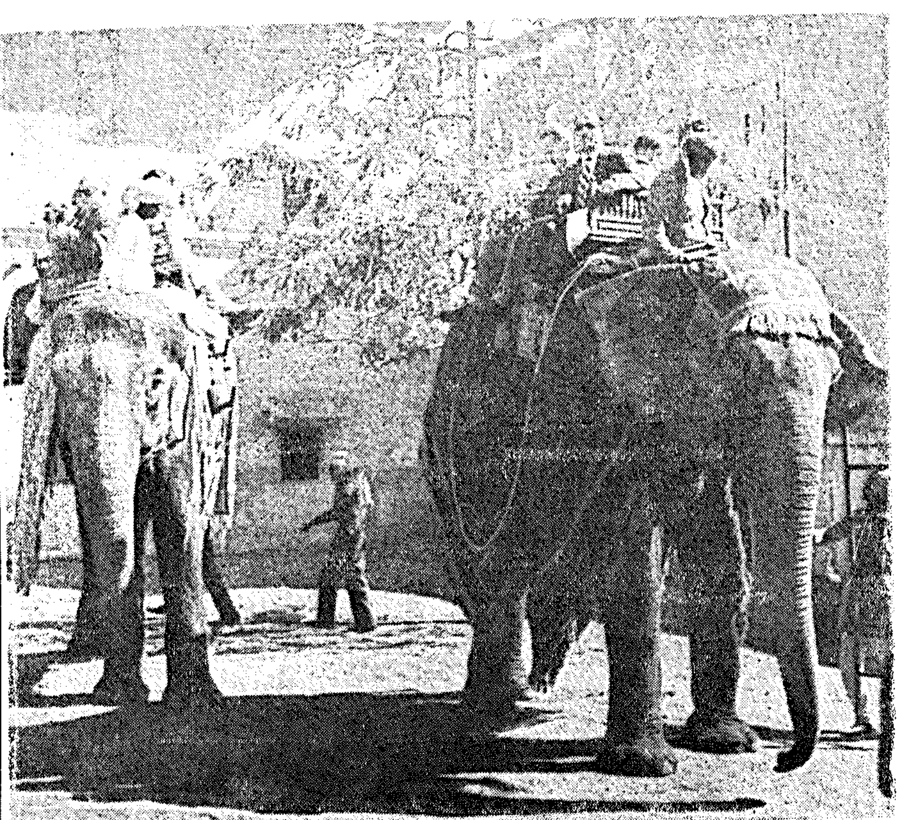
معبد بيرله سنديز

اسم لمعبد شيد أخيرا فى القرن الثامن عشر وتصميم بنائه مختلط بين القديم والجديد ٠ والزائر اذا وقف امام الكاهن واراد ان يطبع على جبينه البقعة الحمراء فما عليه الا تقديم شيء من النقود ووضعها فى صندوق الودائع وصادف زيارتنا لهذا المعبد أن وجدنا كاهنا يقرأ فى كتاب بصوت مرتفع وهو جالس على مقعد صغير (كمن يقرأ لمستمعيه قصة الف ليلة وليلة) والناس امامه جلوس على بعض المفروشات فوق الارض وعندما شعر بوقوفنا عليه قفل الكتاب ووضع اصابعه على الارغل ، يعزف بيد وينفخ بيده الثانية فتبعه آخرون بالضرب على الدفوف والطبول والبعض على اخشاب شدت عليها أوتار وآخر ينفخ فى مزمار وباقى المستمعين يصفقون باتزان مع النغم رافعين أصواتهم بنشيد يستسيغه المستمع ٠

وقد فاتنى شىء لم اشاهده فى هذا المعبد حيث قيل لى بان به « خـازوق »أى نصب من الحديد فى شكل قضيب الرجل وكان فى القديم تخزق فيه بنت بكر كل سنة تقدم نفسها ضحية تقربا لربها وفداء لشعبها .

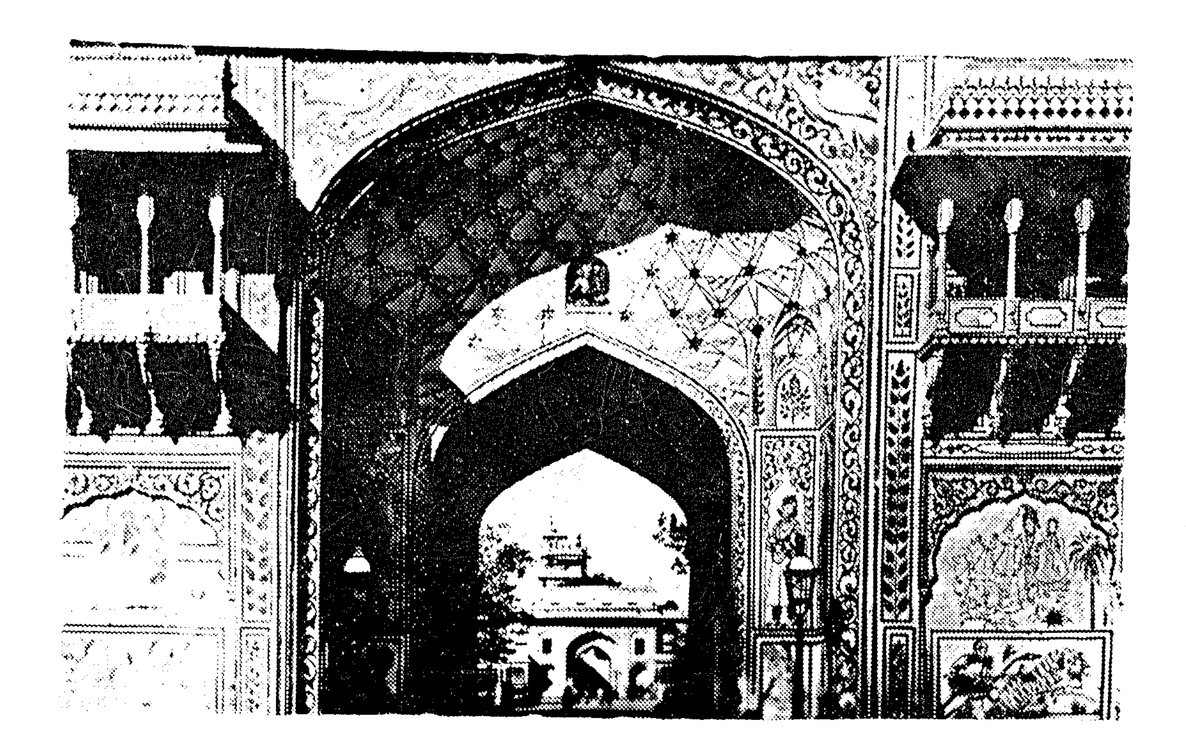
جايبـور بلاد الخيـال

بعد ساعة من مغادرتـنا دلهـى لقضاء عطة الاسبـوع (الاحد) ، وصلنا بالطائرة الى جايبور ، البلد العجيب والعجيب فى هذا البلد كثير . فقد بنى المدينة المهراجـا (سافاى جيه شنغ الثانى) الذى كان مدمنا على المخدرات وادمانه هذا كان السبب فى جعل جايبور كما تعرف الان اذ ان المهراجا (الحشاش) كان كلما تاثر بفعل المخدر ، انطلق خياله فتصور القصور العجيبة البديعة ، ثم تصدر آوامره وتوجيهاته فاذا بالتخطيطات تعد والتنفيذ يبدأ ، وينتهى العمل فى بناء الاعجوبة ولكن الحشيش لا ينتهى ومفعوله على المهراجا لا يزول ، فتتبع الافكار الافكار ، والقصور القصور . هكذا تم بناء مدينة باسرها فى ثلاث سنوات فقط ، واستحقت بذلك ما توصف به الان من انها بلد العصا السحرية أو – كما نقول فى طرابلس (بـرج بو ليلـة)فما من قصر وضع تصميمه الا قام – وأغلب القصور منفردة ، زخرفتها غاية فى الدقة وتدل على كثرة الايدى وغزارة المواد ، وهـى تجمع بيـن فنـون الفرس والعرب والروم وغيرهـا من الفنـون القديمـة . طرقها واسعة ومستقيمة ، تتقاطـع فى ميادـين فسيحة فكأنها بلاد عصرية ، وهى محتفظة برونقها وباللون الاحمر الذى طليت به الجدران والذى اشتهرت به المدينة حتى شاع بين السواح تسميتها (بالمدينة القرمزيـة) يكثر فيها الحمام ويهتم اصحابه بصبغه باللون الاحمر . ولم يكن الزائر قبل عشرين سنة يشاهد حتى عجلة واحدة من مظاهر وسائل تسهيل النقل ، وانما كان الاعتماد على



قافلة الفيله التى اقلت اعضـاء المؤتمـر من جيبور الى عنبـر ، ويلاحظ ان جلدهـا الخشن قـد زخرف بالوشـم الملون

الفيلة والخيول والجمال كوسائل للنقل – ورغـم توفـر انواع السيارات والعربات فى جايبور فى الوقت الحاضر يشاهد الانسان الفيلة فى الطريق ، مما تحافظ عليه البلاد لاغراض سياحية ، وجايبور فى وقتنا هذا تدعى « باريس الشرق » .



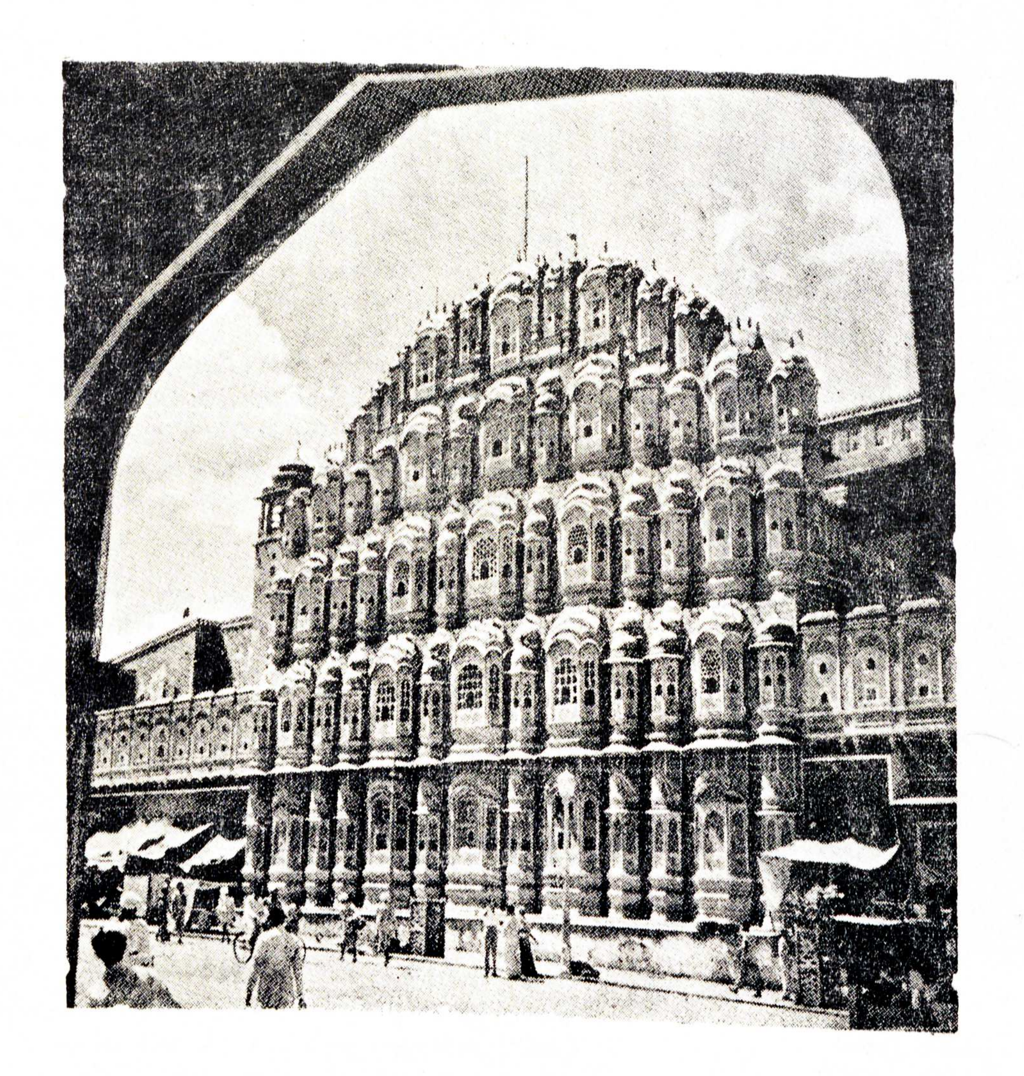
احد دواوين قصر عنبر لاحظ الزخرفة والفن الفارسى الممزوج بالعربى

عنبـــر

وبلادالخيال هذه قامت على حساب بلادأخرى،ما زالت انقاضها ماثلة بقرب جايبور فمن قبل كان المهراجا (سافاى جى سنغ الثانى) المذكور يسكن بلدة عنبر ثم انتقل الى جايبور وشيدها حسبما ورد ٠

ولعله بتخليه عن عنبر أراد للاثار الاسلامية هناك ان تندثروتتلاشى أو أن تطغىعلى ذكرها مدينته الجديدة،غير أن الاطلال الباقية فى عنبر تدل على فن رفيع عميق لاشخاص لم يفقدوا صوابهم ، لا على افكار من صنع الحشيش،الذى حتم وجودها وأمر ببنائها ٠ وباعتبار الدقة والروعة والعمق الفنى فان احدى الصالات الباقية بالقلعة تساوى بلاد جايبور بكاملها ٠

وما كان لسكان عنبر الا ان يهجروها طلبا للرزق والعمل ولم يبق منها الان الا القلعة والقصور التى حوتها ٠ والقلعة شيدها المغول المسلمون الذين انحدروا الى الهند من بلاد منغوليا ، بنيت على ربوة مرتفعة يحيط بها سور يضم ربوة اخرى بجانبها ٠ وفى داخل القلعة قصور لسكنى الامبراطور والحاشية واخرى للخدم والحريم ثم المسجد والديوان الخاص والديوان العام والسوق وفيها



احـد القصـور
الخيالية بـلاد
جيـبـور

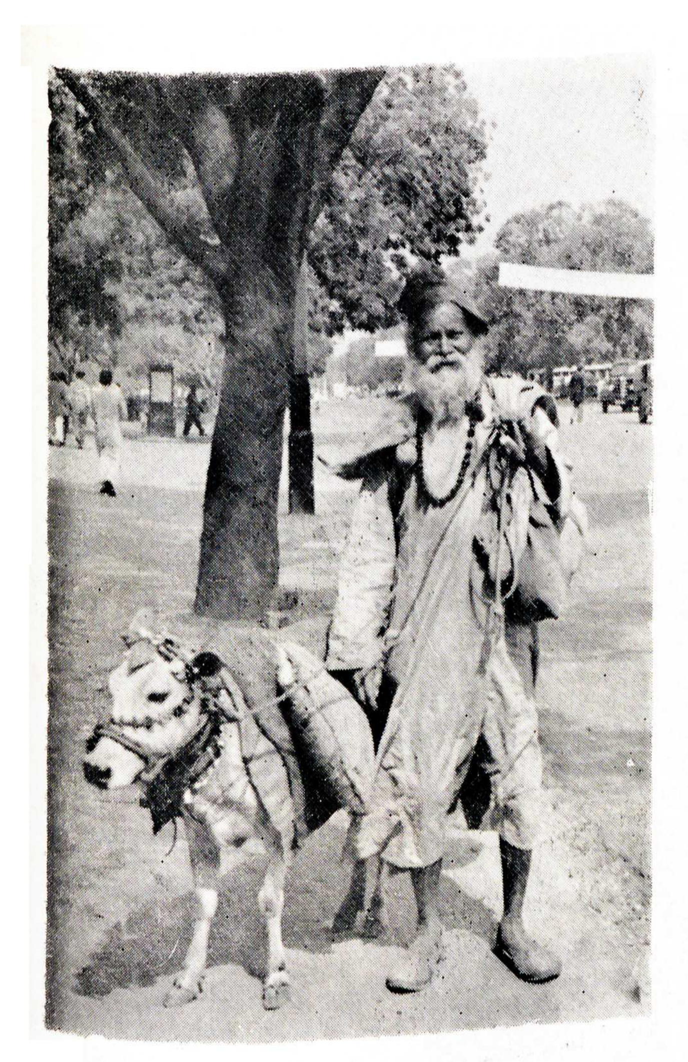
بساتين منظمة ،وكان كل جناح تام الشروط الصحية حسب متطلبات ذلك العهد ، والجدران مطلية بالجبس وعليها نقوش فنية وصور ملونة بعضها مرصع بالحجارة الثمينة وقطع صغيرة من المرايا فى حجم قطعة المليم طعمت بها الجدران والسقوف التى كانت جلها على شكل قبب وكان لهذه القطع العديدة من المرايا تاثير لطيف على الزوار خاصة عندما يحرك القيم الشمعتين اللتين يمسك بهما فتنعكس الاشعة على قطع المرايا فتظهر آلاف الشمعات على السقف ويخيل الى الناظر بأن السقف هو الذى يتحرك كلما حركت الشمعتان ٠

أما السوق فهو رواقطويل بنيت المتاجر على جهة واحدة منه ، وكان خاصا بالجوارى يقصدنه لابتياع حاجياتهن ويستعمل الان لبيع المصنوعات المحلية للسياح ٠ وتحت القلعة مجرى واد شيد فيه خزان مغلق لحفظ المياه فى موسم الامطار (فصل الصيف عندهم) وتصريفها للقصور فيما بعد ٠

غادرنا القلعة التى يتم الصعود اليها والنزول منها على ظهور الفيلة ، الى جايبور حيث حضرنا حفلة للعبة (بولو) أقيمت خصيصا فى أحد الاندية الرياضية المنظمة التى توجد فى جميع اطراف الهند ، على الطريقة الانجليزية ٠ وانتهى بنا المطاف الى قصر المهراجا (زنبق بلانسى) لتناول الغداء بدعوة منه ولم نتشرف بالمثول بين يدى المهراجا ، وكان (بوفيه) فاخرا جدا٠ وهذا ايضا قصر عظيم حقا ، فيه القديم والحديث وفيه بستان شاسع عملت فيه الايادى الكثيرة حتى اخرجته عن اطار الطبيعة ، فصار منظره اذا طال مملا ٠

البقرة المدللة

مما يلفت الانتباه فى جايبور قدسية البقرة٠مع ان هذه القدسية ليست وقفا على جايبور بل وجودها فى الكثير من اجزاء الهند ، غير ان جايبور قد تكون اشد البلاد



العجول الصغيرة تستعمل لحمل الامتعة الخفيفة وزخرفة العجول تلفت النظر

ازدحاما بالابقار بعد (بنارس) • فى الازقة والطرقات والميادين تجد البقر آمنا مطمئنا لا يكترث بما يدور حوله من حركة وصخب ، فالبقرة لا يهمها المرور وتسير بخطى وئيدة مترددة ، تقف حيثما راق لها الوقوف • وكثيرا ما تضطر السيارات والعربات الى التوقف بسبب بقرة فى الطريق ، والانتظار الى أن تتحرك أو تساعد على التحرك وليس حظ الذكر من التقديس كالانثى،اذ يستعمل الثور لحمل الاثقال وجر العربات أما هى فمقدسة وحسب ، لا تعبد ولا يثار غضبها واذا وافاها الاجل تحرق كالبشر عندهم •

اغـــرا

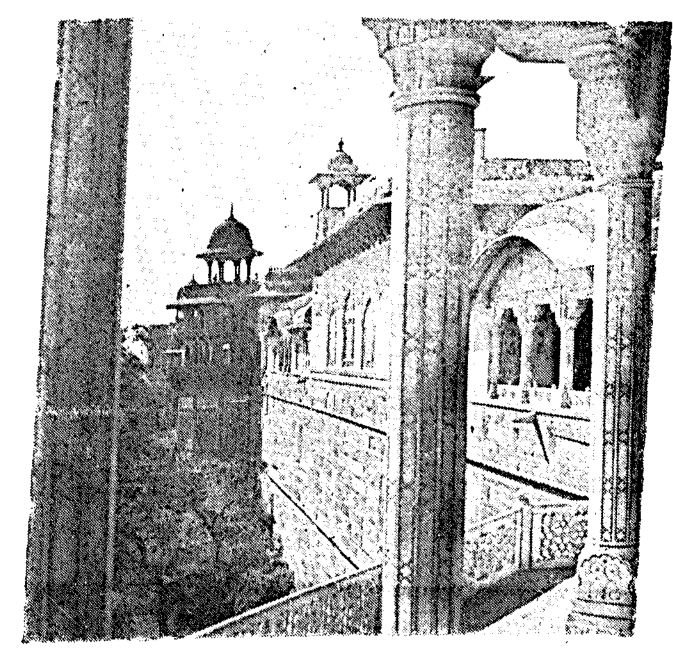
توقفت بنا القاطرة الخاصة فى بلدة (مطرا) وكانت من افخم القاطرات ، لزياة قصيرة نستمر بعدها الى بلدة آغـرا ، فاقام لنا اصحاب الفنادق فى مطرا حفلة شاى فى القاطرة نفسها • زرنا بعدها متحف البلدة الذى يحمل اسمها • ومحتويات هذا المتحف الاثرية من التماثيل الحجرية تمثل مختلف العصور • وبعد هذه الزيارة القصيرة واصلنا السفر الى اغـرا عاصمة المغـول الاولى فوصلناها ليلا •

تقع اغراء على ضفاف نهر الجمنا ، وتبعد عن دلهى بحوالى مائة وثمانين كيلومترا ، وقد شيدها المهراجا (كنسه) من خمسة آلاف سنة ، وتاريخ آغرا قبل الفتح الاسلامى يحيطه الغموض فهى لم تشتهر الا عندما بنى الامبراطور (الاكبر)، حاكم المغول العظيم القلعة الحالية وجعل المدينة مركزا للمملكة التى ربما كانت فى ذلك الوقت أعظم واقوى مملكة فى العالم وقد حول عاصمته من فتح بور سكرى فى عام ١٥٧٠ وبقى هناك الى ان ذهب الى لاهور ليعود الى اغرا بعد ذلك ويبقى فيها الى ان يموت •
وفى القرن السابع عشر فى عهد شاه جهان ، بلغت اغرا أوج مجدها – أعاد تسميتها الى (اكبر اباد) وهو اسم جده ولكن الاسم الجديد لم يعمر طويلا • بنى شاه جهان الكثير من القلعة وأكثر بنيان المدينة وتاج محل •
يقال بان بابر (محمد ظهير الدين) وهو حفيد الطاغية تيمورلنك عندماقدم لفتح اغرا استعصى عليه ذلك بسبب استماتة اهلها فى الدفاع عنها ، وطال الوقت فى الحصار مما دعا بابر الى التفكير فى ايجاد طريقة تمكنه من فتح البلاد وانهاء الحرب • وهداه دهاؤه الى الطريقة فارسل ابنه هميون من خلف الدفاع ، الى البلاد ، رسولا يحمل الهدايا الثمينة ليتصل بالملكة وعقيلات القواد ويطلب منهن التدخل لحقن الدماء وللوصول الى الصلح • وكان من بين الهدايا الى الملكة نفسها الجوهرة الثمينة المشهورة (كاهن النور)التى لا تزال ترصع تاج ملكة بريطانيا حتى اليوم • (ترى كم دفع الانجليز ثمنا لها ؟؟!!

فعلت الجواهر فعلها وغنت الغوانى اغنياتهن (كان تاثيرهن عظيما) فنجح الرسول فى مسعاه • ودخل (بابر) اغرا صلحا واتخذها عاصمة له ، وبقى فيها الى ان وافاه الاجل سنة ١٥٣٠ • فخلفه ابنه هميون الذى بقى فى حالة حرب مع الهنود رغم زواجه منا حدى بناتهم فاتخذ دلهى مقرا اخرا له•دام حكمهعشر سنوات،توفى بعدها فال الامر الى ابنه (ابو الفتح جلال الدين محمد المشهور (بالاكبر) من زوجته الهندية حميدة بانوا ، وكان الاكبر قد نشأ نشاة عسكرية من صغره ، وعمل بسياسة التقارب والاندماج مع الهنود ، فهدأ له الحال وواتته الفرصة فبنى واسس وخلد ، كما اسلفت ، وكان من اعظم ما ترك الاكبر القلعة الحمراء ••

القلعة الحمراء

انها لقلعة عظيمة ، ترامت اطرافها حتى بلغت مساحتها ثلاثة كيلومترات مربعة بدىء فى بنائها سنة ١٥٦٥ واستغرقت عشر سنوات •
فى القلعة أربع بوابات :

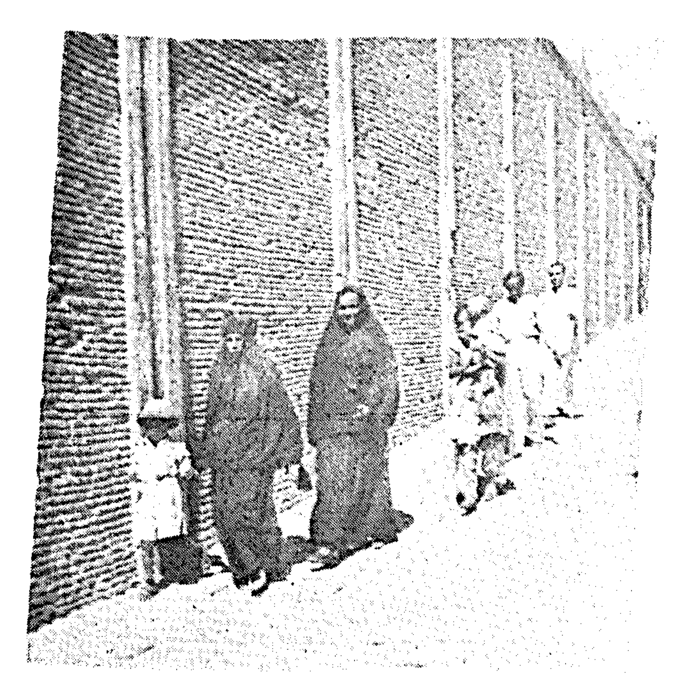


**فى هذه الصور تتجلى عظمة القلعة الحمراء
وتوجد اخرى بدلهى وهى تحمل نفس الاسم**

١)بوابة دلهى ، وفيها تماثيل فيلة نصبت تذكارا لاحدى الانتصارات .

٢) بوابة عمران سنغ وهو صهر شاه جهان ، استشهد فى احدى المعارك فخلد اسمه . وبقرب البوابة تمثال لفرس الشهيد التى رجعت بنفسها وحيدة الى القلعة بعد ان سقط صاحبها البطل من على ظهرها صريعا فى احد الملاطم ودخلت من هذه البوابة وآثار المعركة والاعياء بادية عليها

٣) بوابة سليمان البورى ، وتعرف أيضا ببوابة الماء لانها تفتح على نهر الجمنا .



**مدخل شاه بور للقلعة الحمراء والنساء
الظاهرات فى الصورة مسلمات**

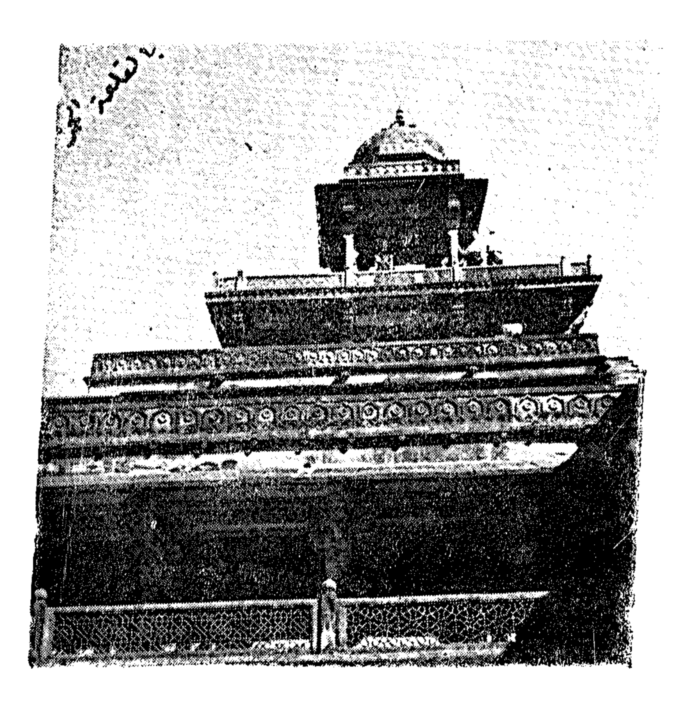
٤) بوابة شاه بور . وهى المفتوحة اليوم للزوار .. كانت القلعة الحمراء عسكرية اكثر منها مدنية الى ان جاء حفيد الاكبر (شاه جهان) المشهور ، فبنى فيها قصورا وادخل على القصور القديمة اصلاحات كبيرة وكساها بالرخام والجبس ورصعها بالحجارة الثمينة . كانت القلعة تشتمل على دواوين الحكومة وسكنى الملك وكان بها الديوان الخاص ، لمقابلة الوزراء والخاصة ، والديوان العام – وهو متسع جدا – وكان الملك يجلس فيه مرة فى الاسبوع بين وزرائه يستقبل افراد رعيته المتظلمين ويحيل شكاويهم الى جهات الاختصاص للنظر

فيها حالا . وكان فى كل جلسةوقبل سماع الشكاوى الجديدة يستفسر عن شكاوى الاسبوع السابق،ويطمئن عليها ويتاكد من انه قد تم النظر فيها . وكان ذلك مما وطد دعائم حكمه وساعده على بسط نفوذه وسبب تعلق رعيته به وبهذا الديوان نادى للنساء يستعمل كمسرح

وفى القلعة ايضا جناح خاص للحريم يتكون من سبع مقاصير اطلق على كل واحدة منها اسم يوم من أيام الاسبوع ، وفيها (شيش محل) وهو حمام النساء وبه حنفيات للماء الساخن واخرى للعطور ، وقد طليت جدرانه بالجبس الذى يساعد على الزخرفة ورصف بمرايا عديدة حتى يتمكن الملك من تمضية الوقت متسليا يرقب الجوارى وينظر الى المرايا فيتضاعف عدد الحسان وهن فى الحوض . ومن ناحية اخرى ففى القصر مسجدان واحد للرجال وآخر للنساء - وكان لبنات الامبراطور المقربات من أبيهن قصور صغيرة يعشن فيها مع مربياتهن . وهذه القصور فى غاية الروعة طليت جدرانها بماء الذهب ولا يزال بعضها محتفظا برونقه ، وفى كل جهة صالون واطلق على هذه الصالونات اسماء (الاكبر) وابنه (جهان قير) وحفيده (شاه جهان) .

اما هيكل قبة اوبرج الياسمين فقد شيده جهان قير لزوجته (نور هان) بعد أن وضعت تصميمه بنفسها وفيما عدا ذلك لم يخلف جهان قير اى شىء يذكر سوى اشتهاره بانه كان طوع زوجته التى كانت تسيره فى شئون الدولة .

وفى القصر خزائن الدولة ابوابها من خشب الصندل الثمين ، وكانت تدعى (بيوت الغزنونى) نسبة الى (محمود الغزنونى) الشهير الذى غزا الهند سبعة عشر مرة فى مدة ربع قرن بداها من سنة ٣٩١ هـ . وكان يرمى من وراء ذلك نشر الاسلام . ثم هناك قصر (خاص محل) من الرخام الابيض شيد فى عهد شاه جهان سنة ١٦٣٦ وهو غاية فى الذوق . ويمر فى القلعة



برج الياسمين الذى فوقه لفظ آخر انفاسه البطل شاه جهان وهو ينظر الى تاج محل النظرة الاخيرة

فرع للنهر ، كان الاكبر يرتاده لصيد السمك ، وعلى الضفة المقابلة لتلك التى كان يصطاد فيها الاكبر عرش من الرخام كان السمير يجلس عليه لمضاعفة التسلية أثناء الصيد . وبالقرب من هذا العرش الابيض آخر اسود أمر الاكبر بصنعه خصيصا لابنه جهان قير عندما نفاه من البلاد لتفكيره فى القيام بانقلاب ضد ابيه ، وبعد ان صفح عنه جلب المقعد الى القلعة . ليكون عبرة للابن ماثلة أمام عينه كل يوم .

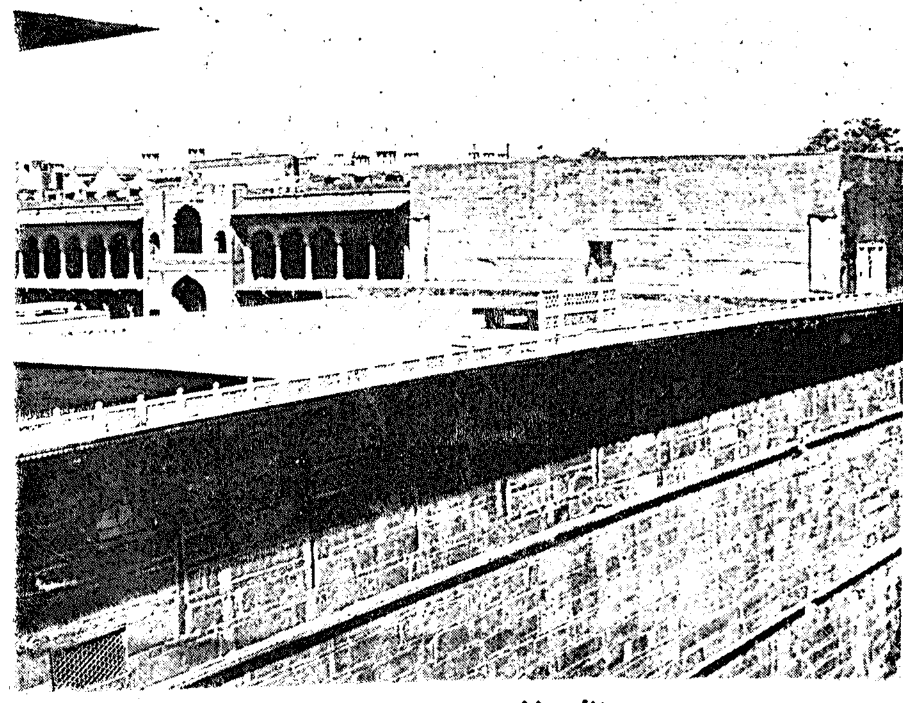
هذه القلعة لا يصورها الوصف الموجز ، وحتى مجرد زيارتها تستغرق اليوم الكامل ولا يكفيها — وأما اذا أراد المرء التدقيق والامعان فيحتاج الى أيام عدة — ولاعطاء القارىء فكرة عن مدى عظمتها يكفي ان يعلم بانها كلفت الدولة خمسة وثلاثين (لاك) وقيمة اللاك الواحد مائة الف روبية أى ما يعادل ثلاثة ملايين ونصف المليون من الجنيهات فى ذلك العهد ، ومنذ أربعة قرون فما هى القيمة المعادلة الان !!!

لنضرب مثلا بالاسعار اليوم فى طرابلس الغرب والاسعار فيها قبل اربعين عاما فقط (لا أربعمائة) نجد بان ثمن اللتر الواحد من الزيت كان يكفى لشراءمائتين وخمسين لترا من الزيت قبل اربعين سنة ، وأجر العامل عندئذ كان أربعين سنتيما (أقل من المليم) بينما هو اليوم سنة ١٩٥٦ خمسة وثلاثون قرشا كحد ادنى ، وللقارىء ان يتصور قيمة المليون جنيه منذ نصف قرن وقيمته منذ اربعة قرون ، وعندها يستطيع ان يقدر ويفهم عظمة تلك البلاد أو القلعة الحمراء ...

تـاج محـل

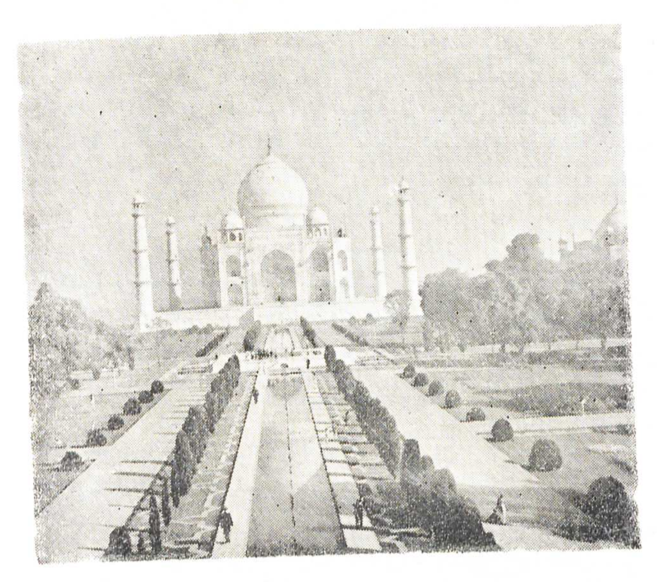
بينما كانت الطائرة تشق الهـواء الى بـلاد العجائب (الهند)التفتت فتاة الى ابيها وقالت «يا ابى انا سعيدة بسفرى الى الهند ، ورغبتى هى مشاهدة تاج محل الذى بناه أخلص رجل لزوجته » فاجابها شاب كان يجلس بالقرب منا ، « لا تنسى بان ذلك الرجل أتسع قلبه لاكثر من أربعين جارية كان يضمهن قصره وردت الفتاة «أنا أقصد ز وجته الشجاعة البارة التى يضم رفاتها ضريح تاج محل ، وهذا ما رافقت أبى من أجل رؤيته » .

هذا شيء مما يخالج نفوس الغربيين عن تـاج محل ، الضريح العظيم الذى بدأفى تشييده شاه جهان حفيد الاكبر عام ١٦٣١ م لدفن زوجته (ارجوماندبانو) المحببـة له دون



منظر اخذ من احدى زوايا القلعة

وقد احاطت البساتين بالقلعة خصص كل بستان لنوع واحد من الفاكهة سمى بها ، وكان جنان العنب خاصا بالنساء ومحاطا بسور يحجبهن عـن اعيـن الفضوليين ، وفى وسط احد الميادين بئر عمقه مائة وخمسة اقدام وهو متسع جدا يغطى الرخام الاحمر جدرانه من الداخل وبه درج يسهل النزول اليه ، وفي جوف هذا البئر توجد بيوت على هيئة غيران قرب سطح الماء ، ياوى اليها الملك عند اشتداد الحر .

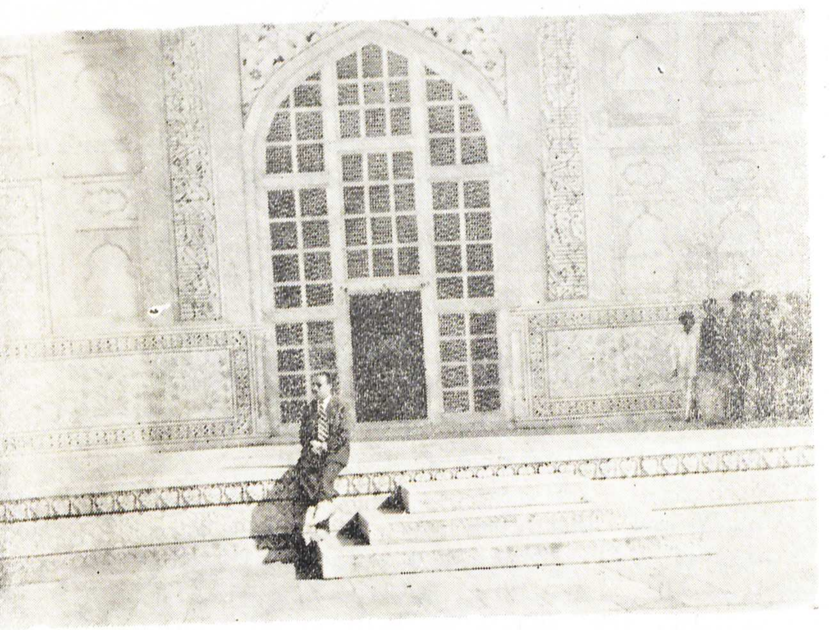


تـاج محل هدية شاه جهان للهند

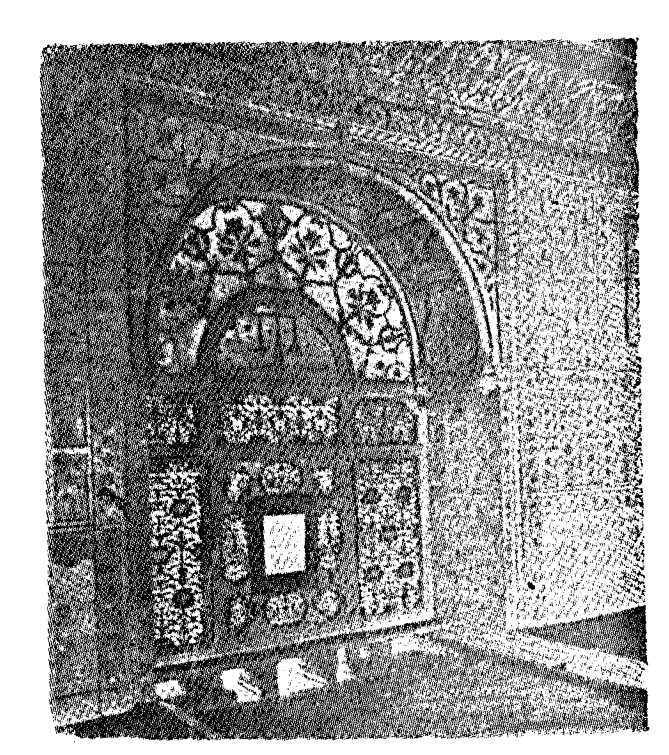
غيرها كانت بنت احد وزرائه وكانت تدعى كـذلك (ممـتاز محل) والظاهـر أن هذا كـان اسم التحبب والتظريف – وبالمناسبة فان كلمة تاج معناها السراى وكلمة جهان معناها الدنيا ٠

كانت وفاتها بسبب تاثير المخاض عليها بينما كانت تضع ولدها الرابع عشر وكان ذلـك فى خط القتـال حيث كانت برفقة زوجها الملك ويقال بانهـا كانت محنكة بشئون القتال تذهب مع الجيش لاثارة نخوته ولتشجيعه لذلك وجدت فى تلك الظروف عندما جاءها المخاض كان ذلك فى سنة ١٦٢٩ ولم تكن قـد تجاوزت التـاسعة والثلاثين من عمرها٠أراد زوجها أن يخلد ذكراها ففكر فى بناء ضريح يكون اكبر ضريح فى العالم ٠ وعندما أعلن الامبراطور عن مسابقة لبناء هـذا الضريح تقـدم الكثيرون فاز من بينهـم احـد الاتـراك ، وكان يـدعى « المهندس أفندى » الذى قدم نموذجا من خشب أرفق معه التصميم ، فاعجب الامبراطور وأمـر بتنفيذ المشروع الهائل الذى استمر العمل فيه أربع عشرة سنة كاملة ٠

كان وصولنا الى اغرا بالقطار فى الليل كما اسلفت ٠ ركبنا السيارات التى جاءت خصيصا من دلهى لعدم توفر الوسائل المريحة فى اغرا حيث لا يوجد سوى العربات ذوات العجلتين يجرهـا الانسان وصلنـا احـد الفنادق



يلاحظ الانسان من هذه الصـورة عظمة مدخل تـاج محل والاضلاع الكبيرة الظاهرة فى التقسيمات والفضاء بين المربعات الصغيرة عليه شباك دقيق الصنع من الرخام وعلى الداخل ان يضع رجليه داخل كيس اذا لم يخلع نعليه



احد ابـواب تـاج محل المسدودين وكل هذه النقوش البديعة من الرخام الثمين

وتناولنا بعض الطعام بكل عجلة ، فـقد سدت الاثـار الشهية ، وكان الجميع في اشتياق الى رؤية تاج محل وقد أصبحنا قريبين من المفاجأة من الاعجوبة أصر الجميع على الزيارة حالا رغم الليلة المظلمة واكتفى الكل بالقليل من الاكل الا الدليل ، الذى ارغم على القيام ودفعته الايادى الى السيارة دفعا وهو ينظر بكل أسف الى صحنه الشهى وحين وقفت السيارة امام المدخل نزلنا مسفسرين عن ضخامة ما رأينا ، معتقدين باننا قـد وصلنا غايتنـا .

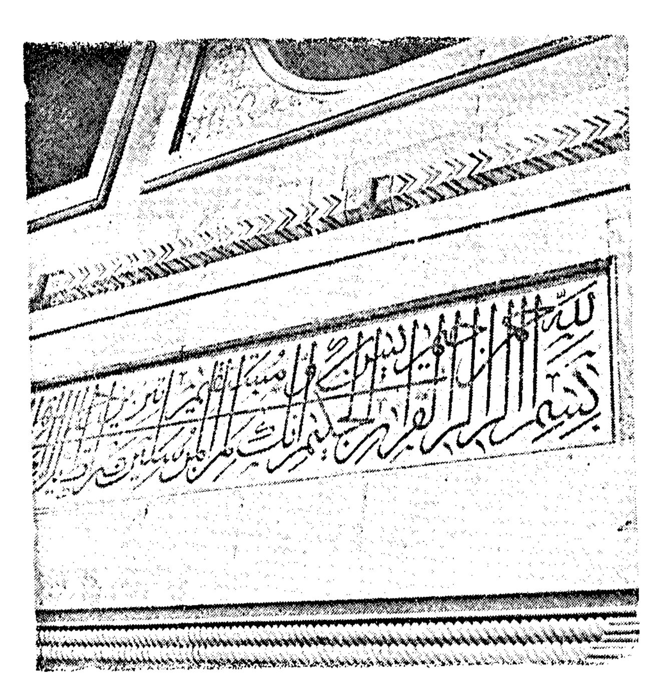
ولكن الدليل اعلـن بمكبر الصوت اليـدوى : « هـذا مدخل تاج محل العظيم » ، تاج محل الـذى عـم اسمـه الآفاق تاج محل أعظم من اسمه لا يمكن تصويره لمن لم يره ، لم يسبق ان قام مثله ، ولن يقوم . تاج محل هو الهند، والهند هى تاجمحل ...» وعند نطقه بكلمـة محل على الطريقة الهندية (مهال) عبرنا المدخل وسرنا في ظلام لم يخففه مصباح الزيت البسيط الذى كان يحمله احد الحـراس مضى بعض الوقت قبـل وصولنـا الى الضـريح ونحن مبهوتين من عظمة ما شاهدناه من روعة الفن . وليلتها شاهدنا ما مكننا ضوء المصباح و (البيلات) من مشاهدته ، اذ ان الاضاءة الكهربائية لا تستعمل فى الاماكن الاثرية . ولكن روعـة المحل وهيبتـه فى تلك الظـلمة استحوذت على الالباب واخذت بالقلوب ، وزاد المقام هيبة وجود رجلين مسلمين من ذوى اللحى الطويلة السوداء رفع احدهما صوته بنغـم تـردد وارتفـع صـداه وكانه آت من مكبر للصوت فاعترانا خشوع واجلال ، وما زال ذلك الصوت يرن في اذنى حتى اليوم . وأراد البعض منا ان يقضى تلك الليلة فى أعظم مكان تاريخى ، ولكن الحارس اعتذر لعدم وجود أماكن للنوم ، قائلا بان ذلك الشرف لم ينعم به حتى هو نفسه .

وفى صباح اليوم التالى عدنا لمشاهدة تاج نهارا ، وعند المدخل بدأت قرقعة آلات التصوير وآلات السينما تسجل أعز تذكار لهذه الزيارة ، تركنا المدخل العظيم وهوبناية بكاملها وبدأ لنا تاج محل عن بعد لاول مرة وكانه سحاب أبيض أو صخرة هائلة كساها الجليد،وانعكست صورته فى فسقية الماء أمامـه فصار منظره خلابـا مزدوجـا .

والمدخل ينتهى بدرج واسع من الرخام سرنا بعده فى خط مستقيم مرتفع عن الارض لمسافة مائتى متر تقريبا على بلاط من الرخام الاحمر ، وفى وسط الطريق امتدت فسقيتان مستطيلتان بينهما اخرى مربعة الشكل ومرتفعة عنهما ، ويضم السور كذلك بستان المغول (راجمـــان.

سنـــغ)الذى ينقسم الى اربعة اقسام كل منها ينقسم الى اربعة اخرى فى وسطها فسقيات اربعة من الرخام الابيض وفيها طرق من الرخام الحجرى الاحمر ، الذى وضع على الارض وضعا بدون بناء فى تخطيط فنى جميـل ويسيـر الانسان حتى يصل الى هضبة كبيرة صممت مستطيلة لاكثر من ثلاثمائة متر وهـى تضم الضريح والمسجـد والديوان ، وعند ميدان تاج محل الذى يرتفع على الارض ثمانيةعشر قدما ،خلع كل منا نعليه وانتعل حذاءخاصاوصعدنا الدرج فوجدنا ميدانا متسعا مستطيلا تبلغ مساحته ثلاثة وثلاثين الف متر مربع كله من الرخام الابيض النفيس ، وفى كل زاوية من الزوايا الاربعة صومعة ارتفاع الواحدة منها ١٤١ قدما وبها ١٥٤ درجة ، فى ثلاثة دور ، جميعها من الرخام الابيض الناصع الذى كساه الزمن شيئـا مـن الصفرة فاصبح كالعاج النظيف . أما الضريح فقد اقيم فى الوسط على رقعة مساحتها حوالى الفين وستمئة متر مـربـع .

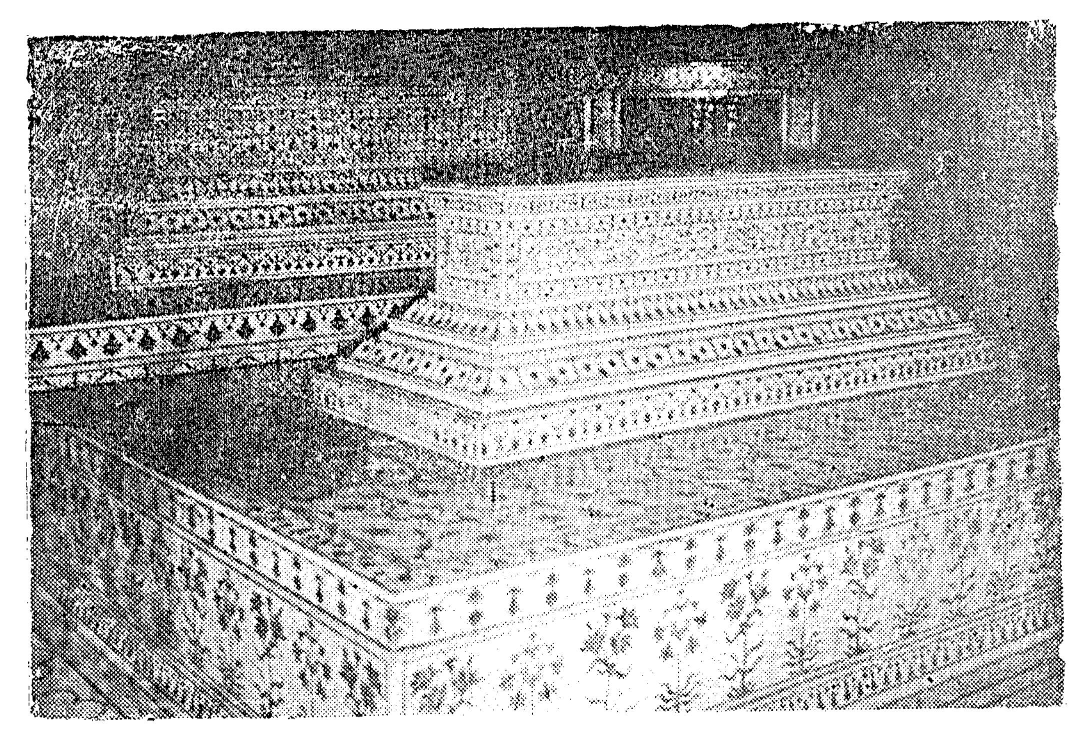
الضريح عبارة عن قبة ضخمة ، هندستهـا على الطـراز الاندلسى ، شيدت على بناية شبه مربعة تقوم على قاعدة لها ثمانية اضلاع ، اضلاع الزوايا الاربعة صغيرة من الرخام ايضا وبجانب القبة اربعة اكشاك على الطـراز العربى المختلط بالفن الهندى ، تشبه رؤوس الصومعات القريبة منها وهـذه تستعمل للحراس وقـد طعمت كل الواجهات والجدران من الداخل والخارج بانـواع مـن الرخام ذات الوان اخرى وعليها زخرفة بديعة وكتابات بخط جميل واضح ، كلها آيات قرآنية . ويقال بان الباب الاصلى قد كتب عليه القرآن باكمله بالفضـة النقيـة ، والكتابة عمودية . أما الباب الموجود الان فقد صنع من معادن مختلفة وفى تاج محل عدة غـرف ودرج متنوعـة الشكل زادت كلها فى جمـال الضريح وبهجته . وعنـد الدخول الى المحل يجد الزائر درجا يقود الى ما تحت ارضية القبةحيث القبر الحقيقى على الارض أما القبر السطحى فقد كان رمزيا فقط وكان من العادة فى تلك الازمنة أن



البسملة وصورة يسن على جدار الضريح من الخارج

يشيد قبران واحد اعلى من الاخر وذلك خوفا من ان يتخطى الناس القبر الحقيقى (١) ،وقبل الوصول الى دائرة القبر يوجد رواق دائرى من الداخل بين دائرتين من الاعمدة ، اعمدة الدائرة الاولى تسند القبة الخارجية والاعمدة الثانيةتسند القبة الداخلية وبين القبتين فضاء لا يظهر للعين ، وكانهما قبة واحدة مجوفة ، ولو لم يلفت الدليل نظرنا الى ذلك لخيل الينا انهما قبة واحدة ، فقـد جعلت بهذه الطريقـة حتى لا يكون الفراغ ظاهرا فتبدو وكان المهندس لم يأت بشىء جديد ، هذا كله من الرخام الابيض الناصع ، طعم برخام كتبت عليه آيات قرآنية بالوان اخـرى جميلـة ،

(١) وبهذا الوضع شيد قبر (تيمورلنك) بسمركند داخل ضريح متواضع .



هـذا القبـر يضم جثمان شاه جهان العظيم والقبر الذي بعده يضم جثمان زوجتـه البـارة المخلصة

والميدان مطوق بمشربات وهو عبارة عن شباك من الرخام الدقيق الصنع على شكل مضلع يحيط بالقبر كالسور ٠

هذه المناظر الخلابة وازدياد دهشة المتفرج كلما امعن النظر ، وكونه حافيا او منتعلا (المست) لوجوده فى المحل الطاهر ، والايات القرآنية ، والقبر ، كل هـذه تجعـل الانسان فى جوكله رهبة وخشوع ، خصوصا عندما يرفع الشيخ صوته ، فيتردد صداه ، وكأنه ترديد الاذان ٠

من بين الآيات الاربع عشرة المكتوبة على القبر : — (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولائك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بماكانوا يعملون) — (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ٠ وجزاهم بما صبروا جنـة وحريـرا ، متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) وغيرهما من الآيا تالكريمة منها ما هى من سورة الواقعة والانشقاق

ولكل واجهة من الواجهات الاربعة باب ، واحد منها مفتوح ، وهو الذى سبق ذكره ، والذى وضع محل البـاب الاصلى ، أما الابواب الاخرى فثابتـة ومشبكـة بالرخـام ومصنوعة منه ايضا ومتى خـرج المـرء من هـذه الروضـة

الفريدة فى العالم من حيث الزخرفة والفن الدقيق على الرخام وجد على يمينه مسجدا على بعد ، وعلى يساره ديوانا على بعد ايضا ، أما المسجد فيتسع لخمسمائة مصلى ،واما الديوان فقد اعد لنزول الملك عند زيارة قبر زوجته ، ويستعمل للترحم على الموتى باقامة الحفلات فيه فى كل مناسبة لقراءة القرآن وسرد الاذكار وغير ذلك وامام مدخل الديوان على البلاط نقشت صورة الهلال الموجودة فوق القبة والعمود الذى يحمله ، وقد نقش على شكل يرضى الديانة الهندوسية حتى يكون المحل مقدسا عند الهندوس كذلك • وخلف الضريح الجميل عند نهاية الميدان يقع مجرى نهر (الحمنا) وهو منخفض جدا على مستوى قاعدة تاج محل •

أما عن تكاليف هذا الضريح فقد قيل بانها بلغت ثلاثين لاك ، اى حوالى ثلاثة مليون جنيه فى ذلك العهد منذ اكثر من ثلاثة قرون •

ومن الغريب ما يروى عن مدى تعلق شاه جهان بزوجته حتى بعد وفاتها ، انه عندما تقام الحفلات الرسمية وفى المناسبات بعد موتها يأمر بان يبقى مقعدها بجواره شاغرا ، ويطلب من المدعوين ، حتى السفراء ان ينحنوا بالتحية امام المقعد الشاغر كما لو كانت جالسة ، بل أنه كان كثيرا ما يخيل اليه بأنه يراها ، ولم يشأ ان يبعد عنها بعد وفاته ، فعزم على الشروع فى بناء ضريح آخر (مقابل تاج محل) لنفسه يكون جاهزا عند وفاته ، وقرر تشييده على الضفة الاخرى من مجرى نهر الحمنا مقابل تاج محل ، وصمم على أن يكون من الرخام الاسود الممتاز يصل بينه وبين تاج محل جسر رخامى كذلك ، غير أن ابنه الامير (اوران زيب) — رحمه الله وغفر له هذه الغلطة — لم يمهله طويلا فثار عليه واعتلى العرش وزج به فى السجن فى مكان لا زال قائما بالقلعة الحمراء ، وفر له فيه بعض اسباب الراحة



شاه جهان ـ صورة عثر عليها لدى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة

من حمام وغيره وكان يزوره فى سجنه خفية عن طريق باب برج الماء المفتوح على النهر •

بقى الملك السجين فى هذا الضيق ثلاث سنوات كاملة لم ينس خلالها ذكرى تاج محل ولو يوما واحدا ، وكانت تخفف آلام العزلة عليه رفقة ابنته (جهان ارى بيجوم) التى كان يفضلها على غيرها من اخوتها من قبل سجنه

احد قصور قرية كريميك هيرى

فكرست نفسها لخدمته اثناء محنته التى لم تكن فى الحسبان ، وقبل وفاته بايام طلب من ابنه أن يسمح له بزيارة تاج محل ، ولكنه رفض ذلك ولم يسمح له الا بمشاهدته من القصر عن بعد - ومن برج الياسمين وقت الاحتضار ، كان الملك السجين يرقب تاج محل ، يرقب ضريح زوجته الحبيبة، وهكذا توفى - سنة ١٦٦٦ - شاه جهان الذى بلغت اغرا فى عهده أوج مجدها وطوقت شهرتها الآفاق · مات وهو ينظر الى تاج محل النظرة الاخيرة ، على صدر ابنته (جهان آرى) وهو يقول بصوت متقطع متلعثم «شدى راسى الى الضريح لكى لا ينحنى فى اللحظة الاخيرة · »

وخمدت أنفاسه ومشاعره تهتف بوداع تاج محل ، وداع الضريح الذى ضم رفاة زوجته الصالحة ، وداعا الى لقاء بعده فى دنيا الاخرة · وبموت شاه جهان انطوى مجد اغرا ، البلاد التى عاشت خمسة آلاف سنة - كانت اغرا كل يوم فى تقدم وقفز بها شاه جهان قفزات سريعة ، ولو ان مجدها انطوى بتلك الفاجعة غير انها خالدة وسيبقى شاه جهان خالدا خلود تاج محل ·

وبعد وفات الملك بثلاث سنوات رحل أبنه (أوران زيب) الى دلهى انتقاما من سكان أغرا الذين ارادوا به سوءا ، ثم نزح عنها سكانها فيما بعد · وبقى تاج محل قائما ينعى صاحبه ، الذى وفر له ابنه من الحسرة والاسى ما ادى الى وفاته ، قبل ان يتمكن من تشييد ضريح آخر يقاسم تاج محل الوحشة والعزلة ·

ودفن البطل شاه جهان بالقرب من زوجته التى احبها كثيرا فى حياتها وبعد مماتها لاخلاصها وشجاعتها وتفانيها ، ولعل فى دفنه بقربها بعض العزاء لشاه جهان الذى لم يحقق امنيته فى تشييد ضريح آخر لنفسه · لهما الرحمة ولتاج محل البقاء

« فتح بورسكرى »

من الآثار الاسلامية الخالدة فى الهند « فتح بورسيكرى » أو مدينة النصر كما يسميها (الاكبر) بعد انتصاراته فى « غوجارا ت» ، تبعد عن اغرا بمسافة ستة وثلاثين كيلومترا ، بدأ فى تاسيسها (الاكبر) سنة ١٥٥٩ وانتهى منها سنة ١٥٧٤ ، وكان اسم القرية التى اصبحت فتح بورسيكرى ، هو « سيكرى » حيث أقام الشيخ سليم تشستى الولى المسلم ، فى غار هنالك ، وقد بلغ من شهرة

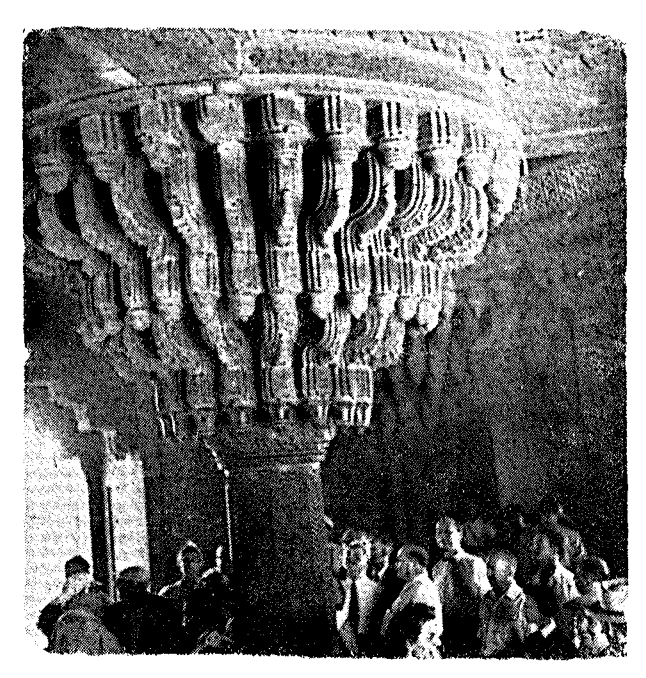
هذا الولى وقواه العجيبة أن سمع الاكبر به ، ولما كان عائدا من غزوة له ، توقف فى سيكرى ليقدم احتراماته اليه وليطلب منه ان يدعو له الله بان يرزقه بولد فباركه الشيخ واخبره بأن امنيته ستحقق ، وفى خلال سنة ولد للامبراطور ابن سماه سليم تيمنا بالولى ، والذى اغرب ما سمعته عنه والغريب هنا ان يروى ذلك عن ولى مسلم هو ان الشيخ سليم رزق ولدا فى تلك الاثناء ، وليته لم يرزق – لو صح ما سمعت – اذ انه ذبح ولده قربانا بين يدى الامير الصغير ، اعتقادا منه بـان ذلك يطيل عمـر الامير الوحيد عجيب أن يقع مثل ذلك فى عهد دولة اسلامية ومن احد الاولياء ٠

وتقديرا لذلك العطف السماوى بنى الاكبر المدينة وحول عاصمته اليها ٠

وكانت المدينة تسمى كذلك مدينة الامبراطورية ، لانها اسست فى عهد الامبراطورية الاسلامية وفى وقت واحد مع القلعة الحمراء التى سبق الحديث عنها ٠

ولفتح بور سيكرى ثلاثة اسوار فيها احدى عشر بابا٠ ولعدم توفر المياه فيها بنيت بها قنوات تجلب اليها الماء من النهر وتزود به البرك والمستنقعات الاصطناعية ، غير ان سكان المدينة لم يلبثوا ان هجروها بسبب عدم توفر العوامل الصحية حولها ولصعوبة الحصول على الماء النقى كما ان اسبابا سياسية حذت بالاكبر ان يهجر المدينة وان يعيد تاسيس رئاسة مملكته فى اغرا ٠

ومن الآثار الباقية فى هذه البـلاد «حيـرانى منـار» المنارة التى شيدها الامبراطور كنصب تذكارى للفيل « حيـران »الذى كان الامبراطور يتروض عليه ويتخذه مطية للصيد وقد رشقت هذه المنارة بانياب الفيلة ٠ ولقد اهملت قنوات المياه بعد نزوح الامبراطورية الاسلامية عن المدينة ،فجفت البرك الاصطناعية ولم يبق من المدينة الا بعض الاطلال والقلعة ولذلك تسمى اليوم بالبلاد المهجورة



عمود صـالة قصر الفيـل

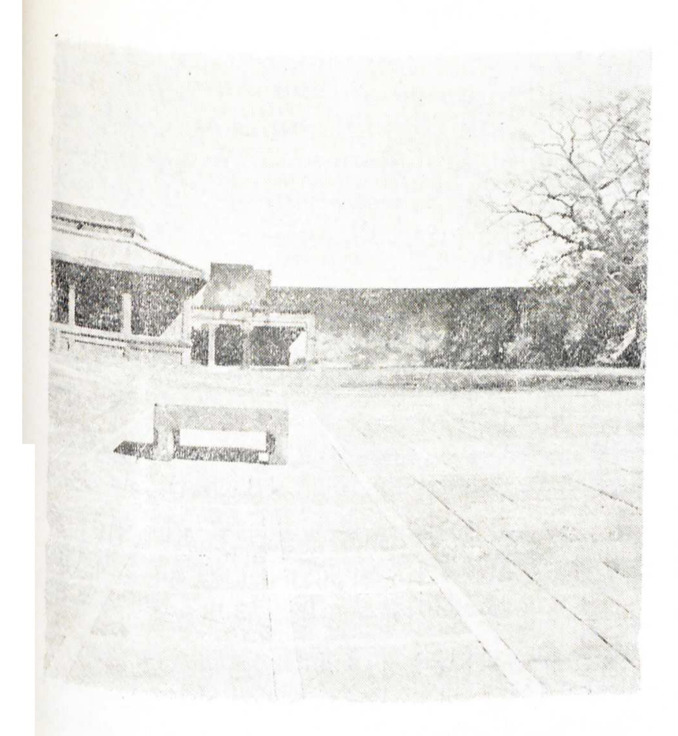
« جلـدى كـروميك هـيـرى »

هذا هو اسم القلعة الباقية فى هذه المدينة «الناشفة» وهو الاسم المتداول بين الهنادكة ويقال بان اسمها الاصلى كان «البوابة البالية»٠كان فى هذه القلعة كغيـرها دواوين الحكومة وخزينة الدولة وفيها قصر الفيل ، وهو قصر بديع جدا ، شيده اوران زيب ، وهذا القصر عبارة عن صالة متوسطة الحجم مربعة الشكل عليها قبة واقيم فى وسطها عمود فخم نحتت فيه زخرفة جميلة ، ويتصل العمود من اعلى باربعة زوايا تتصل بدورها بجسر متقاطع ٠ وكان الملك يجلس على هذه « السدة » المرتكزة على العمود ومعه المستشارون ليقبل شكاوى وآراء اصحاب

المصالح والتجار وغيرهم فيبث فى بعضها ويحيل الاخرى الى جهات الاختصاص ، وكـان يجـوز لبعض الاشخاص (حسب المركز الاجتماعى)ان يجلسوا بين يدى الملك ٠

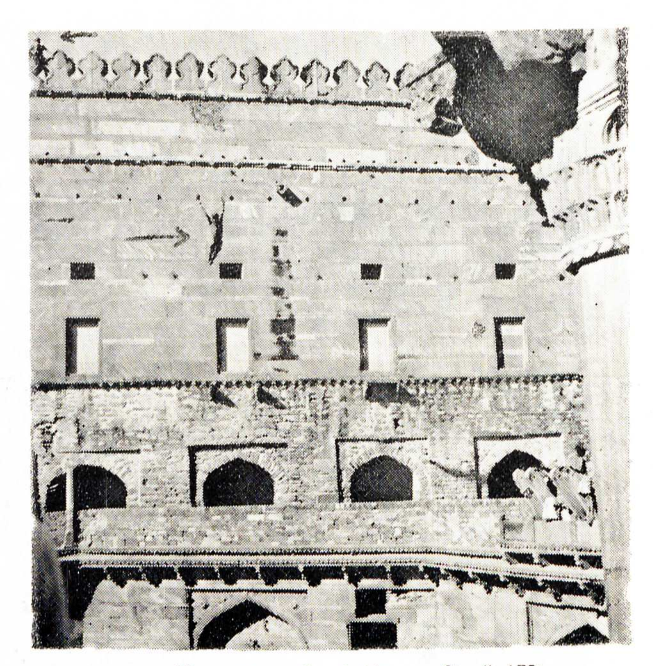
اما اغلب الناس فكانوا يقفون تحت السدة ويطل عليهم الملك ليسمع منهم حول شتى المسائل ٠

وكانت بالقلعة مدرسة خاصة بالنساء وهى اولمدرسة شيدها الامبراطور محمد الاكبر وبذلك صار اولامبراطور أهتم بتعليم المرأة وهذه المدرسة تشبه قصر السلطانة تركية أو (البيجوم اسطنبول) العظيم فى زخرفته وبهائه هذ القصر الجميل كان فيه حمام تركى متصل بمقصورة للباس خاصة بالبيجوم وفيه حمام آخر عادى نسبيا لاستعمال الامبراطور ، وبالقرب منهما بساتين غنـاء ، وفوق ذلـك كان فى القلعة مستشفى كبير ٠ ثم قصر (مريومة بلاص) جدرانه وسقوفه موهت بماء الذهب ومريومة التى سمى القصر باسمها كانت من اصل مسيحى ، وهناك قصر آخر خاص ببنات حواء ، ولذلك سمى (حـواء محل) وقـد احتضن فى ايام عزه الجوارى من كل الاجناس والملل، كن يسبين من مختلف بلاد العـالم ويرسلـن الى الامبراطـور كمحضيات وقد كان القصر متسعا لهن يمرحن فيهويتجولن بعيدا عن اعين الرقباء ، ٠ ثـم القصـر الـذى اهداه الملك الاكبر الى زوجة ابنه جهان ، وأطلق عليهاسمها (جود اباى) وهو هندى الطراز ٠ وقصر (حواء بـان) لنوم الامبراطور ، وكان موقعه يمكن الامبراطـور مـن الاشراف على حركات سكان القصور بالقلعة ٠ وزود بممر متصل بحواء محل الخاص بالحريم ، وعلى مقربة من محل نوم الملك توجد دار ابراهيم رفيق الملك وملازمه ، وكان للمنجم (كشك) ظريف يجلس عليه فى أوقات خاصة وتواجه هذا (الكشك) ساحة متسعة تسمى (بنس هيزى)فى وسطها مقعد هو عبارة عن قطعة من الرخام مستطيلة الشكل مرتفعة ، لجلوس الملك ٠



هذه الرقعة الظاهرة مربعاتها كانت يبادقها من الجـوارى الحسان يتوسطها المقعد الرخامى لجلوس الامبراطور

وقسمت الساحة بالخطوط الى ثمانية وأربعين مربعا ، وكان الملك يقضى هنا أوقات فراغه يتسـلى بلعبة (الاوسى) وكانت تسليته أن تأخذ الجوارى مكان البيادق فى المربعات ، وتكن تحت الاشارة للانتقال من مربع الى آخر حسبما يقتضيه سير اللعب ، وكانت كل جارية ترتدى لباسا خاصا بدورها ، وأحيانا كانت كل فرقة ترتدى طرازا ملونا خاصا ، وأحيانا أخرى كان الغيد الثمانية والاربعون - عدا الاحتـياطى - يرتدين نفس النـوع مـن اللباس ٠



سور القلعة والسهم الاول يشير لاحد الغواصين وهو واقف فى اعلى سور القلعـة ينتظر فى دوره للقفـز والسهم الثانى يشير لاخر وهو نازل فى طريقه للماء

وكأن الملك كان قد سئم البيـادق التى لا تتحرك ولا تبتسم ولا تتدلع فاستبدلها باحسن ما كان فى امكانه !

وعلى سطح آخر مرتفع لرقعة الشطرنج توجد بها اكشاك للمتفرجات ٠

وفى الليالى المقمرة كان الملك يصعد الى (بنج محل) المتركب من خمس دور حيث يوجد تخت جميل يطل على البلاد وتستعمله الفرقة الموسيقية فى المناسبات وفى اعلام الشعب عن سفر الملك وعودته بواسطة نفخ البوق ، وفى القلعة طبعا محل للضيافة يسمى (السراى) كان التجار وأصحاب الاعمال وغيرهم من الزوار يقصدونه ، وقد زود السراى باسطبل يتسع لمائة وعشرة من الخيل وخمسين بعيرا وفيها كذلك محل استراحة به ستون عمودا كل واحد زخرفته فردية تختلف عن زخرفـة الاخـر ٠ وفى القلعـة يوجد ضريح الشيخ سليم الذى سبق ذكره ٠ ولقد توفى سنة ١٥٧١ وبعد عشر سنوات من وفاته شيدله الامبراطور ذلك الضريح فى صحن القلعة الكبير ٠ وفى داخل الضريح قبر جميل تعلوه قبة صغيرة مرتكزة على اربعة اعمـدة فى غاية الروعة والفن، وكل ذلك مطعم بالصدف، وقد فقدت أحدى تلك الاعمدة غير ان اللورد اكرم (الانكليزى) وضع واحدة مكانها كلفته احدى عشر الف روبيـة (الروبيـة تسـاوى ثمانيـة قروش فى الوقت الحـاضر بالعملة التى لدينا) ، أما من أين جاء بالنقود فهى طبعا من الهنود !

بعد الاطلاع على معالم هذه القلعة الفاخرة ، خرجنا من باب يسمى (باب الفتح) كتبت عليه عبارة معناهـا « الدنيا جسر تصل به الى غايتك ٠ »

ومن وراء هذا الباب الواسع درج ضخم جدا على يمينه وفى محادات سور القلعة يوجد حوض على شكل مضلع من الرخام الاحمر يرتفع على سطح الماء بستة امتار ومساحته حوالى عشرين مترا ٠ يمتد منه تخت من الرخام أيضا يستعمل للقفز ويبلغ ارتفاعه حوالى اثنى عشر مترا ٠ ومن النهر البعيد يستجلب الماء الى هذا الحوض ، وقد دهشت عندما رأيت الهنود يصعدون الى أعلى القلعة ويلقون بانفسهم فيبقون معلقين فى الهواء لوقت غير قليل ، الى ان يصلوا الى الماء والدهشة تاتى من ارتفاع السور الذى يبلغ اربعين مترا تقريبا ٠ وقد علمت بان أولائك الهنود يحترفون ذلك ٠ أما الماء فى ذلك الحوض فقد كان متسخا



احدى الحفلات التكريمية التى اقيمت لاعضاء المؤتمر

جدا لركوده ، ويخيل الى بأنه كان احدى الترع التى كانت تصب بالبحيرة الاصطناعية فى البلاد المهجورة التى سبق ذكرها ٠

وبينما كنا ننتقل من قصر الى آخر فى القلعة ، وكان الحر شديدا (حتى فى شهر فبراير) ، كان الدليل يقص علينا بعض الطرائف ، لكى ينسينا التأثر ويروح عنا ، ومما رواه لنا ان الامبراطور محمد الاكبر ، طلب من رئيس وزرائه – وكان ذكيا حاذقا – ، اعجب الامبراطور به لفطنته وسداد رايه ٠ أن يقدم له أباه حتى يرى أصل ذلك النبوغ ولكن الوزير كان يماطله الى ان جاء يوم اصر فيه الملك

وألح بل طالب رئيس الوزراء بألا يحضر الاحتفالات الهامة الا اذا أحضر أباه معه عندها اضطر الرئيس الى احضار أبيه الابله بين يدى الامبراطور · غير انه كان قد حذر أباه من قبل من أن يتفوه بشىء أمام الامبراطور عدا كلمتى (نعم) و (لا) فى بعض الاحيان ·

وعندما انتهت المقابلة سأل الامبراطور عن سبب صمت الشيخ ، فقال الرئيس « اذا نطق البلهاء ، فعلى الحكماء السكوت !!

ومرة أراد الامبراطور احصاء عدد العميان فى البلاد (وذلك لاجرآت صحية) وحدث ان خرج مع رئيس الوزراء ووقفا امام رجل فاقد البصر كان منهمكا فى الحياكة على نول ، فسأل الامبراطور : « ماذا يعمل هذا الاعمى ؟ » ولم يرق السؤال لرئيس الوزراء ، فكان رده على الامبراطور قوله تعالى: « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور · »

وكل ما ورد عن هذه القصور الجميلة فى تلك القلعة العظيمة انها كانت غاية فى الروعة والفن والتنسيق والابداع والزخرفة والنقش – وما كان لمثلى ، وقد كنت عابر سبيل مقيدا برحلة مع اعضاء المؤتمر ، ان يتعمق فى دراسة هذه القصور وما احتوت عليه من عجيب الابداع والخفايا والظواهر · خاصة وقد كان جميع من معى من الاجانب لا يهمهم ما خلفه العرب أو المسلمون ، ولكنهم كانوا مهتمين بالعادات والطباع والحركة الموجودة فى الوقت الحاضر ، أما الماضى فلم يتجاوز اهتمامهم به النظرة الخاطفة ·

وقد لاحظت ان الدليل غير منصف فى ذكر تاريخ اباطرة المغول وكل همه ان يظهرهم بمظهر الباحثين عن الملذات والشهوات ولا يذكر الكثير عن فتوحاتهم وحضارتهم ومشاريعهم الواسعة ، مثله مثل اغلب ادلاء الاندلس ·

دخول فن التصوير الزيتى الى الهند

لعله من المناسب ان اذكر هنا بعد الحديث عن زخرفة القصور التى تمكنت من مشاهدتها فى الهند ، شيئا عن التصوير الزيتى ، الفن الذى دخل الهند وتاثر بفنونها وأثر فيها ·

ترك هميون بن بابر (ظهير الدين محمد) الهند،وذهب الى فارس موطن اجداده الاصلى ، وهناك قضى عشر سنوات متنقلا فيها ، وكان فيمن قابلهم فى فارس على عبد الصمد السيراجى وأخوه،وهذان كانا من أعظم مصورى اللوحات الزيتية فاتفق معهما على أن يأتيا الى الهند للقيام ببعض الاعمال هناك · وفى الهند اسند اليهما مهمة ترجمة كتاب « الامير حمزة » وتزويده بالصور التعبيرية ، وقد احتوى الكتاب على ألف وأربعمائة صورة تعبيرية جاءت غاية فى الاتقان · واستمرا فى هذا العمل حتى بعد وفاة هميون وعندما تولى ابنه محمد الاكبر ضم اليهما عددا آخر من الفنانين واكثر من مئة تلميذ للمساعدة والتعليم والاقتباس ثم اسند اليهما زخرفة القصور والقلاع ، وبعد أن تولى الحكم بعده ابنه شاه جير ، خطا بالفن خطوات اخرى واتجه الفنانون والمصورون الى تصوير الاشخاص والحيوانات ، وبمجىء شاه جهان المتوقد نشاطا وحبا للفن والذى شيد (تاج محل) العظيم ، انتشر تقدير الفن فتسربت اللوحات والصور الى بيوت الوزراء والنبلاء والاعيان الى ان جاء الوقت الذى تولى الحكم فيه النحس (أوران زيب) عندها مات الفن كما ماتت أغرا وفى عهده المشئوم دخل الانجليز الهند ·



الاستعداد للطواف والتنقل بين المعابد المتراسة ببنــارس

بنــارس

تدعى بنارس أو « كاسى » وأحيانا « كاشى » – تقع على الضفة الشمالية لنهر الغانغا (الحمنا) المقدس ، عند انعطافه بمسافة أربعة أميال تقريبا،وفى منتصف المسافة بين دلهى وكالكوتا ، هذه هى العاصمــة الروحيــة للهنــد .

بنارس مدينة قديمة جدا ، أسسها كاشيا بن سوهوترا حوالى سنة ١٢٠٠قبل الميلاد ، أما اسمها فمشتق من كلمتى « فارونا » و « آسى » وهما اسما مجرييــن على حدود هــ الشمالية والجنوبية ، واسمها الثــانى « كاسى » معنــاه « الزاهية ابدا بالنور الالهى » .

مهد الديانة الهندوسية ، يحج اليها ملايين الهندوس كل عام ويجد معظم سكانها وزوارها فى النهر المقدس مكانا للعبادة ، وهى كذلك مقر للديانة البوذيــة ، اذ ان بــوذا كان يقوم بنشر دعوته فى سرناث ، التى لا تبعد كثيرا عن بنارس ، وهى كبيرة جدا وتقع على ضفة واحدة من النهــر أما الضفة الاخرى فقد بقيت مهجورة تماما . لهــا طابــع روحى خاص وجو تناسك وعبادة لا تجاريها فيه اى بلاد اخرى فى الهند ، وهى مدينة الاحتفالات والمهرجانــات يجرى فيها حوالى أربعمائة احتفال فى السنة ولهذا قال فيها احد الشعراء مــا معنــاه « غريبــة هــى حيــاة كاسى فى كل اسبوع تسع احتفالات ! »

وفيها ١٥٠٠ معبد وعدد من التماثيل لايحصى ، من بينها تمثال للالهة (شيفا) أكثر الالهة تقديسا عند الهندوس ، ومن الطبيعى ان يكثر فيها الكهنة ورجال الدين . كما أنها غنية بالفنانين المهرة الصناع الذين يعرضون منتجاتهم على قارعة الطريق .

وميزة البلاد ذلك الجو الروحى الذى يخيم عليها ،والذى يحمل الانسان على الاعتقاد بانه يعيش فى ماض مقدس تماما كمن يدخل « لبدة » بطرابلس اليوم مثــلا فيجدها عامــرة آهلة بسكانها الفنيقيين بملابسهم وعقائدهم وعاداتهم منذ آلاف السنين،ولكى يتسنى للانسان التعــرف على هــذه المدينة التى كانت ولا تزال العاصمة الروحيــة للبــلاد ، يجب عليه أن يتجول أولا فى (كونك كــورى) طريــق الحجاج التى تلتف حول المدينة لمسافة خمسين كيلومترا هذه الطريق مزدحمة بالهياكل والمعابد والاماكن المقدسة

الاخرى ، لكل منها طقوسها ومراسيمها الدينية الخاصة بها ، ولابد له من أن يركب فى أحد القوارب فى جولة نهرية لمشاهدة الهياكل العديدة التى تقع على طرف النهر ، ومنظر هذه فى منتهى الروعة - فهى مزيج من القبب والمآذن والاجراس وغيرها من الرموز لمختلف الاديان - هذه الاماكن تزدحم بالحجاج الذين يأتون للاغتسال فى النهر المقدس قبل الطواف بالمعابد ، وقد اشتهرت بنارس بكونها بلدا مقدساوموطنا للعلم والفلسفةفيها نادى (بوذا) بدعوته وبعده بقرون قدم اليها (سنكارا) وأعاد اليها طابعها الهندوسي،وبعث فيها اللغة السنسكريتية من جديد، وفى أوائل هذا القرن شاهدت بنارس انشاء جامعة عصرية تجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ٠

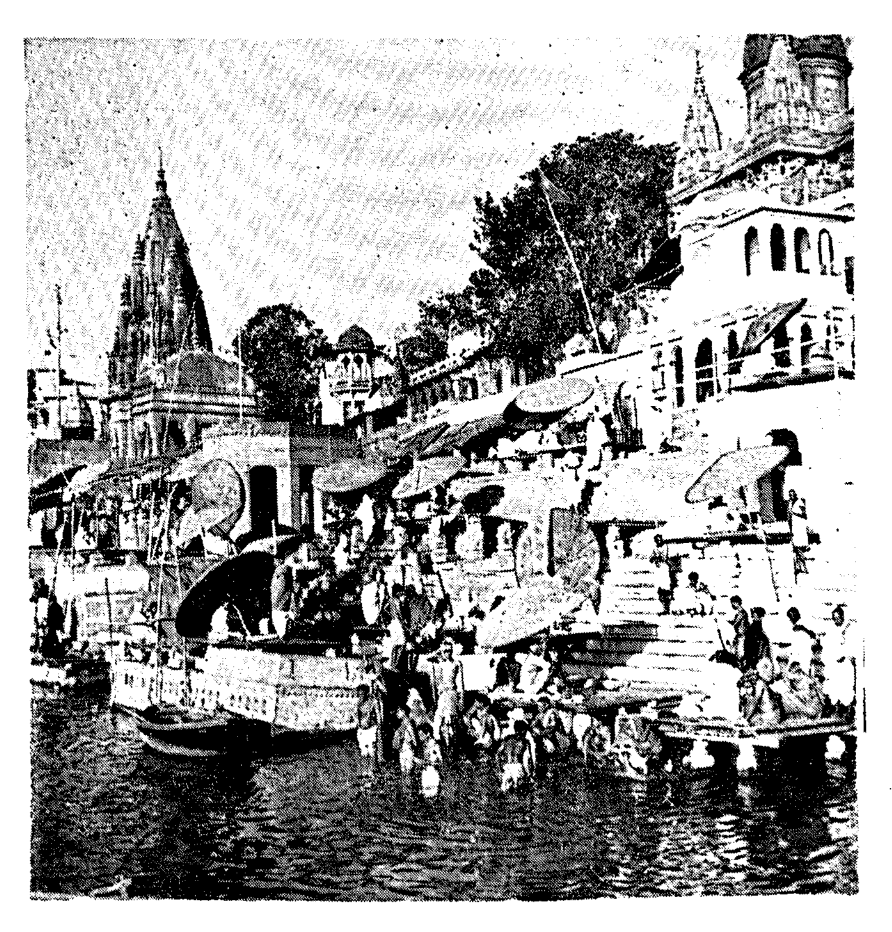
ومن اهم الصناعات فى بنارس ملابس (السارى) المزركشة ، خصوصا ما هو بالذهب وهى من صنع مهرة الحاكة الغزالين ، كما تشتهر بنارس بالحرير والاقمشة والاسلحة والعقاقير والعاج ٠

وفى بنارس تكثر العاب الفقراء الهنود ، وكثيرا ما يشاهدهم الانسان على قارعة الطريق يعرضون العابهم على السياح ، هذا يصارع دبا وذاك يعاكس افعى وآخر يقوم بحركات بدنية من الغرابة والصعوبة بمكان،ومن أعجب ما شاهدته شخصيا معركة حامية الوطيس دارت بين أفعى وعدوها المنغوس وكانت فعلا معركة بين عدوين لدودين، لم تنتهى الا بانهزام الافعى وقطع رأسها بأنياب المنغوس ٠ هذا الحيوان الذى يشبه الجردون (الفار) وهو بحجم القط المتوسط ، له مناعة فطرية تقيه سموم الافاعى كما أنه لا يتاثر بالتفاف الثعابين عليه باى شكل ٠

بلاد الفلسفة والدين واللغات تعيش كما كانت منذ آلاف السنين٠آثارها القديمة لم تهجر،بل ما زالت فيها حركة وما زال فيها نشاط وحياة ، وسكانها يتبعون معتقداتهم ويؤمنون بما كان يؤمن به سكان البلاد نفسها منذ القدم أغلبية سكانها من الهندوس ، وفيها تمثل مختلف العقائد والاديان : هناك المسلم والبوذى والمسيحى واليهودى ، وفيها المعابد الكثيرة لكل واحد تاريخه وفلسفته ومذهبه يقصدها الحجاج من الهند وآسيا الشرقية وغيرها ، ومن أراد من الهنود أن يغير مجرى حياته ، أو من زهد فى الحياة يرحل الى بنارس ليعيش فيها بقية عمره ناسكا متعبدا يقتنع بشرب الماء ويكتفى به متى لم يتوفر القوت الضرورى هناك يستطيع ان يعيش بقرش واحد فى اليوم ، فراشه الارض وغطاؤه السماء ولباسه خرقة تستر عورته ٠

من متممات الرحلة ببنارس أن يركب الزائر قاربا يقله فى جولة نهرية ، ويستحسن ان يكون ذلك قبل الشروق ٠ عليه أن ينزل الى شاطىء النهر بدرج واسع جدا يصل الى الماء ، وفى بعض الجهات تثبت الواح من الخشب على الدرج تمتد اعلى الماء وتسندها المساند المثبتة فى القاع ، - على هذه الالواح يجلس من اراد التسبيح والتقرب الى ربه ، يشاهد النهر طول اليوم ويخيم عليه الصمت ٠ والى هذا النهر ياتى الناس حاملين أوانى صغيرة من النحاس الاصفر قد نظفت تماما ، سعة الواحدة منها نصف لتر تقريبا ، وتبدأ الطقوس باخذ الماء بين الكفين وقذفه الى الامام عدة مرات ، ثم يرفع المتعبد عينيه الى السماء ، ويندمج فى العبادة بكل حواسه ويلزم الصمت بدون حراك ، اذ العبادة هنا ليست أفعالا ولا أقوالا ، حتى أن المتعبد قد (يجمد) كالصنم وينسى نفسه تماما وكانه انفصل عن هذه الدنيا وهو يعد نفسه فى العالم الاخر وحتى لو دهمه او كلمه أحد فلا يشعر به ويبقى فى موقفه وعيونه شاخصة الى السماء ٠

وخلال الرحلة النهرية يلاحظ المرء العمارات والمعابد المختلفة المتعددة ، وقد ترك الماء اثناء الفيضانات - حين يرتفع الى عشرة امتار - آثارا على الاجزاء السفلى من جدرانها ٠



نهر الكنج المقدس ويلاحظ بعض الحجاج والعباد وهم يتبركون بمياهه

ويعتقد الهندوس بان موتهم فى بنارس يقرب روحهم من درجات العلا ، لذلك يفضلون الموت فيها، وبنفس الاعتقادات أهتم كل المهراجات والاغنياء بأن تكون لهم فى بنارس قصور يلجأون اليها عند الكبر أو متى ألم بهم المرض واصبحوا الى الموت اقرب .

ويتجه السكان قبل ذهابهم الى العمل وبعد رجوعهم منه الى النهر المقدس لاداء الطقوس – وعلى الذين جاءوا للحج أن يغتسلوا فى النهر قبل الطواف بالمعابد وعند وصول الحجاج بالقوارب يقدم لهم الاطفال شموعا صغيرة جدا فى حجم عود الثقاب مقابل احسان بسيط . ويزدحم النهر ازدحاما لا مثيل له اثناء كسوف الشمس وخسوف القمر حين يهرع كل سكان بنارس الى النهر خوفا وليتضرعوا طالبين الرحمة والمغفرة . وكازدحام النهر عندئذ ، تزدحم البلاد بالشحاذين والمعوزين ومشوهى الخلقة والمصابين بمختلف الآفات ، تكاثر عددهم بشكل ملحوظ ، هنا، حتى اننى ذات مرة – وقد دخلت احدى السيارات التى كانت تقلنا – فى انتظار رفاقى الذين كانوا يصورون المناظر البشعة الكثيرة (وهذه تعتبر عندهم دعاية سياحية ، والحكومة لا تمانع فى تصويرها) فأحاط الشحاذون بالسيارة من كل صوب حتى حجبت واضطررت لان اقفل النوافذ والابواب رغم اشتداد الحر

ويكثر فى بنارس كذلك البقر والماعز والكلاب المريضة وعلى قارعة الطريق تجد من يطبخ ومن ياكل وتجد من هو نائم ومن يتعبد ، وباعة المأكولات المطبوخة كثيرون جلهم فى حالة قذرة جدا والطرق الضيقة مزدحمة ، ويتعذر تنظيفها ، فيعلق بالانسان الغبار والعفونة . هذه المناظر تبعث الاشمئزاز والتقزز فى النفس ،وتميت شهية الانسان فيمسك عن تناول الطعام حتى فى اكبر الفنادق التى تضاهى فنادق أوربا . هذه المناظر التى كان رفاقى يصورونها وهى التى اشار البعض بانها دعاية سياحية هى كذلك ولا شك لانها شىء غريب عجيب ولكن ، هناك طرق افضل لجلب السواح .

وبما اننى ذكرت بعض الشى عن نهر الحمنا المقدس فلا بأس ان اذكر بهذه المناسبة نبذة قصيرة عن نهر (مخاضة

الحجلة) النهر المقدس لدى المسيحيين وهذا النهر بالاردن قرب البحر الميت ويقال ان القديس يوحنا عمد فيهايوسع، وتكثر فيها الكنائس والاديرة ويأتى الحجاج من كل بقاع الشرق ليقوم القس بتغطيسهم فى النهـر حسب الطقوس الدينية للمسيحيين ٠

من معتقدات الهندوس :

سمعت عن معتقدات الهندوس بان لهم ثلاثـة آلهـة رئيسية هى : (شيفا) اله الخير ، و (فيـزنـو) اله الشر ، و (براهما) مؤسس الديانة — حسبما جاء فى كتابهم (فيدا المقدس) ، الذى لم يذكر شيئا عن اصل الديانة ٠

والهندوكى يعبد الروح حتى روح الحيوان ، ويعمل أيضا بالقـول (مـن اعتـقد فى حجر نفعـه) ، ويعتـقد الهندوس بأن للالهة اعضاء ، ولذلك يعبدون أغلب الاعضاء منفصلة بما فيها التناسلية ٠ وغير ذلك الآلهة (كالى) العارية الجسد سوداء اللون و (جـانيشان) الهة الفيلة ورأس القرد (هانومان) و (دورجـا) ذات الايـادى المتعددة ثم (مانـاسا) المطـوق جسمهـا بالثعابـين و (آشورة) وغير ذلك من الالهة المتعددة

حـرق الامـوات :

ما دمنا فى بنارس ، فلنتحدث عن حرقالاموات‌لدى الهندوس ٠ هذه‌المسألة يؤمن بها الهندوس ، والقصد منها احداث الفناء التام حتـى لا يبقى للانسـان اثـر فى هـذا العـالم ولا يحـرق كل الهنـود موتاهـم ، بـل منهم‌من يلقى بهم فى النهر ومنهم من يواريهم التراب ومنهم من يقدمهم للطيور طعاما ، وسياتى الكلام عن هؤلاء فى غير هذا المكان ٠

بعد ان تفارق الروح الجسد ، يوضع الميت على حاملة تتركب من عودين من القصب تصلهما عيـدان أخـرى تنصب وقتيا ، ويلف الميت بقماش كما تحنط الموميا ، يكون لونه أبيض للرجال وأحمر للنساء ٠

وقد شاهدت جثمانا فى أحد الاسواق يحمله أربعة أشخاص يسيرون بكل عجلة ودون مراعاة للمارة حتى انهم قد تصطدم رؤوسهـم برأس الميت أو رجليـه ، وقد تصيبهم أعواد الحاملة فى أى مكان ٠ ويمـر حملة الجثمان مهرولين به الى النهر ، نازلين به ، أوبالاحرى متدحرجين على الدرج ، قاصدين الاماكن المخصصة لعملية الحرق على شاطىء النهر المقدس ، وقد قامت تجارة قـرب المكـان الرئيسى للحـرق هى تجـارة الاخشاب التى تجلب للتجار بالمراكب الشراعية الكبيرة ، وتكون معدة لهذا الغرض ٠

يوضع الجثمان فوق كومة من الاخشاب المرتبة التى يبلغ طول كل منها مترا تقريبا وكمية الاخشاب تدل على قيمة الميت المادية (هذا حتى فى الموت) ٠ ومن الاموات من يكون قد اوصى بانزال جثمانه فى النهر قبل الحرق ، زيادة فى الزلفى ، ولايرافق الجثة فى الطريق ، ولا يشرف على الحرق من اسرة الميت الا واحد يكـون مـن اقـرب المقربين اليه ، يقوم هذا باشعال النار ٠ ومـن عاداتهـم عدم البكاء على الميت ٠

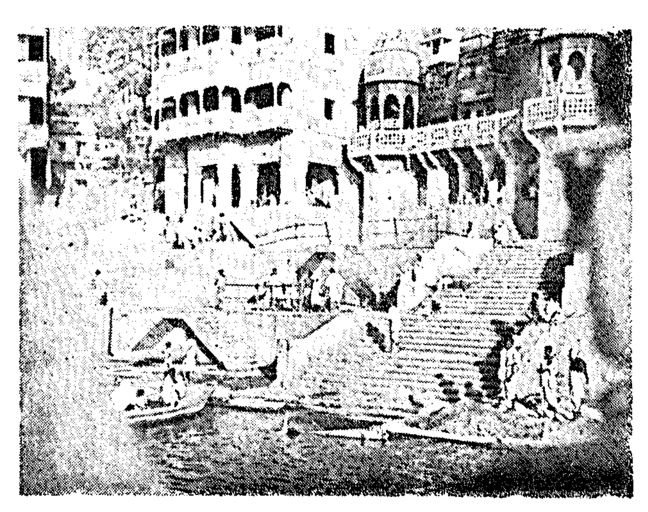
وقد صادف ان كان يوم زيارتى الى (المحرقة) ، يوما مزدحما بعدد الموتى ، فرأيت عشر نيران مضطرمة تلتهـم الاخشاب وتشوى الابدان ، وكان من الجثث ما اصبح رمادا ، ومنها ما كانت النار تلتهم لحمها وعضمها ، ومنها ما بدأت النار تشتعل من تحتها وتاتى على القماش الذى يلفها ، ومنها ما اشعلوا النار فيها أمامى ومنها ما كانت ممددة تننظر دورها ، وكانت هناك أخرى فى المخزن المعد

كغرفة للانتظار ، واذا أوشكت النار ان تخمد ولما ينتهى الحرق – وآخر ما يبقى فوق النار هو الجمجمة وعظام الفخذين ـ يضطر العامل الى ان يقلب تلك الاجزاء أحيانا أو أن يضع الجمر عليها واعتقد بأنهم لا يزيدون النار حطبا ولا يأخذون من نار ميت آخر ولو قبسا ، واذا كان الحطب متوفرا تحت الجثة فلا داعى للتدخل فى العملية وكان الرماد بعد ان يبرد يدفع الى النهر ، وفى هذه العمليات لا يسمح بالتقاط الصور ٠ وحين كنت فى بومباى شاهدت عملية الحرق تجرى فى احد الميادين قرب فندق الغراند هوتيل حيث نزلت ٠

عندما يشاهد الانسان هذه المناظر لاول مرة ، يغمره الاشمئزاز وينزعج أول الامر ثم لا يلبث ان يهدأ ويقبل على تتبع العملية بكل اهتمام رغم تسرب رائحة الشواء فى أنفه ، تلك الرائحة التى تعلق بثيابه وتضل ملازمة له ٠

أما الاطفال الذين تقل اعمارهم عن الثلاث سنوات فلا تحرق جثثهم بعد الموت ، لان اجسادهم طرية لا تخلف الرماد ، وهؤلاء يلقون فى النهر بعد ان تثقل ارجلهم بالحجارة فيصبحوا طعاما للاسماك ٠

والى عهد مضى كان الاحياء كذلك يحرقون ، فقد كانت الزوجة متى مات زوجها، تؤخذ الى (المحرقة) ، وتحرق حية مع زوجها ، وقد تركت هذه العادة بعد جهاد طويل ساهم فيه الانجليز « مساهمة فعالة غير انه ارضاء للكهنة حرمت الزوجة المترملة من الزواج مرة اخرى ٠ وعلى الرغم من القانون الذى سن مؤخرا ، والذى يبيح زواج الارامل فان اقبال هؤلاء على الزواج قليل جدا ، لان الاعتقاد بأن المرأة متى تزوجت ارتبطت مع زوجها ، فاذا مات الزوج وجب ان تموت الزوجة كذلك ، وما زال راسخا عميقا ، كانت المرأة تلقى بنفسهافى النار اثناء حرق زوجها راضية مبتسمة أو متصنعة ذلك ، اذ لو لم تفعل لحل



عملية حرق الموتى ويمنع تصوير هذا المنظر فأخذت الصورة من بعد

بقبيلتها العار ، وبها لعنة الآلهة ، وللمرأة اذا ترملت مبرر ودافع قوى لان تلقى بنفسها فى النار ، باعتبار ما ستلاقيه بعد وفاة زوجها من الاضطهاد وشظف العيش ، فهى تفضل العذاب حرقا على العذاب طول العمر ٠ فهى لا ترث شيئا حتى عن ابيها ولا تتزوج بعد وفاة زوجها حتى وان كانت الوفاة وقت الخطوبة ، والخطوبة عندهم لا تخضع لعمر معين ، فقد تخطب البنت فى السنة الاولى من عمرها ، وقد يأخذها والد الخطيب فى بيته لتتربى على يديه وتتعلم بجو العائلة من الصغر ، فاذا مات خطيبها الصغير حرمت الزواج من بعده وعاشت المسكينة تعسة ، وتنعت بالمشئومة لانها جلبت الشؤم لخطيبهافمات بسبب هذا كله نجد أن المرأة كانت تفضل ان تموت وقت حلول حياة مظلمة قاسية عنيفة ، والحديث عن الاموات وحمل الجثمان ثقيل ولكنى استسمح القارىء لازيد عن ذلك واقول عندما كنت فى مدراس شاهدت تشييع جثمان

لآنسة موضوعا على حاملة مصنوعة صنعا دقيقا بها اقواس من جهة الرأس شبكت بالازهار ونثرت على الجثمان ايضا بصورة مبالغ فيها واليد حتى الزند ظاهرة من بين الازهار وحولها المشيعون من رجال ونساء تسبقهم موسيقى القرب والدفوف ٠

واما فى اوران قباد كانت الميتة عجوز وضعت على حاملة بسيطة ونثر على جثمانها بعض الازهار وكانت المقبرة قرب الهوتيل الذى انزل به وقرع الطبول هو الذى نبهنى وجعلنى اتطفل واشاهد منظر المتسابقين الى حفر القبر واهالة التراب على الجثة ٠

معبد الشهوات

وفى بنارس معبد غريب هو معبد الشهوات ٠لم تكن زيارته من ضمن برنامج الرحلة ولكن ما سمعت عنه من غريب الحديث جعلنى اتكبد مشقة السير لمسافة طويلة مع رفيق ايطالى وقبل ان اروى القليل مما شاهدته هناك استميح القارىء الكريم عذرا لما قد يتصف به وصفى من صراحة رغم انى حاولت ان اخفف ما استطعت ٠

فلسفة رواد المعابد هى ان الانسان يبلغ مرحلة من العمر يكتمل فيها نضج أعضائه وغدده التناسلية ٠ وتنمو حساسيته الجنسية فتكون شغله الشاغل وتطغى على غيرها من الاحساسات الاخرى فلا يفكر الا فيها وتكون لديه كل شىء وبعد وقت يطول او يقصر ،تفتر فيه هذه الغريزة العارمة،فينتبه الانسان الى نواحى اخرى ويتجه الى التفكير الجدى والعبادة ، وكلما ابتعد بنفسه عن دنيا شهواته ارتفعت درجته الى أن يبلغ درجة الكمال ٠

هذه (الفلسفة لم يقتصر وجودها على كتب الديانة أو تلقين الكهنة ، بل مثلتها نقوش مفضوحة ومثيرة للغاية تمثل انواع الاتصالات الجنسية فى أحط المناظر وتماثيل منحوتة من خشب ثمين تظهر رجلا وامرأة أو رجلا وأكثر من واحدة فى مختلف الاوضاع ٠٠٠ هذه التماثيل موجودة خارج المعبد الذى يقصده السياح رجالا ونساء ويطلبون من الوكيل الشرح (بقصد التفكه) على الرغم من انها صور ناطقة مجسمة يندى لرؤيتها الجبين اما العباد فيزورون المعبد بقصد التقرب والزلفى ٠

قادتنى قدماى الى باب صغير ، هو باب المعبد ، كان مقفولا لان الدخول كان ممنوعا حسبما أفادنى الحارس عندما ابديت رغبتى فى الدخول ولكنه عاد فتساهل عندما دسست له بعض الشىء فى يده ، ففتح الباب وطلب منى خلع نعلى ٠

اكتفيت بأول نظرة،وراعنى ما رأيت.٠٠، فتراجعت فى الحال ، وفى مذكرتى وضعت نقاطا فقط عن فضاحة ما شاهدت ٠٠

وللشهوة وتاثيرها فى العقل البشرى شأن كبير ، وخاصة شهوة الجنس ، وما دمنا قد تعرضنا لهذه المسالة فى الهند ، لنذكر شيئا قليلا عن حالات اخرى شاهدتها فى غيرها من البلاد ٠٠

فى عهد الفراعنة، وفى عهد الروم ، وكذلك فى الهند وخصوصا (كالكوتا) حيث تذهب النساء الى معابد جزيرة اليافانتا لاجل الحمل ، لم تكن البكارة تفض الا من قبل الرهبان ، وكان لزاما على المرأة الجميلة أن تقدم نفسها للالهة تقربا وشكرا على منحة الجمال ، وكان عليها ان تعطى جسدها للرهبان المفضلين ، الذين كان لهم شعارهم الخاص يميزهم عمن سواهم ، وكان لهم أعوان ومساعدون ٠

وفى مدينة (بومبى) الاثرية التى تقع قرب نابولى بايطاليا ، رأيت لوحات زيتية فى قصر امبراطور الرومان صورت خصيصا له ووضعت فى غرفة نومه ، هذه الصور تمثله فى شتى الاوضاع مع عشيقاته،ومن بينهاواحدةفكهة للغايةوضعتفى مدخل القصر،تعطىدرسا للرجل الذى لا يزن نزعاته وشهواته بميزان التعقل ، فيكون مصيره أن يفقد كل شىء ما عدا العضو الذى سبب لهالخسارة ، اذ يلازمه طول حياته وهنا فى ايطاليا تمنع النساء من مشاهدة هذه الصور ـ لعل الاعمال التى مثلتها تلك اللوحات هى التى أتت بالنكبة على هذه البلاد وجلبت اليها الخراب ، فقد أصابها الزلزال عندما انفجر بركان (فيزوفيو) وسقاها من حممه ما ابقاها خالية أبدا (ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) صدق الله العظيم ٠

وفى العصر الحديث توجد فى أوربا تجارة رائجة هى بيع الصور الشمسية التى تظهر أوضاعا مفضوحة وقحة جدا ، ورغم تحريم تداولها تباع فى الاسواق السوداء وتلاقى اقبالا من بعض السياح بسطاء العقول،وقداشتهرت هذه العاصمة بتلك الصور فاصبحت هذه عنوانا لها ٠

وفى باليرمو تمثال هو عبارة عن حصان ملقاة بجانبه امرآة ، ويتراءى أول الامر أن المرأة قد وقعت من على ظهر الحصان وركلها فماتت ٠ ولكن همسة من احد السكان تعطى معنى آخر لهذا المشهد ٠

وفى عاصمة من عواصم بلاد العالم ظهرت بدعة ماجنة حيث وضعت على ورق اللعب صورا مثيرة فى غاية الدناءة وتدل على تدهور الاخلاق ٠ فى زوايا الورق يظهر رقم الورقة ونوعها (كوبى ، دينارى ٠٠٠)بصورة مصغرة جدا،ويشاهد اللاعب فى كل ورقة وضعا جديدا لصور نساء عاريات ، والنتيجة هى ان يقتنى فى اليوم التالى مجموعة اخرى للجديد من المناظر ومن المؤسف أن يكون هذا النوع قد تسرب الى بعض البلاد العربية اذ لا يخفى ما ينشأ عنه من آثار سيئة على النشء ٠

ولئن كنت قد خرجت بالحديث عن الهند ، فما ذلك الا للمقارنة ٠

والفرق بين ما وجد فى الهند وما وجد فى البلاد الاخرى فرق كبير ٠ فى هذه صور زيتية أو شمسية أو مجسمة خاصة وضعت لغاية خسيسة كمقدمة أو توطئة للخلاعة، وأما فى تلك المعابد صور منقوشة وتماثيل عرضت للعامة بقصد التبرك والتقرب ٠

معبد القوت

يقصد الهندوس معبد القوت فى بنارس لاجل الصلاة والشكر على منحة الطعام للانسان والحيوان ٠ كان الطريق اليه ضيقا ملتويا يشق حيا قديما ، ورغم وجود الادلاء معنا تاه بعض الرفاق وانقسمنا الى فرق ، ذهبت كل واحدة الى جهة حتى ان بعض السيارات عادت الى الفنادق فارغة ، ولم يكتمل الجمع الا فى الليل ، اما الفرقة التى كنت منها فقد تمكنت من الوصول الى غايتها ومن الجدير تسجيله هنا ان الهنود وديعون لا يخشى منهم اى شىء على السائح ٠ وقد قضينا وقتنا بالهند ولم تحدث لاى منا اية حادثة ٠

اقيم معبد القوت وسط بيت كبير مفتوح للهواء الطلق وفى مركز البيت تماما يوجد مقام قائم بذاته للطواف ، وعلى الحاج هنا ان يركع امام باب المقام كل مرة يمر به اثناء طوافه ٠

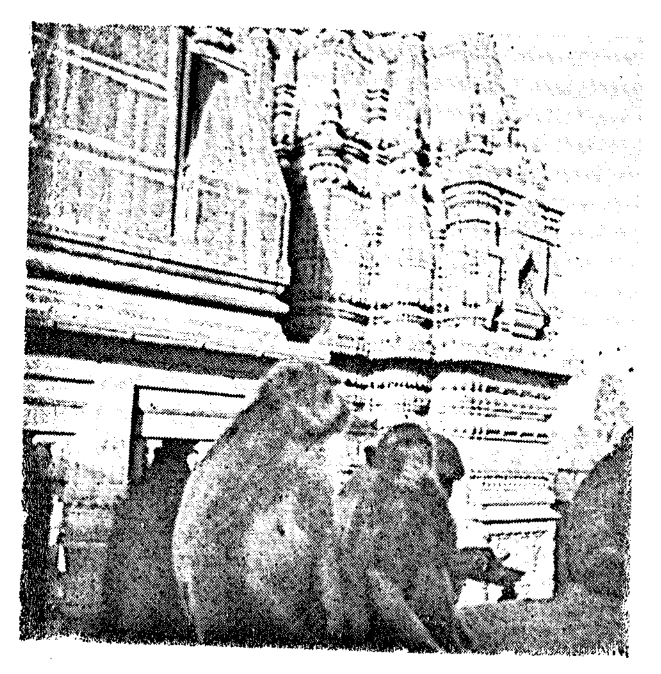
وفى احد اركانه علق جرس طوله نصف متر تقريبا تدلت منه سلاسل حديدية يقوم الطائف بتحريكها كلما

مر بالجرس فتحدث رنينا . وتجدهم اثناء الطواف فى حالة لا شعورية وقد لاحظت بان الطائفات اكثر من الطائفين ، وبينما كنت ارقب الطواف دهشت لمنظر بقرة (وما للانسان ان يستغرب ذلك فى الهند) بينهم تتبختر وتتمايل وتسير معهم احيانا واحيانا عكس اتجاههم أو تقف معترضة طريقهم ، وفى وقفة من الوقفات باعدت رجليها الخلفيتين عن بعضهما واخذت تبول وما ان شعر الحجاج بذلك حتى تزاحموا حولها وتسابقوا يمدون ايديهم كى يصيبها شىء من ذلك البول ليمسحوا به وجوههم كما نمسح نحن وجوهنا بايدينا اذا ما عطرت او رشت بماء الورد . ودام الزحام على هذا الحال الى آخر قطرة ، وقف ينتظرهامن لم يسعده الحظ ومن هذا القبيل علمت بان الهندوسى اذا ما ارتكب خطيئة تستوجب طلب التوبة والغفران وجب عليه ان ياخذاربعة افرازات من البقرة ويحتسيها أو ياكلها . تبعا لحالتها بكل شراهة اعتقادا منه بان ربه عندئذ يغفر له ذلك الذنب العظيم .

معبد القردة

سكانه من القرود الشمبانزى ، استوطنوه من قديم الزمان وتناسلوا فيه فاصبح لهم ، رغم انه لم يكن كذلك من قبل ، هذا هو معبد القردة ويقع فى بنارس كذلك . وعلى الرغم من وجود هذا المعبد وسط مدينة آهلة بالسكان تكاثرت سكانه بغزارة ، طابت لهم الحياة فيه ولم يالفوا الانسان!! . دخلنا المعبد وصعدنا الى سطوحه لمشاهدة القردة فاستغربت وجودنا واطلقت صراخا مزعجا مروعا ولولا يقظة الحراس لفعلوا فينا فعلة شنعاء من عض وتمزيق .

كان المعبد فى الاصل للالهة (دورغا) احدى زوجات شيفا وآلهة القوة (أو الحرب) التى يهرع اليها الهندوس عند قيام الحرب للتقرب بواسطتها الى ربهم وليطلبوا منها



بنارس ـ قبات معبد الاله (دورجا)
اله القوة والحرب ويعرف بمعبد القرود لاحتلالهم اياه

انهاء الحرب بالنصر لهم . ولذلك كانوا لا يغشونه الا نادرا فوجدت القردة طريقها اليه ووجدته خاليا آمنا فبقيت فيه واستوطنته .

فى هذا المعبد يقوم اصحاب الطرق (المشعوذون) بطرد العفاريت من المصابين بها (كما يحدث فى بلاد الشرق عامة) ، وقبل اجراء طقوس الشعوذة يذبح اهل المصاب عنزة يقدمون دمها قربانا للالهة ، واثناء الذبح تردد كلمة «هرقاء» التى علمت بانها بوذية ، ما يدل على ان هذا المعبد خارج عن نطاق معابد (شيفا) اكبر رب للهندوس اذ أن هذا لا يقر ذبح الحيوان مطلقا ولا أكل لحمه .

المعبد الذهبى

هذا معبد لالهة (فيزنو) من الالهـة الثـلاث العظـام يقع فى بنارس وهو من اكبر المعابد الهندية من حيث التقديس ، اذ انه ياتيه الحجاج من كل حدب وصوب فيه تمثال للالهة (شيفا) ، غير انه بوجه (فيزنو)ويسمونه (لورد العالم) بيده مفاتيح يوم مصير العباد • ولقد خرب هذا المعبد فى عهـد الامبراطـور « اوران زيب » الذى جاء ذكره عند الحديث عن (أغـرا) والذى – كما سلف جنى على الحضارة الاسلامية بسجنه ابيه حتى لا ياتى بمفخرة اخرى أعظم من (تاج محل) •

شيد معبد الذهب المهراجا (تدار رمال) سنة ١٥٨٥م وهو احد وزراء الامبراطور محمد الاكبر الذى سبق ذكره عند الحديث عن اغرا والذى هو جد شاه جهان والدأوران زيب ، هذا الاخير بعد ان تخرب المعبد أقام مكانه مسجدا سنة ١٦٦٩ استعمل فى بنائه اعظم اطلال المعبـد وغيـر واجهةالمعبد تغيرا تاما اما من الخلف فقد بقى محتفظا باصله • اطلق على المسجد اسم (اعلام جير) وهو القائد الذى اقتحم المعبد ، ولقد كان للقائد عذر فى اقتحام المعبد وتحطيمه لان الهندوس اتخذوه كحصن وصاروا يصوبون منه ضرباتهم الى الجيش ودافعوا دفاعا مستميتا،وتقديرا للتقدير شيد اعلامجير على حافة الدرج المؤدى الى النهر مئذنة عظيمة شاهقة الارتفاع ، تشاهد عن بعد كبـير ، وسماها باسم الامبراطور «اوران زيب» •

بقيت بنارس بدون معبد « فيزنو » ردحا من الزمن الى ان جاء القرن الثامن عشر ، بعـد سقوط الامبراطوريـة المغولية فى الهند ، حين عملت ملكة مقاطعة (اندورى) « المهرانى اهليا باى » على تشييد معبد اخر بقرب الاول الذى اصبح مسجدا على بعد امتار قليلة منه • وقد قدم المهراجا « رانجيف سنج » من مقاطعة البنجاب كميةضخمة من الذهب قوامها طن تقريبا على شكل صفائح غطت بها القبة والبرج فصار المعبد اسما على مسمى •

فى هذا المعبد يوجد تمثال (شيفا لينقام) وقد اوصل الى داخله الماء من النهر المقدس بطريقة فنية ، والدخول الى المعبد يتطلب النزول فى الماء حتى الكعبة ،كمايستوجب تقبيل اليد بعد وضعها على العتبة ومن لم يشـأ فليكتف بالمشاهدة عن بعد أو من فتحة تطل عليه من الخارج •

بئـر المعرفـة

يقع هذا البئر بين مسجد اعلام جير والمعبد الذهبىفوقه سطح مرتفع قائم على اربعة اعمدة يحافظ عليه ويقى زواره من حرارة الشمس ، قـامت ببنـائه وعلى حسـابها الخاص احدى ارامل بلاد (جافليور) اسمهـا (دولـة راو سندية) كان هذا البئر جزءا من معبـد الذهب القديم ياتيه الحجاج للشرب من مائه بغيـة التبـرك وخصوصـا (فى الوقت الحاضر) عندما يقدم الماء احد النساك يدعى (برامينو)

عن هذه البئر تروى ثلاث اسطورات :

قيل انه فى وقت غابر منيت بنارس بجفاف دام اثنى عشر عاما فخرج اهلها يتضرعون طالبين الاستسقاء وكان على راسهم الورع (ريش) الذى حمل معه عصاة الالهة العظيم (شيفا) وضرب بها الارض عند موقع البئر فتفجـر الماء ثم حفر البئر بعد ذلك ، ولما علم الآلهة (شيفا) بهذه المعجزة القـى بالـورع (ريش) فى قـاع البئـر حيث لا يزال موجودا حتى اليوم فى اعتقادهم •
وقيل ايضا – والظاهـر ان هذه هى القصـة الحقيقيـة للبئر – انه عندما حـاصر جيش اوران زيب المعبـد حتى

اوشك على دخوله حاول بعض المتعبدين الاحتفاظ باكبر تمثال فنزلوا به الى قاع البئر ليامن الغزاة وبعدها تقدس البئر ٠

وفى رواية اخرى ان المسلمين عندما دخلوا المعبد ارادوا ان يدعوا الهندوس الى دين الاسلام بالحكمة والتودد فابقوا لهم قسما من المعبد وطلبوا الدخول والاشتراك فى العبادة ، فقبل الهندوس هذه الفكرة بتحفظ ، ثم صار المسلمون فى كل فرصة ومناسبة يخطفون تمثالا من الثماثيل حتى اتوا عليها جميعا الا واحدا وكان اضخمها وبعد طول الانتظار وتحين الفرص خطرت الفكرة بان يتم التخلص من التمثال الضخم بالجزء فضرب منه عضو بارز ولما وجد الهندوس ان التمثال قد شوه ونقص منه عضو حيوى ، خرجوا من الهيكل ولم يعودوا اليه بعد ذلك وبعد بحث طويل بلغهم ان المسلمين كانوا قد القوا بذلك العضو فى البئر فاصبح البئر محل تقديس واحترام٠

والحديث عن هذا البئر يقودنى الى الحديث عن آبار مقدسة اخرى تتبرك بها الشعوب وتعد من الابار المحفوظة فبالاضافة الى بئر زمزم الطاهر لدينا نحن المسلمون بئر قباء على طريق المدينة المنورة ، وفى الحجاز بئر يدعى (بئر الخاتم)وقع فيه خاتم سيدنا عثمان ، فصار الزوار المسلمون يشربون من مائة للتبرك ٠ وفى حلب شاهدت بئرا أخرى ، اعتقد انها فى قلعتها ، ياتيها الزوار لنفس الغرض ، وقد طال العهد على رحلتى الى حلب فلا يمكننى المزيد ٠

وفى اسطنبول يقال بانه توجد بئر تدعى (بئر الارواح) ويقصدها الزوار للاتصال بارواح موتاهم والتحدث اليهم ويسمونها ايضا (بئر الغائب)

وفى بولونيا بايطاليا شاهدت بئرا ياتيها الناس ، خصوصا عريس وسيم أو عروسة جميلة ، من جميع ارجائها للتبرك وطلب قضاء الحاجات مقابل نقود تلقى فى بئر قليلة العمق يمكن مشاهدتها فى قاع البئر ٠
وفى الليل ياتى القسيسون ، ليجمعوا ما توفر ، والغريب ان هذه البئر تقع فى وسط عمارة البلدية ٠

وفى القاهرة شاهدت بئر سيدنا يوسف ، فى قلعة محمد على وهى بئر يمكن النزول اليها حتى القاع بواسطة درج واسع حلزونى ٠ ويحكى بان هذه البئر كانت سجنا لسيدنا يوسف وتاتى اليها العواقر لطلب الحمل ٠

وكان عندنا فى طرابلس بئر تسمى (القصيرة)وكانت تقع بين شارع ريكاردو وشارع العزيزية سابقا فى محل يدعى (فندق مصراته) موقع (رواق دى بونو) اليوم بين شارع ٢٤ ديسمبر وشارع القاهرة ٠

عند هذه البئر كان الناس يجتمعون لطلب الاستسقاء والغيث وذلك بحضور الوالى والمفتى والقاضى بعد تأدية الصلاة فى احد المساجد ٠ ويقال بأن القاضى كان يصل الى البئر حاسر الرأس حافى القدمين تضرعا الى الله تعالى ان يغيث البلاد ويسقيها بعد جفاف ٠ وكان الوالى يتقدم بعد ذلك ويدلى (بالدلو) فى البئر ليخرج منه بعض الماء ثم يتبعه الحاضرون ويصب الماء فى مجرى يعد خصيصا لهذه المناسبة بوضع الحصا التى جمعها الناس تحت اقواس جامع الباشا - وذلك بعد تلاوة ماتيسر من القرآن الكريم على الحصا - وفرش المجرى به من البئر الى البحر ينساب الماء فوقه . حتى يصل البحر كانت هذه العادة متبعة فى طرابلس ثم انقرضت بزوال البئر ؛ وحكاية هذه البئر مع حكاية بئر الارواح السالفة الذكر نقلتها عن والدتى .

ثور شيفا

هذا ثور من حجر ؛ عظيم الحجم والصنع . فى القرن التاسع عشر أمر ملك النيبال بصنعه وقدمه الى الالهة شيفا لان هذا الحيوان محبب اليه كما أمر بوضعه مواجها لمعبد الذهب ؛ بحيث يكون عجزه مقابل مسجد أعلام جير ؛ وقد قصد من ذلك أظهار الحقد والضغينة ؛ رغم أنه لم يكن من الهندوس وبعمله هذا أتى بشىء يخالف تعاليم الديانة والمباديء الهندوسية التى تحترم كل الاديان وتحث على التسامح فى كل شىء على هذه المباديء لايزال الهندوس حتى اليوم .

سرنات

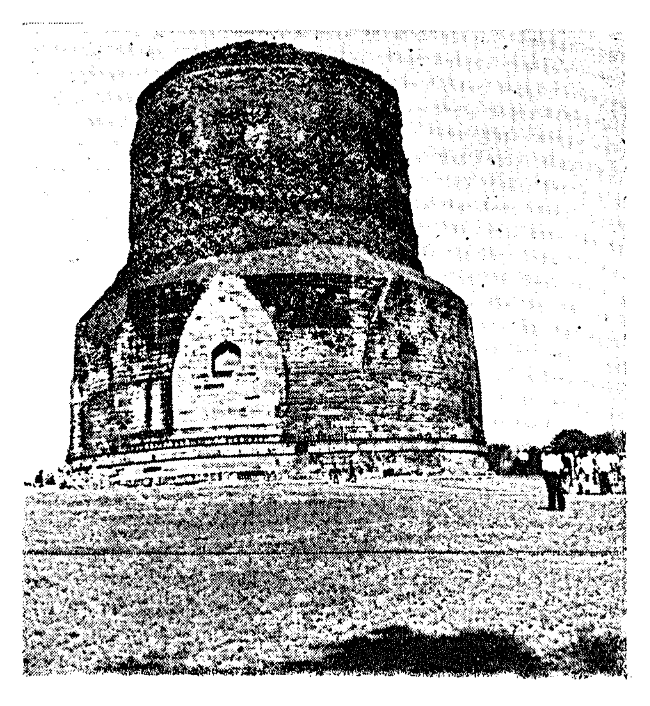
على مسافة ثمانية كيلو مترات من بنارس تقع سرنات مهد الديانة البوذية ومنبعها ؛ هناك بشر بوذا بدعوته وشيد فيها صومعته التى لم يبق منها الا بعض الركام وعلى مسافة قريبة يوجد عمود (اسوكا) وعليه أربعة رؤوس لاسد واحد اتخذ مؤخرا رمزا للعلم الهندى بعد الاستقلال

وقد وضع هذا الاثر القيم فى متحف سرنات الذى يضم عددا من الاثار البوذية اتخذ هذا التمثال البوذى شعارا قوميا للهنود ؛ رغم أن البوذيين أقلية ضئيلة فى الهند ؛ اذ يكثر عددهم فى الصين وهذه الحقيقة تظهر بجلاء انعدام التعصب للدين أو العنصر فى الهند ؛ ذلك (التعصب) الذى اتخذ أساسا لتقسيم الهند الى قسمين :- البكستان وهى على قطعتين الشرقية والغربية ويفصل بينهما حوالى ١٥٠٠ ك م وتضم المسلمين ، والهند وتضم جميع الهنود والكثير من المسلمين وقد دخل بعضهم المناصب الهامة فى الحكومة كالوزارة .

وكان السبب فى ذلك خطأ فى تقدير الزعامة ومعناها ، فقد حبذ الاستعمار الانقسام ووجد من المسلمين من اقتنع بذلك فكانت النتيجة أن انقسمت البلاد وتشتتت قواها فخسر الطرفان وكانت خسارة الباكستان اكبر،هذا هو رأيى الخاص المتواضع ، ولعل الكثيرين ممن اتسعت آفاقهم فى السياسة يرون غير ذلك ، على أن طبيعة الاستعمار وعادة المستعمرين ما فتئت تعمل جاهدة حتى تترك البلاد المستعمرة مقسمة مشتتة وفى سبيل ذلك تستغل ما تيسر لها استغلاله من اختلاف الطوائف والمذاهب والقبائل الى الانقسام ،ومن راينا ان الاستعمار هو اصل الداء فى العالم ومسبب متاعبه ، وحتى اذا سلم مقاليد الامور فى ايدى ابناء البلاد فما هو بخارج عن العادة ولاهو بمستغن عن اللقمة وانما هو اسلوب جديد وطريقة مثلى تمكنه من المحافظة على نفوذه اكثر .

عفوا ان خرجت عن الموضوع فقد اصر ذلك الاحساس على ان يثبت وجوده فى اول فرصة غير عابىء بوصف الاثار والحديث عنها .

كانت سرنات مجهولة الى سنة ١٧٩٤ حين تم اكتشافها ؛ أما قبل ذلك فقد جر لها الخراب تتابع الحروب بين الهنود والمغول ؛ ثم بقيت ميدانا للصيد مدة ستة قرون .



سـرنـات ـ هيكل (داميـك سـتـوبا) بني تخليدا للمحل الذى قضى فيه بوذا اول فروضه الدينية

أول ماا كتشـف فيها هيكل (داميـك ستوبـا) أو منارة (الجاكندى) ـ الانسان الاول كما يسميها السياح ـ ، اكتشـف هـذا لبـروز قمته التى شيدت مـن قديـم الزمـن وجعلت نصبـا تـذكـاريا لبوذا فـى احدى المناسبات يبلغ ارتفاعهـا مائـة وثـلاثـة واربعيـن قدما وهـى عظيمة جـدا عليها نقـوش تشيـر الى عهـد بوذا وبناؤهـا مـن الحجارة ؛ والاجـر المسلح بالحديد ولذلـك تعـذر تحطيمها

عـلى كـل مـن دخـل لتخريـب سرنـات، وبقيـت قـائمـة شامخـة ساخرة مـن تـوالى الدهر والغزاة، يقـولون بان بوذا سيـرجـع يـومـا ما الى هـذا الهيكـل المنيف ويتخـذه مـركـزا لنشـر دعوتـه من جديد .

لـم اشاهد لهـذا الهيكـل او هـذه المنارة بابا ؛ وكان بالقـرب منهـا أثار اخرى وجد بداخلها صندوق مـن الرخام الاخضـر يحتوى عـلى جزء مـن عظـم انسان قيـل انـه لبوذا .

كمـا عثـر فيـه على بعض حبات مـن اللؤلؤ ؛ وبقـرب الاثار منبـر حجـرى كـان بوذا يخطـب مـن فوقـه فـى أتباعه ومـريديـه ؛ ومن بيـن الاطـلال كـذلـك ديركـان بوذا يتعبـد فيـه وقد خرب ـ كما يظهر بسبـب الحريق ـ وعـلى مقـربـة مـن الاطـلال المبعثـرة يـوجـد متحف جمع فيـه ما امكـن جمعـه مـن بقايا الاثار ؛ وهى عبارة عـن تمانيـل حجـريـة لبـوذا فـى اوضـاع مختلفـة وعـدد كبيـر مـن الاحجـار منقـوش عليها تعـاليـم بوذا ؛ وكـذلـك العجلـة الدينيـة الحجـرية التـى ترمز الى تفكير بوذا واستنباط مبادئـه حسبما فهمت ؛ ولايوجـد فـى هـذا المتحف شـىء ذو قيمـة فنيـة أو ماديـة وان وجدت فيـه تـلك الاشيـاء التـى لهـا قيمتهـا التـاريخيـة .

هنـاك كذلك منارة هميون التى بناها ابنه محمد الاكبر تذكارا لـزيارة والده الى سرنـات ؛ وقد كتب عـلى مدخلها باللغـة الفارسية تذكـرى تـلـك الزيارة التـى تمـت سنة ٥٨٨ [illegible] أو الصـومعـة شيدت عـلى صخـرة

كبيرة جدا اسمها (ستويا) جعلتها تشرف على القرى المجاورة ؛ ولهذه الصخرة معنى تاريخيا اخر اذ يقال بأن بوذا اجتمع فوقها بخمسة أشخاص بؤساء كانوا قد هجروه من قبل فجددوا عهدهم وايمانهم .

بوذا

هو باعث ديانة (النرفانا) ومعناها السكينة أو الفناء ؛ والمعنى الحرفى للكلمة هو (الغيبوبة) .

كان بوذا فى القرن السادس قبل الميلاد اميرا يحمل اسم (جوتاما) ؛ وكان ولى عهد الملك (سود وهانا) ملك قوم (سكيا) التى كانت بلادهم متاخمة لحدود هملايا ترك الامير بلاده ونزل الى عاصمة (كبيلة نستو) حيث بدأ يعيش فى رفاهية وخلاعة متزايدة مما حمل اباه على ان يرسل اليه الكهنة المرموقين ليكونوا فى معيته وينصحوه بالكف عن غيه وباتباع الصراط المستقيم . وبعد ذلك بوقت قصير تغير الامير تغيرا كاملا واصبح يفكر فى عالم اخر وملكوت ثان ؛ ورجع الى وطنه ولكنه ذهب الى غابة تسمى (دير) وبقى مع العباد والنساك ردحا من الزمن يطبق الاديان ويعمل على توحيد مذاهبها المتباعدة حتى هداه تفكيره الى الحل المنشود عند ذلك بدأ عبادته العميقة ؛ كما بدأ فى تسويغ فكرة تجريد الذات من الكل . وقد قيل بانه بقى على هذا الحال وبدون اكل لمدة ستة اعوام ؛ وبعد تلك المدة الطويلة تناول لاول مرة حليبا وارزا .

وما أن سمع أبوه حتى ارسل اليه وفدا من علية القوم لرده عن هذا الشذوذ ومطالبته بالعدول عن عزلته وانقطاعه للتعبد لان ذلك لم يكن من مقومات الملوك ؛ وتبعا لذلك لم يكن ليمكنه من الجلوس على العرش فيما بعد ؛ ولكن الوفد رجع خائبا فاشلا فقد بلغ من تصميم الامير واندماجه في الحياة الجديدة ان تخلى عن الامارة ؛ بل ان غير اسمه لكى يتحرر من كل صلة له بالامارة والملك واتخذ لنفسه اسم بوذا وكرس حياته من بعد لخدمة البشرية عن طريق آخر طريق آمن بخيره وصلاحيته فاتبعه ودعا الى اتباعه .

قرر بوذا الرحيل من (فايا) الى (سرنات) والمسافة بينهما حوالى اربعمائة كيلو متر قطعها بمفرده راجلا وقضى فى ذلك شهرين كاملين . وعند وصوله الى سرنات صادف خمسة فقراء تظاهروا له بالزهد ؛ فشرع فى عرض تعاليمه فى احدى الليالى المقمرة من شهر يونيو سنة ٥٢٢ قبل الميلاد . عندما وقف بوذا وقفته التاريخية قرب شجرة (يو) الشجرة المباركة عند أتباعه ونادى بمبادئه وفلسفته . كانت تلك الوقفة بداية لاول عهده بالنكبات وساعات الحرج التى لابد من وجودها فى أغلب الاعمال التأسيسية فبعد ان ارتاح ضميره واستبشر باول أتباعه الخمسة تخلى عنه هؤلاء وفروا من سرنات فكانوا كمن قال : صلى وصام لامر كان يقضيه .

استمر بوذا فى (تدوير عجلة الدين) حسب تعبيرهم حتى نشر تعاليمه منها المساواة بين الخلص

ومحاربة نظام الطبقات والنية الحسنة والروح الطيبة ولهذا كثر معتنقو البوذية شيئا فشيئا وبقيت الهند ثمانية قرون تحت سيطرة الديانة البوذية وانتشرت فى أغلب اطرافها حتى وصلت الصين واليابان ثم بدأت الهندوكية تعمل ضدها حتى ابعدت أتباعها ولم يبق منهم اليوم الا تسعة آلاف من بين كل مليون بالهند

والان يوجد أغلبهم فى الصين وبعضهم فى اليابان والقليل منهم فى الهند . أما تعاليم بوذا فمصدرها كتابى (فيدا) و (ابراما) .

معبد هرقاء الصينى

شيد هذا المعبد بين مدينة سرنات القديمة وبين المدينة الجديدة سنة ١٩٣٢ وقد جاء هذا المعبد فنا مبتدعا فى هندسة وتصميم المعابد ؛ وطرازا مبتكرا فى الشكل والتصوير الزيتى من الداخل عملت على تشييده جماعة (محبوذى) وهم من الصينيين واليابانيين التى اتت بمهندسين وفنيين من بلاد اليابان كان على رأسهم الفنان (كوسينيتسو) واستمر العمل فيه مدة خمس سنوات . ومن محتويات المعبد الكثير من الصور التى تمثل بوذا فى عدة اطوار حياته الفردية والعائلية والغريب ان النساء فى هذه الصور شبه عاريات ولعل ذلك كان لاظهار تأثر بوذا بحياته الاولى قبل الزهد والانقطاع للعبادة

وعند الدخول الى المعبد يمر الانسان فى رواق مكشوف الجانبين علق فى وسطه ناقوس بقربه يتدلى عمود علق فى السقف من طرفيه لكى يكون فى وضع افقى اذا دفع الى الامام احدث تصادما ورنينا للناقوس وعند مرورى بالناقوس قمت بدفع العمود ؛ وكان موقفا ظريفا اذ هرع احد الكهنة عند سماع الناقوس ؛ وقبل نحوى مرحبا بى ظانا انى من الاتباع جئت من البقاع البعيدة للتبرك والعبادة . . .

وتوجد بجوار المعبد بعض الاشجار يقال بانها من سلالة تلك الشجرة التى وقف بوذا تحتها يوم بشر بتعاليمه لاول مرة .

فى شهر نوفمبر من كل سنة ؛ وفى ليلة من لياليه المقمرة يقام مهرجان فى هذا المعبد يأتيه الكهنة من شرقي آسيا بدعوة من جماعة محبوذى .

كلكتا

تقع كلكتا على خليج بنغالة حيث يكون نهر (هوغلى) جزءا متمما للبحر تدخل فيه السفن لمسافة كيلومترات وهى من أعظم موانى الهند وكانت فى عهد الاستعمار ثانى اكبر مدينة فى الامبراطورية اسسها سنة ١٦٩٠ (جوب تشانوك) وكيل الشركة التجارية للهند الشرقية واطلق عليها اسم احدى الضيعات الثلاث التى كانت فى ذلك الموقع (كاليكاتا) ثم حرفت الى الاسم الذى تعرف به المدينة الان (كلكتا) واتخذت فيما بعد عاصمة للهند .

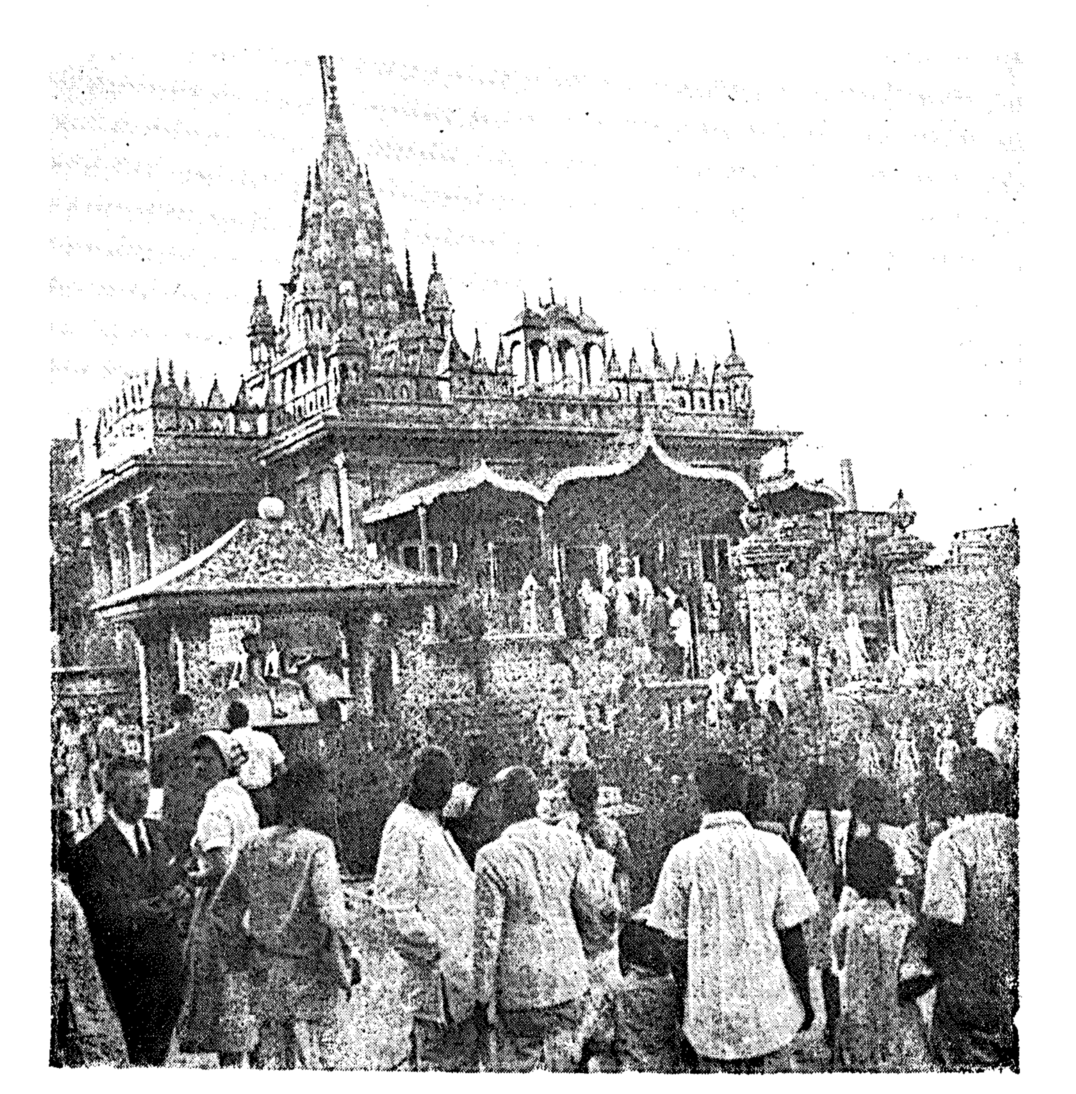
تزدحم هذه المدينة الشاسعة ازدحاما شديدا . تسكنها جموع من كل الاجناس جاءوا اليها من الشرق والغرب لاجل التجارة والصناعة ، فطابت لهم الاقامة فيها واستوطنوها ، وبها عدة معامل عظيمة فيها كذلك عدة مناجم تعمل باستمرار . وقد منحتها الطبيعة ميناء قل ان يوجد مثيله في غيرها من المدن . وكلكتا بلاد حديثة ولذلك انعدمت الاثار فيها اللهم الا ما خلفه الاستعمار البغيض من تماثيل ونصب تذكارية ومن آثار حية هي الملايين من البشر وماتعانيه من الجوع والفاقه والعري والحرمان ؛ كتل متراصة من الناس في الشوارع وفي الميادين تتخذ من أعظم الجادات سكنا لها اشباح من البشر يطبخون ويأكلون وينامون في الطرقات العامة . عائلات بكاملها : الام والرضيع والزوج الذى جعل من دراعه وسادة لاولاده .

هناك عندما كنت اعود بالليل الى فندق (الغراند هوتيل) وهو من أعظم الفنادق في الهند كنت اضطر الى الذهاب راسا الى مدخل الفندق من الشارع من غير ان اسير على الافريز تحت الاقواس وبذلك كنت اتفادى التعثر فوق الأجسام . لذلك لم استغرب عندما سمعت بان هناك سيارة خاصة تتجول في الصباح الباكر لتحمل الاموات من الشارع قبل أن يطلع النهار وتظهر اعراض التعفن . وقد زاد الطين بله تدفق اللاجئين الهندوس بصورة مستمرة من القسم الشرقي للباكستان .

في هذه المدينة ذات يوم بعد الحرب العالمية الثانية ظهر شعب كلكتا باكمله في مظاهرة سلمية مطالبين بالاستقلال ؛ وكان على رأس تلك الظاهرة الزعيمان غاندى ونهرو ؛ ولما ظهرت عليهم دبابات المستعمرين الكبيرة محاولة تفريق الجموع المحتشدة ؛ رفع غاندى صوته طالبا من الجماهير عدم افساح الطريق للدبابات الزاحفة ؛ والصمود امامها ؛ صمد الناس ولم يفسحوا الطريق للدبابات وتقدمت هذه ؛ وسارت على الاجساد حتى سمع للعظام دوى رهيب . ولما شاهد رجال الدبابات ذلك ؛ قدروا التضحية ونزلوا منها وتركوها بين الجماهير قائلين : ان شعبا هذا شعوره وهذه طاعته لزعمائه يجب ان ينال استقلاله . وكان ذلك فعلا العامل الاكبر لنيل الهند استقلالها .

جامع الناهورة : هناك في كلكتا مسجد يدعى جامع (الناهورة) لم اتمكن الحصول على ترجمة اسمه ولعله تحريف (جامع الناعورة) ؛ رأيت ان اذكره لاتساعه ، شيده مسلمو الهند ويتسع لعشرة الاف مصلى وقد شيد هيكله من الخارج على شكل ضريح الامبراطور هميون .

معبد جاك : شيد سنة ١٨٧٦ : وسط بستان قديم ويرمز الى احد صغار الالهة من ألاسرة الرابعة والعشرين اى من سلسلة الاحفاد . وقد اطلق عليه اسم احدى زوجات (شيفا) - كالى - وهو مزخرف الجدران ومرصع بالمرايا والزجاج وبعض الحجارة ، وقد جاء كل ذلك حشوا لا تنسيق فيه ولا فن يذكر . فيه قنديل زيت ما زال يشتعل منذ افتتاح المعبد ، اى منذ ثمانية وثمانين سنة



معبد ـ باراشوانات جاك ـ كله مصنوع من الـواح الزجاج ويقع فى اجمل بستـان بكلكوتـه

له قيمان لتزويده بالزيت باستمـرار ، وحول هذا المعبـد يجتمع اصحـاب العاهـات ومشوهـو الخلقـة منهم مـن يتعمد قطع اصابعه او اكل يده للزلفى ۰ يدفعهم الى ذلـك اعتقادهم بانه كلما زاد الالم زاد الاجر حتى انهم يتعمدون

استمرار المرض وابعاد الشفاء ويبقون الدم ينـزف شيئـا فشيئا • ويترك بعضهم اظافـره طول العمـر دون تقليم • هناك يصادف الزائر بعض الكهنة معفرة وجوههم واجسادهم برماد الموتى • الى هذا المعبد تـذهب النسـاء العقيمات طالبـات متوسـلات الى زوجة الالهة (شيفـا) أن ترزقهن اولادا •

مع عائلة من النيبـال (درجلين)

درجليـن

درجلين بلاد جبلية تصلح للاصطياف وتقع على ارتفاع ٢٣٠٠ ، متر سكانها اغلبهم من النيبـال والتيبت والبعض من الهنود ، ويقصدها بعض السيـاح لما فيها من جمـال الطبيعة والعادات الغريبة والصنائع المحلية ، طقس هـذه البلاد بارد جدا لارتفاعها رغم ان زيـارتنـا كانت فى شهر مارس • وقد كستها الطبيعة جمـالا خلابـا وانبتت فيهـا أشجارا متنوعة عديدة شوارعها مدرجة والطريق المؤدية اليها من بلاد (بقدقرة) حيث نزلنا بالطائرة ، والبالغ طوله مئة كيلومتر صعب وضيق ، وسارت السيارات الصغيرة بنا فى هذا الطريق لمدة تزيد على ثلاث ساعات وكلماتقابلت سيارتان كان على واحدة ان تقف وتفسح المجال للاخـرى وزاد ذلك تعقيدا وجود عدة تقاطعات لوجود السكة الحديد وتعدد القاطرات الجبلية مما اضطر السيارات الى التوقف المتكرر • وهذه القاطرات صغيرة جـدا صنعت خصيصـا للجبال،وفى كل واحدة عاملان جالسان فى المقدمة وينثران طول الوقت مادة على القضبان • وتـدل حركة القـاطرات هذه على وجود معادن ومواد اولية فى هذه الجبـال وبعـد درجلين توجد غابات كثيفة لا يزال الكثير منها مجهولا •

وعلى الرغم من صعوبـة الطريق والسـاعات الثـلاث التى يقضيها الانسان فى قطعها فانه لوقت ممتـع حقـا لا يمكن للسام ان يتسرب الى النفس خلاله •

لا يمل المرء الطريق والسير الهوينا لان المناظر الجميلة الخلابة تتابع وتتغير ولولاها لكان خوف الانسان شديدامن وعورة الطريق والخطر المحدق من كل جانب وقد اكتسب سكان هذه البلاد خبرة فائقة فى تسلق الجبال •

كنا قد تناولنا طعام الافطار فى كلكتا تحت المـراوح الكهربائية ، وعندما تناولنا طعام الغذاء هنا فى نفس اليوم كان محظوظا من كانت مائدته قرب احدى المدافىء المنتشرة فى كل جـانب • وفـى غـرف النـوم توجد «مـدافىء»

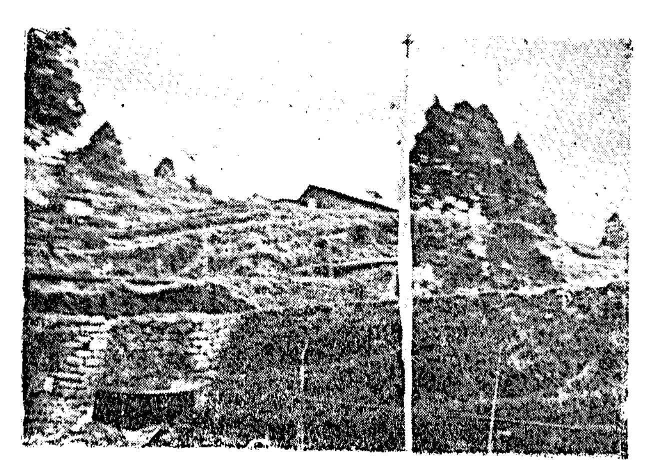
قرب السرير يحترق فيهافحم الكوك ، وفى السرير ـ معذلك ـ وضع كيس من المطاط مملوء بماء ساخن حتى يتمكن الانسان من دخول الفراش دون خوف من قشعريرة البرد.

ومن الغريب فى هذا البلد هو ان للمرأة الحق فى اكثر من رجل ، ولها ان تضم فى بيتها اكثر من اربعة ازواج حتى ولو كانوا اخوة ، بقصد ضم شمل العائلة وقد سأل أحدنا امرأة صاحبة متجر مع جوزين لها اخوين عن نسب الاطفال فقالت انها تفضلت بنسب طفل الى الاخ الكبير وسيأتى دور الصغير ـ مستقبلا ـ وكل آت قريب.

فى درجلين يوجد معبد لالهة الجبال ، الذى استعمل منه قسم كمكتبة ، وفى هذا المعبد عدة طبول واجراس متناثرة وفيها قيم وعندما سألته عن مرتبه الشهرى اجاب بانه كان يتقاضى اربعين قرشا شهريا فقط وخيل الى انه ذكر تلك القيمةالقليلةحتى اعطفعليه وادفع له (بكشيشا) كبيرا غير أننى بخلت لاول مرة ولم ادفع شيئا لكيلا افسد طبعه .

وفى كل جهة من البلدة يشاهد الانسان اعمدة خشبية طويلة ؛ تتدلى من قمة كل منها قطعة طويلة من القماش حتى تصل الارض وكلها مكتوبة بلغة لم اكن اعرفها طبعا .

ومن قمة النمر المرتفعة عن درجلين بثلاثمائة متر يمكن رؤية قمة جبل افريست وقت الشروق (اذا لم يسبق ذلك غروب المشاهد من شدة البرد القارس) رغم وجود شيء من الاستعداد فوق تلك القمة كالشاي والقهوه تقدم داخل منارة صغيرة يصعد اليها الزوار لمشاهدة قمة جبل ايفريست



درجلين ـ احدى الرايات الكثيرة التى تنادى اهل التيبت الى العبادة والنسك

ويبعد هذا الجبل على القمة ب ١٣٠ كيلو متر ولكن المؤسف جدا هو ان الغيوم لازمتنا وحجبت الشمس عنا فرجعنا بخفى حنين (والبرد فى الجانبين) بعدما تكبدناه من صحونا عند الرابعة وتغيير السيارات مرتين ؛ وأستعمال سيارة الجيب فى المرة الاخيرة بالطريق الضيقة التى تسع سيارة واحدة فقط كل ذلك والطريق من درجلين الى قمة النمر لا تزيد على عشرة كيلو مترات فقط ثم عانينا كذلك عندما بارحنا درجلين الى بلاد بقدقره التى يجب على الذاهب الى درجلين بطريق الجو ان يهبط فيها كما ذكرت من قبل . ولم نمكث فى بقدقرة لاننا ركبنا السيارات حال نزولنا من الطائرة ذهابا ورجوعا ؛ على انه لفت نظرى شيء فى هذه البلاد وهو أن بعض النساء يلبسن ازياء تكشف عن ظهورهن

مدراس

معبد «كاب زليزوزار»
ويعد من اكبر معابد شيفا
ويلاحظ من هذه الصورة
تعدد التماثيل الرخامية
المتراصة لكثرة عددها

وقسم كبير من صدورهن ؛ ويظهر ان الغربيات اخذن ملابس السهرة (السواريه) عن نساء هذه البلاد اللواتى لم يقصدن من ذلك الموضة ونشرها فى الطرقات فالبلاد معتدلة الطقس وانما كان طبيعيا بالنسبة لهن .

مدراس

عاصمة جنوب الهند وتعد من أكبر الموانى الواقعة على الساحل الشرقى للهند ويبلغ طول شاطىء ولاية مدراس ٢٦٦٦ كيلو مترا وعدد سكانها ٥٧

مليـون نسمـة منهـــم مليـون ونصـف فـى العـاصمـة ؛ شوارعهـا واسعـة لاتضاهيهـا وسعـا اى بـلاد اخـرى مـن بلاد الهنـد ويبلـغ مجمـوع طـول طـرقهـا المعبـدة حوالى ٢٨ الف كيلو مترا ؛ ويقسـم مـدراس الى شطـريـن نهـر (كـووم) .

ومازالت مدراس محتفظة بطـابعهـا التـاريخـى مـع أنـه لا تنقصهـا اوجـه الحيـاة والامـاكـن العصـريـة الحـديثـة وتاريخهـا يعـود الى القـديـس (كير فال فاز) الذى وضـع ملحمـه شعـريـة تعـرف (بالكـورال) ويقـال بانهـا مـن روائـع الشعر «التـاملى» .

فيهـا معبـد (كاب زليز وزار) لشيفـا ؛ شيـد سنـة ١٧٧٨ وهـو يختلـف عـن المعـابـد الاخـرى المعروفـة ويـوجـد منهـا الكثيـر فـى الجنوب ويتـألف مـن قوس نصـر فخـم جدا ؛ ركبت عليه مـن كـل نـاحيـة تماثيـل متـراصـة ارتفـاع كل واحد منها اكثر من مترين تمثـل صور بشـر وحيوانـات مختلفـة ويحاذى القـوس سور مـن الجانبيـن بـداخلـه معابـد اخـرى مـن بينهـا معبـد الشهوات عـلى المكشوف فـى الفضـاء وهـذا صغيـر بالنسبـة لمعبد بنارس السابـق ذكـره .

وقرب هـذا المعبـد بـركـة احـد القديسيـن يصلهـا المـاء مـن النهـر ويستعمـل للاغتسـال قبـل الشروع فـى الطقـوس .

والبستـان الاثـرى فـى مـدراس فيـه شجـرة عظيمـة لـم أشاهـد شجـرة فـى مثـل حجمهـا بـل ولا حتـى فى ربـع حجمهـا ابـدا . فهـى دوحـة نـادرة الوجود ؛ يمكـن ان يستظـل تحتهـا اكثـر مـن الفـى شخـص بمقـاعـدهـم ومـوائـدهـم . وهـذه الشجـرة مـوجودة مـن قبـل ميـلاد السيـد المسيـح وفـى البستـان مـركـز هـام للفـلاسفة للبحـث والتدوين ، منهم من كرس نفسه لدراسة توحيد الاديان والتقريب بيـن وجهـات النظـر فيهـا .

وفـى مدراس لاتمطـر السمـاء الا نـادرا ؛ كمـا هـو فـى (مرزق) وغيـرها من بلاد جنوب ليبيـا . يكثـر نخيـل جوز الهنـد ؛ وفـى الطـرقات تحـت النخيل المرتفع الباسـق تباع غلتـه (فجـة لـم تنضج) يكتفـى الانسان بشرب سائلهـا وهـذا النخيـل يمكـن استخـلاص سائـل مـن قمتـه ؛ كمـا يتـم الحصـول عـلى شراب (كـاللاقبى) مـن النخيـل المعروف عنـدنـا بطـرابلس الغرب .

بنغلورى

بنغلورى ومعنـاها (بزلا مطبوخـة) هـى عاصمـة مقاطعـة (مايسورى) ليس فيها من اثار التـاريـخ القديم شـىء يـذكـر ؛ فكـل ما فيها حـديث .

اسسـت سنـة ١٥٣٧ وهـى بـلاد صنـاعيـة كبرى من بيـن مصانعهـا مصنـع السكـر العظيـم الذى منـه تمـون الهنـد بهـذه المادة ؛ وكـذلـك مصـانـع الطـائـرات والتلفونـات والنسيج وغيرهـا وفيها ايضـا عـدة منـاجـم منهـا منجـم (كولار) للذهـب ويعـد اعمق منجـم فـى العـالـم .

بهـا عـدة نوادى رياضيـة تامـة التجهيـز يمارس فيها

الهواة والمحترفون جميع انواع الرياضة وتعد بنغلورى اول بلاد فى الهند من حيث الثقافة والفنون الجميلة .
ومن مواقع الجمال فيها بستان لايوجد له نظير فى آسيا كلها ويحتوى على مجموعة من جميع انواع الازهار فى العالم ؛ وهذا هو بستان (كربوبارك) أو (اللباق) كما يسمى ايضا ، وهى كلمة محرفة على ما اعتقد من كلمة (باقة) بالعربية اسسه حيدر على وابنه السلطان تيبو فى القرن الثامن عشر ؛ وما زال مستعملا حتى اليوم لتنمية الازهار وتنسيقها .

ومما يلفت الانتباه فى بنغلورى اشكال قرون الثيران تلك الاشكال التى جعلتنى اعتقد بان اصحاب الثيران يتحكمون فى التوائها من صغرها . واغلب القرون مصبوغة بعدة الوان وفى نهاية كل قرن حلقة نحاس

ميسوري

سميت هذه المدينة باسم المقاطعة ؛ وهى تبعد عن العاصمة بنغلورى بمسافة ١٢٠ كيلو مترا تقريبا قطعناها بالسيارات حتى وصلناها . وفى الطريق قابلتنا اسراب القردة وهى تمرح وتسرح حرة طليقة وكان صغارها تتعلق بامهاتها . وكانت تتسلق الاغصان رغم ذلك بكل خفة .

السلطان تيبو

شاهدنا كذلك فى مقاطعة (زريران كبطنا) الاستراحة الرائعة التى شيدها السلطان تيبو ليقضى فصل الصيد فيها ؛ وقد سماها (دار الدولة) . توفر فيها الهواء النقى والماء العذب ومناظر الخضرة وكذلك الكثير من وسائل الترف تم تشييدها من الخشب الثمين سنة ١٧٨٤ وفيها صور زيتية لوقائع حربية خاضها السلطان نفسه واخرى خاضها ابوه حيدر على ؛ ولاتزال الصور محتفظة بلمعانها الاصلى والوان بعضها ذهبية وهى كلها غاية فى الذوق والروعة وتعطى فكرة جميلة عن الحروب القديمة والمعارك التى استعملت فيها الفيلة ؛ وكان البطل السلطان تيبو قد اطلق عليه لقب حامى الاسلام ولو كان عندى لقب ارفع لكنت نعته به، انه يستحق كل أعجاب وتقدير

وبعد مسافة بضعة كيلو مترات وصلنا الى الضريح الذى شيده السلطان (تيبو) لوالديه حيدر على وفاطمة وهو ضريح جميل متواضع لا يتصف بالاسراف فى البناء نسبيا ؛ فيه قيمان يسهران على خدمته دائما يتلوان القرآن ويقومان بحرق البخور باستمرار حتى يومنا هذا وقد كتبت على مدخله الاية الكريمة «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وللضريح صحن متسع جدا فيه قبور اخرى .

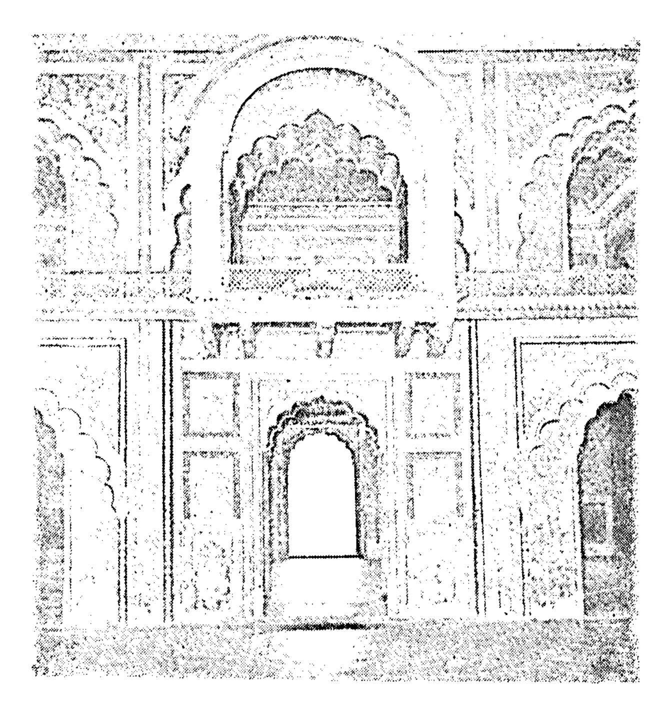
كان السلطان (تيبو) العدو الاول للاستعمار فقد قاوم الانجليز مقاومة عنيفة وانضم اليه كذلك شباب التحرير الهندى فى حروبه التى شنها على الانجليز لابعادهم، حاول جاهدا وعمل الكثير من اجل تنفيد خططه لدرجة انه استنجد بنابليون بونابرت وطلب منه مساعدته ؛ واراد نابليون ان يمده بالجيش والعتاد ولكن شيئا من ذلك لم يصله لاسباب يذكرها

التاريخ ؛ كان ذلك فى سنة ١٧٩٩ استعد الانجليز استعدادا هائلا وارسل القائد اللورد وليزلى - دوق دى فلينتش ليضرب ضربته القاضية ؛ وكانت معركة من اكبر المعارك واعظمها التى عرفتها الهند ؛ تكبد فيها الطرفان خسائر جسيمة حتى فى المدنيين من النساء والاطفال اذ ان المعركة تحولت الى معركة انتقامية اكثر منها معركة احتلال . وهذا القائد هو نفسه الذى دمر جيش نابليون فى معركة بلجيكا وكتب له ان ينتصر فى هذه ايضا . وبعد استشهاد السلطان (تيبو) دفنه الانجليز فى الضريح الذى شيده لوالديه من قبل ووضعوه بالقرب منهما ، وقد شاهدت القبور الثلاثة عندما زرت الضريح كما اسلفت

قبل دخولنا الى ميسورى ذهبنا لمشاهدة اطلال قلعة كبيرة شيدها الفرنسيون ، واول ما يشاهده المرء عند الطلوع الى (ميسورى) الكبيرة التى تتجمع المياه فيها وتشكل بحيرة وتوزع المياه على مختلف انحاء المقاطعة للرى – حسب حاجة كل ناحية – نزلنافى فندق قرب فتحات السد التى تتدفق منها المياه بقوة تحدث دويا وكانها شلالات تتدفق من اعلى .

وتحت السد اقيم بستان غاية فى الذوق والتنسيق فيه عدد كبير من الفسقيات المختلفة الانواع تشكل بسبب الضغط وارتفاع السد تيارات متقاطعة من الماء الى كل ناحية وفى بعض الليالى يسلط النور على البستان فيمتزج بالماء ويعطى لمعانا متعدد الالوان .

ولمقاطعة ميسورى ، كما لغيرها من المقاطعات مهراجا



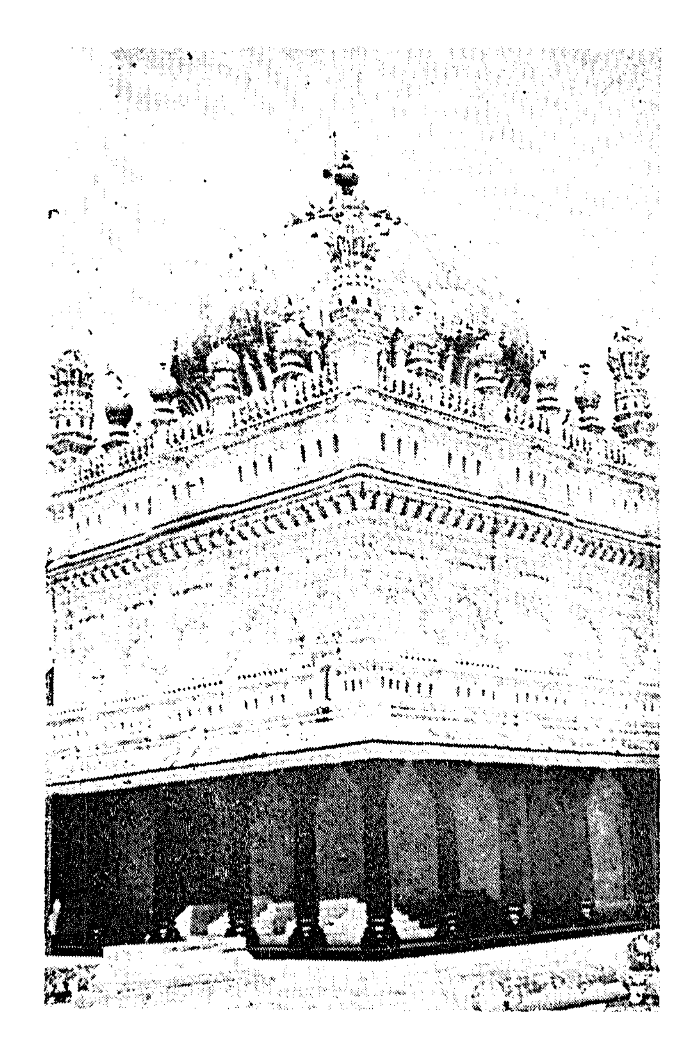
سريرنجبتان (مقاطعة ميسورى) استراحة دار الدولة التى شيدها البطل سلطان تيبو

اسمه (دازارا) قمنا بزيارة قصره الهائل الذى كان علينا ان ندخله حفاة . وجدناه قصرا كبيرا لا ينقصه شيء فيه متحف يحتوى على حيوانات مفترسة محنطة ، كان المهراجا قد اصطادها بنفسه . وفيه متحف للاسلحة البيضاء القديمة وهو فريد فى نوعه وفى هذا القصر لكل مناسبة صالات خاصة ، وفيه مدرج يشاهد منه المدعون الالعاب الرياضية البهلوانية . وفى القصر هودج ذهبى كان ابو المهراجا يستعمله عند خروجه

فـى الاعيـاد عـلى ظهـر الفيـل ؛ وشاهـدنـا هـودج المهـراجـا الحالى وبـه مـن الذهـب الصـافـى قنطـار ونصـف وهـو مـرصـع بالاحجار الثمينـة التـى يصعـب التكهن بقيمتهـا . هـذا قليـل ممـا يملـكـه المهـراجا الذى كـان حاكمـا للمقـاطعـة فـى السابـق وبعـد الاستقـلال ابقـت حكـومـة الهند له ـ ولكـل مهراجا ـ ثـروتـه كـاملـة مقـابـل تنـازلـه عـن الحكـم الاقطـاعى ولـم يسمـح لنـا بالتقاط الصـور هنـاك .

عـلى احدى قمم جبـال ميسـورى يـوجـد معبـد (كـودى) وهـو يشبـه معبـد (مـدراس) وبقـربه معـابـد متحـركـة رغـم أنهـا ضخمـة جدا كلها من الحديد وفـى كـل سنـة يقـام مهـرجان يستمر عشـرة أيـام بلياليهـا تنقـل فيـه تلـك المعـابـد المتحـركـة الى الشوارع والميادين ويتعاون على جرها بالحبال آلاف من الناس . والمهرجان تخليـدا لذكرى فـوز الالهه (دوقا) ـ احدى زوجات (شيفـا)ـ وانتصارها عـلى الجان . وفى الاعـداد لهـذا المهرجان تتعـاون الحكـومة والشعـب ويستمـر الاستعـداد لعـدة اشهـر تكتسـى البـلاد خـلالها بحلـة مـن الزينـة والانوار . ويبدأ المهـرجان يـوم ٢٥ سبتمبر وينتهى يوم ٥ اكتوبـر مـن كـل سنـة وفـى اليوم الثـالث منـه يشارك المهراجـا فـيخرج فى الهودج الذهبـى عـلى ظهـر الفيـل يتقـدمـه ويتبعـه مئـات من الفيلة التى تستجلب من الغابة خصيصا ثم يطلـق سراحهـا بعـد ذلـك .

فـى الطـريـق الى المعبـد (كـودى) يـوجـد تمثال ضخم للشيطان يحمل فى يده افعى من نوع الكوبرا



سريرنجبتـان ـ ضريح البطل على حيدر وزوجته فاطمة بناه لهما ابنهم تيبو ، وبعـد ان استشهـد تيبو دفـن معهـم



الثيران وهى تجر عربة خشنة وتستعمل لحمل الاثقال



البقرة المدللة تقطع الطريق (بدون مراعاة نظام المـرور)

الشهيرة ؛ وعند رجوعنا الى البلاد بين الجبال رآينا تمثالا هائلا لثور ضخم نحت في صخرة عظيمة فوق الجبال .

اوران جباد

نزلت بنا الطائرة في حيدر اباد وبعد استراحة قصيرة تزودت فيها الطائرة بالوقود واصلنا السفر الى اوران جباد .

منذ سنة ١٣٤٧ بدأ الدين الاسلامي ينتشر في هذه البقعة من الهند، تعاقب عليها عدة ملوك نزل اغلبهم عن الحكم مرغما وذلك لاشتداد الفتن فيها ؛ وكان امر الملوك هناك كأمر ملوك الطوائف في الاندلس .

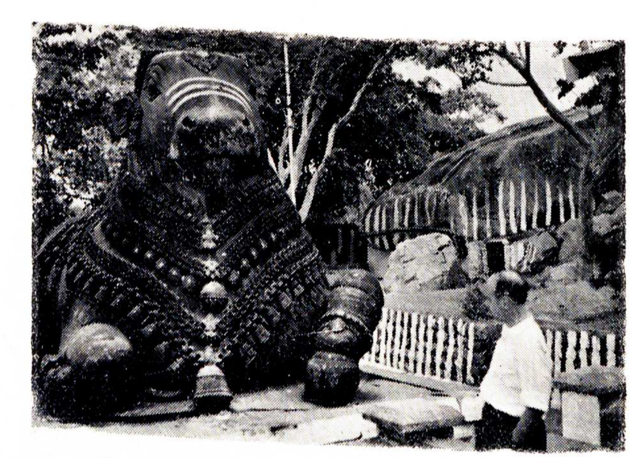
في هذه البلاد دفنت (ربيعة دوراني) زوجة اوران زيب ؛ اما ضريحها فقد بناه ابنهما (عزم) في سنة ١٦٦٠ ويقع في ضاحية من ضواحي اوران جباد ؛ وهو نسخة مصغرة من تاج محل .

(ديلراس بانو) المشهورة بربيعة دوراني كانت ابنة احد ملوك ايران تم زفافها على اوران زيب في أغرا وقد احتفل به ايما احتفال من قبل شاه جهان . ولقد كانت ربيعة امرأة صالحة تخاف الله ولها كرامات عدة ؛ ولايزال الناس يتبركون بها حتى اليوم ؛ وبعد موتها سنة ١٦٥٧ اقيمت الماتم ووزع الطعام على الفقراء بكل كرم ؛ ولاتزال بعض الاواني



ميسورى – تمثال للشيطان (ناهشاقورا) الذى قتله الاله (تشاموندى) على الربوة المسمات باسمه

التي استعملت في تلك الماتم محفوظة في الضريح اما زوجها الملك اوران فقد دفن في قبر يبعد عن الضريح بحوالى عشرة كيلو مترات وهو قبر عادي لازخرفة فيه ولا زينة حسبما اراد واوصى من قبل موته .



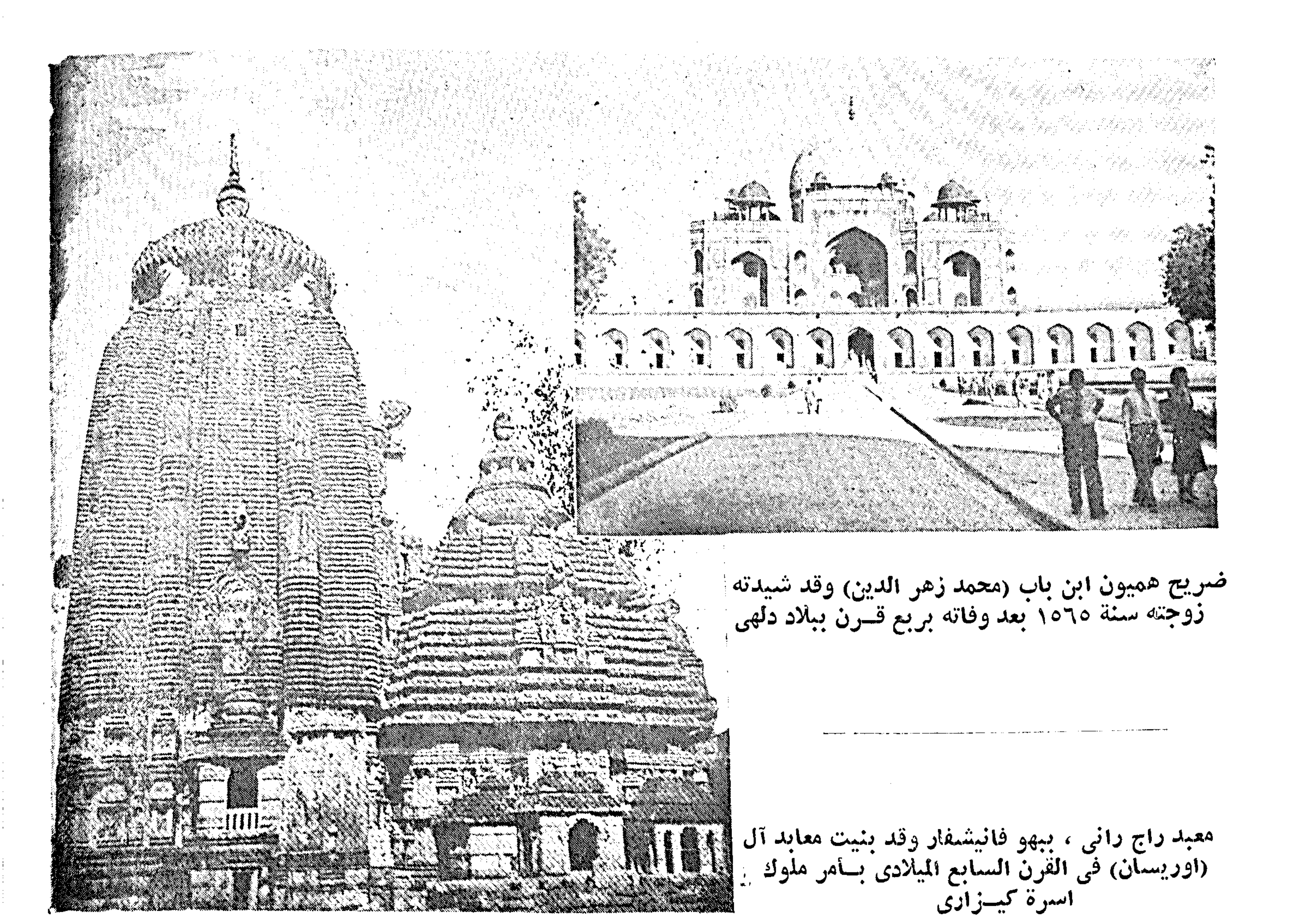
ميسوري ـ تمثال للثور (نادى) قيل انه كان يركبه الاله شيفا (اله الفناء)وقد قد من صخرة كبيرة فوق ربوة تشاموندي وتمثال هذا الثور كثيرا ما يوضع امام معابد شيفا

لاشك في أن مقبرة (بيبكى) ضريح ربيعة ؛ اقل شانا من جميع الوجوه من تاج محل ؛ غير ان لهذا الضريح قيمته الهندسية الزخرفية كذلك . بل أنه من اجمل ما بناه المسلمون فى تلك المنطقة ، وهو لمن لم ير «تاج محل» احسن عوض عن ذلك العمل الفنى الرائع.

وفى اوران جباد عدة مساجد شيد سبعة منها السلطان عنبر ؛ الذى انزل الملك اوران عن الحكم وجلس مكانه على العرش وخلف اعمالا كثيرة فى البلاد منها توزيع المياه بطرق منظمة لاول مرة . وهناك مسجد كبير وهو (السوق مسجد) به اربعة مآذن وعدة اقواس ومن أعظم الابنية التى شيدها المسلمون فى هذه المدينة مسجد الشيخ (قونى) شيد فى سنة ١٧٢٠ .

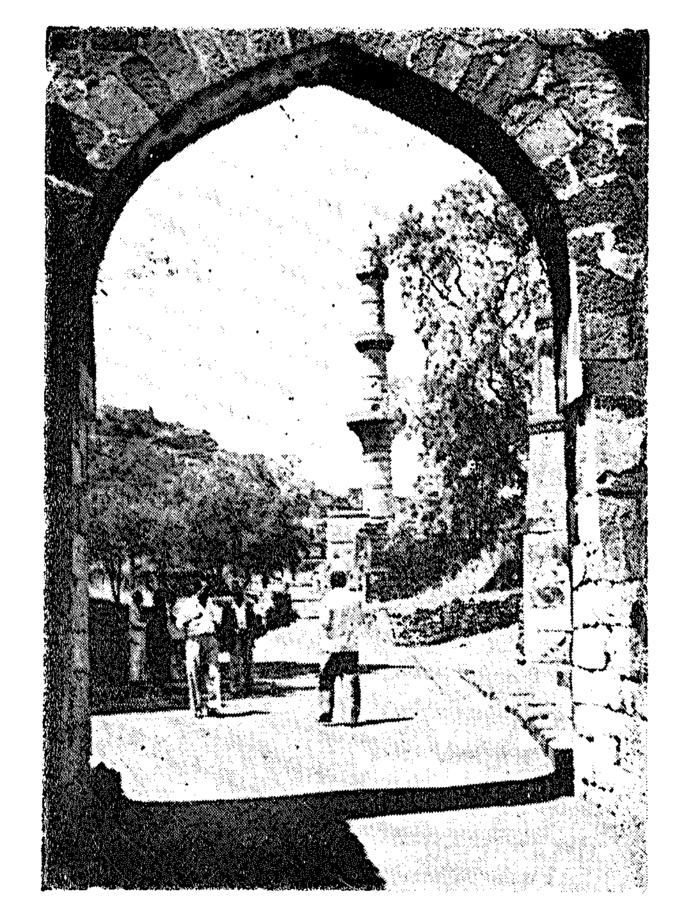
وبينما نحن في طريقنا الى (اجانتة) مررنا بنهر فيه شلال اقيمت عنده طاحونة تدور بتيار الماء ؛ وقد وضع تصميمها عنبر بنفسه سنة ١٦١٠ ؛ وفى هذا النهر توجد الاسماك بكثرة ولا يسمح بصيدها محافظة على بقاء نوعها التاريخى . وكان الملك اوران زيب هو الذى استجلب اول دفعة من هذا السمك ووضعها فى النهر بيده .

لهذه البلاد ماض مجيد وتاريخ توغل فى القدم ؛ توالت عليها الحضارات المختلفة وتعاقبت عليها الشعوب والاجناس ؛ وقد عرفت قديما لقربها من بلاد (براتشنا) التى كانت فى يوم ما مركزا مهما تمر منها القوافل الى الشمال محملة بالبضائع التى كانت تصلها من الموانى الجنوبية . وقبل الميلاد بقرنين احتلت هذه المنطقة من قبل شعب (فاكاتاتس) الذى كان يعتنق البوذية والذى عمل فى ميدان التجارة اكثر ممن سبقوه فوسع الاسواق ونظمها وسعى لنشر تعاليم بوذا فانتشرت هذه الديانة انتشارا واسعا . ولقد دام ذلك تسعة قرون متوالية الى ان جاء القرن السابع للميلاد . وقد خلف هذا الشعب اثارا تشهد له بالحضاره ؛ ودليلا ساطعا على الكفاح من أجل نشر معتقداته وعلى العمل المتواصل المتناسق، كخلايا النحل وقرى النمل، فخلف اثارا لايمحوها الدهر ولا تؤثر فيها ولاتنال منها الاختراعات الحديثة حتى ولو ألقيت عليها القنابل الذرية .



ضريح هميون ابن باب (محمد زهر الدين) وقد شيدته زوجته سنة ١٥٦٥ بعد وفاته بربع قـرن ببلاد دلهى

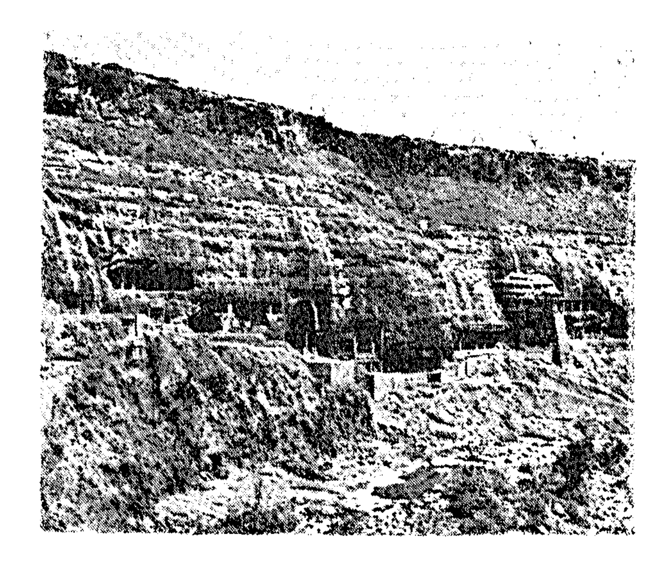
معبد راج رانى ، ببهو فانيشفار وقد بنيت معابد آل (اوريسان) فى القرن السابع الميلادى بـأمر ملوك اسرة كيـزارى



قلعة مدينة (دولت اباد) عاصمة الملك محمـد توغلاق شيدت سنة ١٣٣٣م وعلوها ٢٤ مترا وهى من اجمل اثار الهند الغربية والصومعة من عهد علاءالدين الرحمانى

لقد كانت فكـرة عظيمـة حقـا ان يقيـم هذا الشعب معـابده التـى اراد لهـا البقـاء بصـورة تحقـق لها ذلك فنحتهـا فـى قلـب الجبـل الاسـود الصلـب ، معـابـد نحتت باتقـان تام لـم يسبـق لـه مثيـل . وكـان ذلك فـى عصـر لايملـك فيـه الانسان الات ولاقـوة محركـة ويـوجـد هـذا الجبـل فـى نـاحيـة اجـانتـه وهـو يبعـد عـن اوران جباد باكثـر مـن مئـة كيلو متـر وعـلى سفحـه طـريـق طويـل يحـاذى الوادى مـن أعـلى نحتـت فيـه عدة معابد تعـد اكبـر معابد البوذييـن فـى العـالـم وقد خصـص البعض منها لسكنى الكهنـة .

هـذه المعـابد تعطـى صـورة جليلة عـن مدى صبر الانسان وتجلـده عـلى العمـل اذا كـان الدافـع قويـا فالجدران والاعمـدة والتماثيـل كلها منحوتة عـلى الصخور الاصليـة للجبـل ؛ تنطـق بالعظمـة وتبقـى عالقـة بالذهن مـدى الحيـاة ؛ هنـا وصلت الصنـاعـة الهنـديـة اوجهـا وقد قال احـد النقـاد الانجليز عـن هـذه المعـابد لايوجد فـى العـالـم وتاريخـــه تماثيـــل متعـــددة منحوتـــة باتقـان وثابتـة فـى اشكـال واوضاع متنوعة مثـل هذه، والنـاظـر اليها يشعـر بان الصورة نـاطقـة كـانهـا فى حركـة مستمـرة . ولاعجـب فان أغلب هـذه الغيران حينمـا يدخلهـا الانسـان لايشعـر بانـه داخـل الى غار واذا رفـع بصره الى السقف ظهرت له آثار الزخرفة الزيتية بالوان لايزال بعضهـا ثابتـا ؛ ومن هذه المعـابد مـا هـو مـن طـابقيـن أو ثـلاثـة واغلبها مـربعـة الشكـل ويتسرب النور اليها مـن الابواب والنوافـذ ولامعـان النظر فـى الصـور والتماثيـل البعيـدة مـن المدخـل والنوافـذ يسلط عليها النور احـد العمـال .

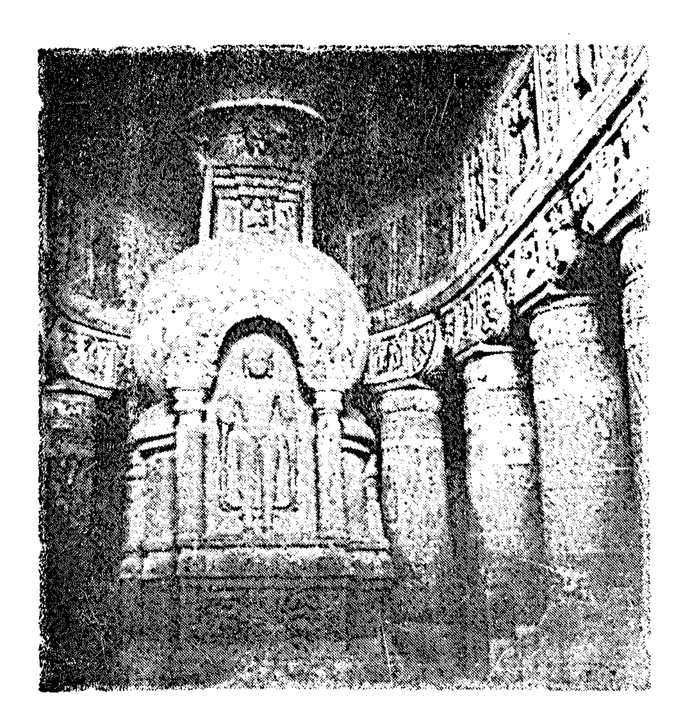


مداخل المعابد المنحوتة فى الجبل

وقد نحتت على جميع الجدران والاعمدة تماثيل فى حجم الانسان تصور حياة بوذا وترمز اليه من قريب أو بعيد . كما أن شان الحياة العادية اليومية لم يهمل ؛ فصورت هذه الحياة ووضعت لها التماثيل التى تروى - كما تروى هذه المعابد - تاريخ شعوب وامم عاشت تسعه قرون تعمل لفكرة واحدة لم تتغير ولم تحد عنها . وقد فكر الكهنة فى تاسيس هذه المعابد فى الجبال وعلى الطرقات الوعرة حتى يكونوا بعيدين عن المدن وضوضائها قادرين على أن يستمروا فى عباداتهم سنوات طويلة دون ان يعكر صفوهم احد

لورا

تبعد عن اوران جباد بحوالى ثلاثين كيلو مترا ، وكان



منظر لاحد المعابد من الداخل

من نصيبى ان اقضى فى هذه البلدة الاثرية المهجورة مع بعض الرفاق ليلة فى البيت الوحيد فيها ويسمونه (هوتيل) ؛ وهو من نوع غريب من الهوتيلات لاتوجد فيه دورة مياه ولا كهرباء وبالقرب من هذا الفندق العجيب يوجد جبل يشبه جبل اجانته فيه ستة وعشرون معبدا على ثلاثة اقسام وامام المعابد سطوح متسعة قدت من الجبل وتطل على الوادى والظلمة تسود داخل هذه المعابد فليس فيها وسائل الاضاءة وانما وضعت امامها مرايا تنعكس عليها اشعة الشمس



واجهة احد المعابد المنحوتة فى الصخر

الى الداخل وليس فى هذه المعابد جديد يميزها عن معابد اجانته ، اذا استثنينا معبد (كيلاسا) الذى يختلف عن المعابد الاخرى ، فقد فصلت صخرة كبيرة من الجبل ثم قسمت على شكل معبد ونحت داخلها « كيلاسا » فأصبح معبدا تتخلله الشمس والنور من كل جهة . وهذا المعبد مقسم الى عدة اقسام وبه بهو واسع اقيمت فيه عدة تماثيل منها تمثالان لفيلين بحجميهما الطبيعيين وكذلك تماثيل لبوذا وبيده ازهار (اللوتس) المعروفة عند الفراعنة

والتى يعتقد البوذى بان من ياكل منها تمحى خطاياه . وفى بعض العصور استولت عليه طوائف اخرى ووضعت فيه . . . . شعار معابد الشهوات بحجم أضخم بكثير من الموجود ببنارس ، يالها من صدمة حيث أن برفقتنا بعض السيدات . واغلب الصور والتماثيل فى هذه المعابد شبه عارية مستوره نوعا ما فى المحلات المخصصة لسكن الكهنة ، وقد لاحظت بأن نهود تماثيل النساء بشكل غير طبيعى بحيث لا تتناسب وحجم الجسم ، وعند السؤال عن سبب ذلك أجبت بأن كبرهم يرمز الى ما لهذه النهود من فضل على تغذية النسل ، وزاد الدليل على ذلك بقوله ولهذا السبب فان البقرة مقدسة لانها تغذينا بلبنها .

بومباى

انتهت رحلتى فى الهند بزيارة مدينة بومباى المشهورة والتى كانت تعرف قديما منذ اربعة قرون باسم (ابتزيا) .

اسست هذه المدينة فى القرن الثالث قبل الميلاد على سبع جزر كانت بركانية فى الاصل ثم توالت عليها العوامل الطبيعية فبردت وكونت مساحة شاسعة من الارض المنبسطة وتعد هذه المدينة الان احدث وارقى مدينة فى الهند باسرها . وانها لكذلك حتى انه يخيل الى الزائر عندما يشاهد العمارات الشاهقة بانه فى بلاد غربية ؛ وفيها سبعون الف عمارة عظيمة تجمع الواحدة منها عشرات من الشقق وكلها متقاربة من بعضها وتشكل سلسلة



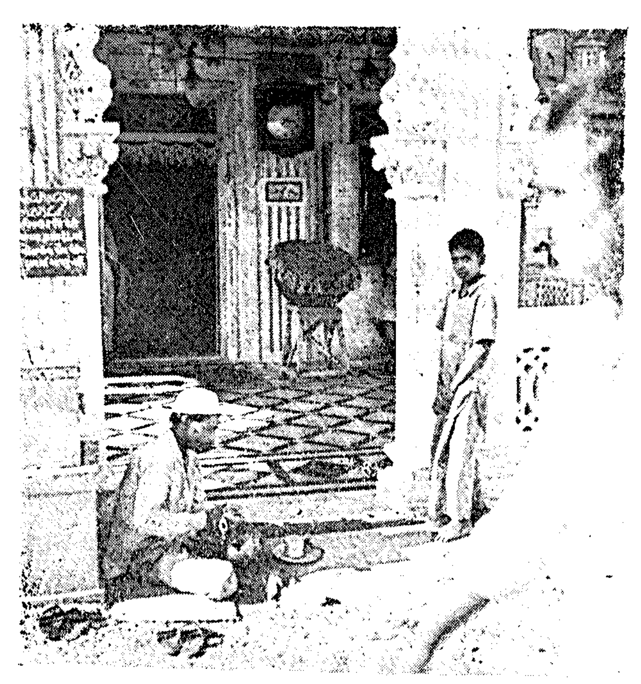
حواة يزمرون للافاعي وهي ترقص ومن بينهم افعي
الكوبرا وهـذا المنظر مـألوف في بـلاد الهنـد

المغسلـة الشعبيـة لمدينـة بومبـاي
ويقصدهـا اغلب اهل البـلاد لغسل ملابسهـم

من الابنية المتراصة ولقد اتخذت بلديتها شعار لها العبارة : (تكون اعظم بلاد الهند) . وبومباى مدينة صناعية فيها عدة معامل هامة وتصنع فيها القطارات وغيرها .

كانت هذه المدينة عاصمة بلاد الهند كلها ؛ وقبل عشرين سنة ؛ ولسبب ما ؛ حول الانجليز الحكومة الى دلهى الجديدة .

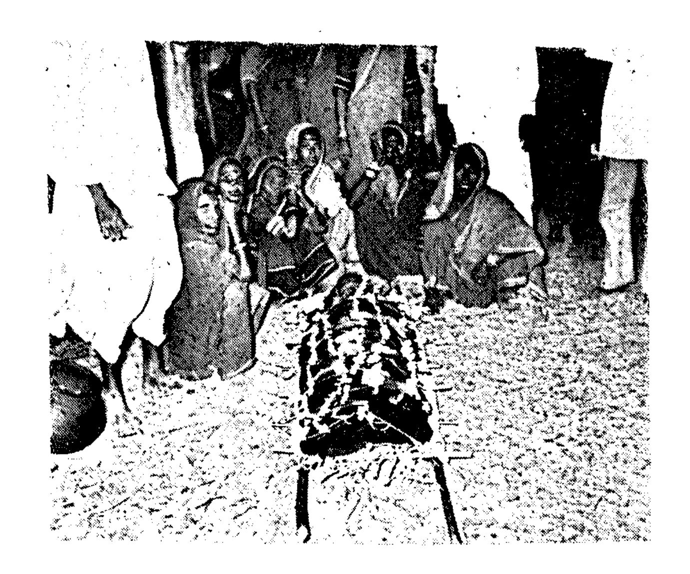
عرف بـ «بومباى» واشهر اسمها فى العالم المسلمون بعد ما دخلوها سنة ١٤٥٠ واستمروا يعمرونها فشيدوا فيها المساجد العظيمة وغيرها الى ان جاءت سنة ١٥٠٩ عندئذ بدأ القتال من جديد بينهم وبين الهندوس وبقيت مسرحا للحروب الى ان احتلها البرتغاليون سنة ١٩٥٠ واخرجوا منها الامير حسين آخر حاكم مسلم فيها. وعلى العكس من المسلمين لم يخلف البرتغاليون اى اثر يذكر فى المدينة ، سوى تخريب بعض الاثار القديمة ، وكذلك فعل الانجليز من بعدهم ، فقد اسكنوا جنودهم المعابد فى جزيرة اليفانتا ، وعند زيارة الملكة فكتوريا والامير البرت الى بومباى شيد لهما قوس نصر عظيم تسع المساحة تحته لستمائة شخص ، ولم ترق للانجليز اقامته الا فى مكان فيل حجرى كبير ، كان ـ لاهل البلاد ـ يحرس المدينة من هيجان البحر وزوابعه وله تاريخ طويل، فنقلوه من مكانه الى جهة اخرى لكى يفسحوا المجال لاقامة القوس المذكور وباسم الملكة فيكتوريا تعرف ايضا حديقة كبيرة فيها جنينة للحيوانات .



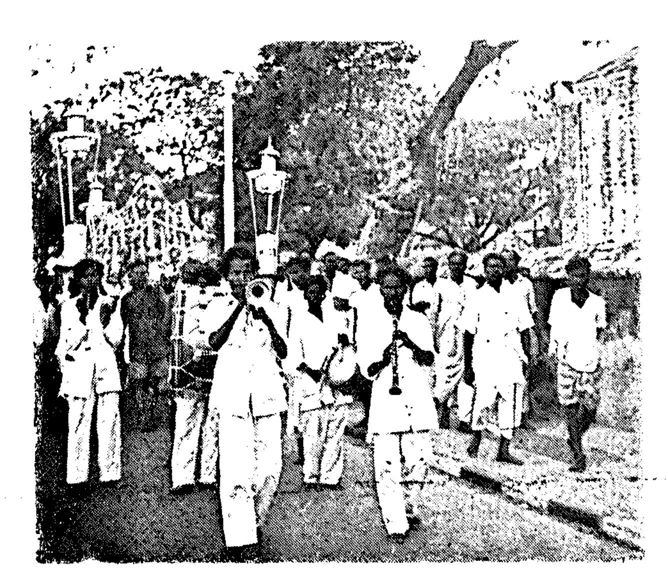
مدخل المسجد المقام على صخرة فى البحر وقد ظهر فى الصورة الطبل الذى يستعمل بعد الاذان لاشعار المصلين بحلول وقت الصلاة

ومما يلفت النظر فى هذه المدينة المغسلة الشعبية التى يقصدها الناس عامة لغسل امتعتها وهى تتسع لمئات العائلات فى آن واحد وتتزود بالماء من النهر .

هنا قمت بزيارة مسجد اقيم على صخرة فى البحر ، ويصله بالارض جسر طوله نصف كيلومتر تقريبا اقيمت فى اوله المطاهر والميضات للاغتسال وللوضوء ، ونظرا الى بعد موقع المسجد بحيث لا يمكن لصوت المؤذن من الوصول



جثمان عجوز محاط ببعض المشيعين الذين كانوا يولولون ويضربون الدفوف اثناء السير وكان هذا الوضع بطلب منى قبل وضعه فى القبر واهالة التراب عليه مباشـــرة



تشيع جثمان اخر لانســـة مطروح على اعـــواد من القصب ومنثورة فوقه الازهار بسخاء ومعظمها ظاهر بين الازهار وتتقدم المشيعيـــن الموسيقى

الى المصلين فى المدينة ، فقد زود المسجد بطبل كبير يقرع فى اوقات الصلاة ايذانا ببدئها .

وعندما يسير المرء على الجسر يشاهد على الجانبين الكثير من الناس يطلبون الاحسان من المارة ؛ وبعد كل بضع خطوات يجد (صرافا) مستعدا لتصريف القرش الى عشرين قطعة فيتمكن المرء من ارضاء قسم من طالبى الاحسان بدون هرج ولا زحام .

وقد صادف ان كان يوم ٩ مارس من تلك السنة يوم عيد الربيع عندهم ؛ والهندوس فى هذا العيد يتقاذفون بالغبار الملون وهى عادة مستحبة عندهم واينما سرت تجد العربات وعليها اكوام من الاتربة الملونة لبيعها للمحتفلين . وقد قرأت فى بعض الصحف بان شيرى لال نهرو قد شاركهم فى هذا العيد وقد لوثت ثيابه بالالوان كغيره .

وفى افراحهم يبذلون الكثير فى سبيل زخرفة وتزيين الطاووس التقليدى ؛ وهو يكون عادة من الخشب أو من الورق المقوى ؛ ويقدم هدية للعروس ويحمل العروسان فى سيارة أو فى عربة حسب طاقتهم . ويخضب وجه العريس كعروسته بالورق المذهب (والعدس) الملون .

وعلى بعد تسعة كيلو مترات تقريبا من بومباى تقع جزيرة (اليفانتا) التى يتم الوصول اليها بواسطة قوارب بخارية . فى هذه الجزيرة عدة اشجار متنوعة وجبل نحت فيه الهندوس معابد لهم . وهذه اقل اهمية من معابد بوذا فى لورا واجانتا اللتين سبق ذكرهما . وفى قديم الزمان كانت تقصد هذه المعابد النساء العقيمات ليتصلن بالالهة شيفا أو الكهنة طالبين الحمل .

ومما يلفت الانتباه فى مدينة بومباى نشاط مذهب (البارسى) أو عبدة النار المعروفين عند العرب بالمجوس أو (السيخ) . هذه الطائفة تتكون من فئة قليلة العدد اذا قيست باى طائفة فى الهند . ومع ذلك فانه يحسب لها الف حساب ؛ اذ ان السيخ مستحوذون على أحسن اسواق البلاد وهم أصحاب رؤوس اموال يساهمون فى اغلب المشاريع ويكفى مثلا ان احدا منهم يملك بمفرده جميع الخطوط الجوية فى الهند وشركته تملك مئات من الطائرات وعدة مطارات حتى فى القرى الصغيرة .

انحدر السيخ من الفرس بعد ان اضطهدوا هناك قديما ؛ ثم استوطنوا الهند وكونوا فيها طبقة لا شرقية ولا غربية . ودينهم يمنع عليهم اكل المطبوخ بالنار المقدسة ولايسمحون لاى كائن سواهم بالدخول الى معابدهم مطلقا ؛ وهم لا يحرقون موتاهم لان النار مقدسة عندهم ولا يجوز ان تدنس بالاجساد البشرية والارض عندهم محترمة لان طعامهم منها ؛ ولذلك فلا يمكن تلويثها بدفن الاموات فيها ؛ ولهذا فهم يقدمون موتاهم طعاما



الطيور التى تعيش على اكل لحم الاموات ، وهى مثل التى شاهدتها بـ « بمبـاى » وتسمى بالانجليزية «سكان جير» ، وفى الصورة اعلاه ، تشاهد وهى تلتهم بقايا فريسـة أسـد « حمـار وحش »

للطيور التى تشبه الديك حجما ولها رأس كرأس الثعبان ومخالب لاتقوى الا على اللحم الميت ؛ وقد شاهدت منها الكثير فى اوساط افريقيا خصوصا غابات كينيا وتنجانيقا حيث تكثر فضلات الوحوش المفترسة ؛ وقد ذكر لى احد المجاهدين اثناء حرب ليبيا مع ايطاليا انه شاهد هذا الطائر ببرقه ينقض على الاموات .

ولطائفة السيخ مكان خاص يضعون فيه موتاهم يسمونه (حسب ترجمتى) برج الصمت ؛ ويمنع على الاحياء دخوله ما عدا المقيمين ؛ وهو عبارة عن سور دائرى واسع يحيط به الماء من كل جهة كالحصون القديمة . وينقسم البرج الى اربعة اقسام دائرة القسم الاول للرجال وهو القسم الذى يحاذى السور والقسم الثانى للنساء والثالث للاطفال . اما الرابع وهو مركز البرج فهو عبارة عن بئر عميق متصل بالبحر ؛ وهنا يوضع كل جثمان فى حوض بنى بطريقة خاصة بحيث يسهل تسليط الماء على الجثمان فتتفكك عظام الميت بعد ان تكون الطيور قد انهت عملها ـ وتتسرب الى البئر . وقد شاهدت الطيور مرتكزة على الاشجار قرب البرج تنتظر الفريسة . وقرب هذا البرج معبد زاخر بالعباد يطلبون من ربهم ان يمنحهم الحياة السعيدة والموت السهل . ومن نفس هذا المعبد يخرجون بالميت الى البرج . وقبل الوصول تتحفز الطيور للانقضاض وتحدث حركة وضجيجا وترتفع اصواتها المنكرة التى ترتعد لها الابدان . وبمجرد ما يوضع الميت فى مكانه تنقض عليه وتبدأ فى نهش الغنيمة التى لا تتركها الا بعد ان تصبح عظاما عارية فى وقت قصير .

ولقد ذكرنى الحديث عن الطيور التى تاكل الاموات بطير الغراب . هذا الطير يستغل وداعة الهنود وعدم تعرضهم له ؛ الى أبعد حد ؛ حتى أنه يخطف الخبز من أيدى الصبية ؛ وكنت مرة جالسا فى حديقة فندق بنقلورى وعلى الطاولة امامى شاى وبعض المرطبات . وفجأة اذا بالغربان تنقض بسرعة على تلك المرطبات وتلتهمها واحدة بعد الاخرى حتى اتت عليها كلها . وبينما انا مندهش من هذا الهجوم المفاجىء جاء فريق آخر انقض على صحن بيد الخادم فالتهم مافيه قبل وصوله الى طالبه .

وعندما ذهبت الى كلمب بسيلان كانت الغربان تدخل غرفتى فى الفندق الفخم وتنام معى على حسابى .

وفى ختام هذه المشاهدات والمسموعات اود ان اتعرض لذكر النهضة التعليمية فى بلاد الهند وتاثيرها فى المسلمين والهندوس ؛ لقد نال الهندوس قسطا اوفر من النهضة التعليمية لان المسلمين كانوا خصما للانجليز وقت الاحتلال وبقوا يناصبونهم العداء ردحا من الزمن ؛ ثم انهم تعمدوا مقاطعة الانجليز حتى لغتهم لم يحاولوا تعلمها . بينما تعاون الهندوس مع الانجليز فدخلوا المدارس والدوائر الحكومية وبذلك تقدموا وتاخر المسلمون تأخرا ملحوظا .



مع سعادة بهادور ساستـرى وزير المواصـلات حين ذاك
ورئيس الحكومـة الراحل

بما اننى ذكرت فى هذه المشاهدات بعض الشيء عن الاسلام والمسلمين فقد رأيت ان انقل للسيد القارىء نبذة مما جاء فى بعض المجلات المهتمة بهذا الشان وفيما يلى مقتطفات من مقالات وردت فى مجلة الباكستان فى عددها الصادر تحت رقم ١٩٥ بتاريخ ٣ رمضان ١٣٧٧ .

كيف دخل الاسلام شبه القارة الهنديـة الباكستانيـة

كان غزو فارس اعظم نصر حققه الاسلام فى اعوامه الاولى وقد وجد الاسلام فى فارس الطريق ممهدة لمزيد من التقدم فى الشرق الاقصى . . الى تلك المناطق الشمالية الشرقية التى لم تكن تطرقها سوى بعض القبائل التركية وتلك المناطق الجنوبية الغربية التى تعرف باسم السند .

ومع ان غزو المسلمين لفارس قد تم فى عام ٦٤١ م الا ان قواتهم بقيادة قتيبة بن مسلم لم تبلغ اقليم خوارزم الفارسى الا فى عام ٧٠٥ م ورغم ان فارس كانت تدعى الاشراف على هذا الاقليم الا ان معظم سكانه كانوا من الفرنسيين ممن هم من اصل تركى ، وكان الخانات الاتراك يحكمون هذا الاقليم مستقلين عن فارس قبل غزو المسلمين له وكثيرا ما كان هؤلاء يثورون على الحكام الفرس .

وبعد ان آلت الخلافة الاسلامية الى الوليد عام ٧٠٥ م ارسل الحجاج بن يوسف الثقفى والى الخليفة فى العراق قتيبة بن مسلم لغزو الاراضى الواقعة وراء نهر اكسوس . وسار قتيبة على رأس جيشه الى عاصمة هذا الاقليم وكانت تعرف باسم الفيل وهى مدينة تجارية كبيرة وغير قتيبة اسمها وجعلها المنصورة . واحتل قتيبة بايقند وبنى فيها مسجدا عام ٧١٣ م ثم حل مسجد جديد مكان هذا المسجد بناه الفضل بن يحى البرمكى عام ٧٩٤ م . وحين توفى الخليفة الوليد فى عام ٧٠٦ م . كان والده عبد الملك بن مروان قد اوصى بان يخلفه اخوه سليمان ولكن الحجاج حاول فى السنوات الاخيرة من عمر الوليد نقل خلافته الى عبد الملك فاصبح سليمان بن عبد الملك هو الخليفة ، ولذلك فقد حقد سليمان بن عبد الملك على الحجاج ولكن الحجاج كان قد توفى قبل الوليد بوقت قصير فلم يستطع سليمان الانتقام منه وكل ما استطاع فعله هو الانتقام من اقاربه واصدقائه ومن هؤلاء محمد بن القاسم الذى قام بغزو السند ، فلقد عزل من منصبه وارسل الى واسط حيث القى به فى غياهب السجن وعذب حتى مات وسمع قتيبة بن مسلم وهو فى بايقند بالصورة التى عومل بها اصدقاء الحجاج فحاول القيام بثورة ضد سليمان بن عبد الملك ولكن جنوده تخلوا عنه فاعتقل وارسل الى واسط حيث أوكلت حراسته الى صالح الذى قتل الحجاج اخاه لينتقم لاخيه من قتيبة .

وفى عام ٧٢٧ م عين لمنطقة الحدود الشرقية وال جديد هو عبد الله السلامى الذى كان اول من أنشأ فرسان حرس الحدود للقضاء على العصابات التركية التى

كانت توالى اغاراتها على هذه الحدود . وحين انتفى الغرض من هذه الحاميات فيما بعد احتلها بعض المتصوفين الذين كان همهم نشر الاسلام .

وفى عام ٧٢٨ م ارسل السلامى بعثتين احداهما عربية والاخرى فارسية الى سمرقند لتتخذاها مركزا لنشر الاسلام بين رجال القبائل التى تعيش وراء نهر اكسوس وكانت هذه الدعوة تقوم على اساس اعفاء من يعتنق الاسلام من الخراج . ولقد نجحت هذه الحملة نجاحا كبيرا يدل عليه مدى هبوط نسبة الخراج التى كانت تجبى من جهة ومدى الذعر الذى اصاب دهاقنة الاتراك الذين كانوا لا يرتاحون لما ينشره الاسلام من روح المساواة . وبعث السلامى الى مقر الخلافة يشرح هذا الامر فجاءه الرد بان يجبى الضرائب من جميع الذين كانت تجبى منهم من قبل وكانت عاقبة ذلك وخيمة اذ قامت ثورة عامة فى البلاد ولم يظل فى يد العرب سوى سمرقند ودبوسية وكان يعارض السلامى كثير من العرب وخاصة البعثات التى كانت تدعوا الى دين الله فى تلك المناطق .

ومن هنا نشأت حركة مناهضة الامويين فى خراسان الامر الذى ادى الى انتقال الخلافة الى العباسيين فى بغداد . ولقد كانت هذه الحركة يغلب عليها فى بادىء الامر طابع الحركة الشيعية . وكانت خرسان البقعة التى تمت فيها الدعوة للخلافة العباسية والواقع ان الاسلام قد احرز تقدما كبيرا فى عهد الامويين فقد اثمرت البعثات التى كانت تدعوا الى دين الله . هناك حتى لقد اصبح الاتراك انفسهم من اشد انصار الاسلام تحمسا كما أصبحت سمرقند وبخارى مراكز لنشر الاسلام لاتقل اهميتها عن بغداد نفسها .

وابدى الخليفة المأمون الذى امضى السنوات الاولى من حكمه فى خراسان عطفه على احفاد سامان خلات الذى اعتنق الاسلام فى عهد الوالى سعد بن عبد الله القشيرى ، وكان من بين هؤلاء الاحفاد الاربعة نوح الذى ولاه المأمون على سمرقند وقد اعجب نوح فى يوم من الايام بعبد تركى كان يبيعه احد تجار الرقيق واسمه سبكتجن فاشتراه واعطاه منصبا عسكريا ابدى فيه جدارته وكفاءته ونودى به أميرا على غزنه فى عام ٩٧٧م وبعد سبعة اعوام منح لقبا شرفيا هو (حامى حمى الدين والدولة) وكان سبكتجن هو مؤسس الاسرة الغزناوية ، وقد استولى محمد الغزنوى الذى تولى الحكم من بعده على خراسان عام ١٠٠٠ م وقام بغزو شبه القارة الهندية الباكستانية اثنتى عشر مرة واستطاع خلال هذه الغزوات احتلال السند وراجبوتا والبنجاب . ومنذ ذلك الوقت توالت غزوات الاتراك المسلمين على الاراضى الواقعة وراء نهر السند عن طريق جبال هندكوش وقامت هذه الغزوات بنشر الاسلام فى تلك البقاع واصبح يطلق على السند منذ ذلك الوقت مهد الاسلام فى شبه القارة الهندية الباكستانية .

وننقل من مقال آخر جاء فى عدد ١٧٣ من نفس المجلة :

اضمحلال وسقوط الحكم الاسلامى

بقى المسلمون اذا بالهند شعبا منفصلا عن غيره وكانوا من نسل العرب والفرس والافغانيين والترك الذين كانوا يكونون الجزء الاكبر من مجموع السكان ومن الهنادكة الذين اعتنقوا الاسلام والذين عرفوا (باسم الشيوخ) وفى حين كان المسلمون يخضعون لقوانينهم الخاصة الا ان حكامهم سمحوا للهنادكة بعاداتهم ونظمهم .

وحتى اللغة ففى حين خلق المسلمون لهم لغة جديدة اسموها (الاوردية) سمحوا للهنادكة بالاحتفاظ بلغتهم الهندية . وكانت سياسة المسلمين الخاصة بموضوع الاجناس مبنية على التسامح المطلق . وقد وثق الحكام المسلمون بالهنادكة فعينوهم فى وظائف الحكومة ونصبوا منهم وزراء ومديرين وبهذا وضع الهنادكة أنفسهم فى اوضاع تقربوا فيها الى الحكام المسلمين. ولكنهم بدلا من ان يبقوا على اخلاصهم لهؤلاء الحكام بدأوا فى العمل لاضعاف شوكتهم واضعاف حكمهم من الداخل .

وكان اورانكزيب اول حاكم مسلم استشعر خطر الهنادكة ولكن ادراكه ذلك جاء متأخرا فقد تقوى المديرون والحكام الهنود الذين كانوا يدفعون الاتاوات للمسلمين من انفسهم سياسيا وعسكريا الامر الذى حدى باورانكزيب الى ان يقضى اغلب ايام حياته فى كفاح ضد الثوار الهنادكة وضد الحكام (الراجبوت) و(المراتا) وما أن توفى اورانكزيب حتى انضم الهنادكة الى القوات الاجنبية وعملوا سويا على دحر قوة المسلمين . وقد تم لهم فى آخر الامر اسقاط المملكة الاسلامية اقتصاديا وسياسيا الامر الذى كان يعمل له الهنادكة فى شتى ربوع البلاد . ويمكن ان يقال ان سقوط الامبراطورية المغولية كان راجعا فى اهم اسبابه الى حرب العصابات والمناورات التى كان يقوم بها الزعماء الهنادكة بما فيهم (شيفاجى) الذى كان يحتل منصبا رفيعا فى الدولة والذى استغل سلطته فى تزويد اتباعه بالسلاح .

بداية الحكم البريطانى

وكان بالهند عدة امارات تحالفت مع البريطانيين والفرنسيين والهولانديين فى طول البلاد وعرضها وقد حدث فيما بعد ان المحلات والمستعمرات التجارية الاوربية انشأت لنفسها جيوشا كانت تتحارب فيما بينها ، واخيرا تم لشركة الهند الشرقية البريطانية النصر على منافسيها الاوروبيين الاخريين، وكان ذلك بمعونة الهنادكة وايقاع الهزيمة بهم وما أن تم لهم كذلك هزيمة حاكم البنغال المسلم عام ١٧٥٧ م حتى اصبح البريطانيون قوة كبيرة بالهند وتمكنوا من بعد ذلك من غزو الاراضى الهندية بخطى ثابتة الى ان تم لهم ضم كل الولايات . وانتهى الامر بسقوط الامبراطورية المغولية واصبح الحكام المسلمون فى الاقاليم المتعددة مستقلين ولم تعد لدلهى غير السيادة الاسمية فقط . ففى

الجنوب كان (النظام) يحكم حيدر اباد وفى ميسور كان على رأسها حيدر على ثم ابنه تيبو ، اما فى الشمال فكان (نواب البنغال) يسيطر على البنغال وبهار ، وكان هناك ايضا حكام مسلمون مستقلون فى اود وفى (روهيل كند) وفى نفس الوقت اصبح البريطانيون اقوياء للغاية وأخذوا يهاجمون حكام المسلمين واحدا بعد واحد والواقع ان هؤلاء الحكام المسلمين لم يخضعوا او يستسلموا للبريطانيين بسهولة فقد حاربوهم الى ان سقطوا فى ميادين القتال .

والحق ان كل قصة من قصص هذه المعارك يمكن ان تعد قصة من قصص القتال المستمر الذى قام به المسلمون ضد جيوش الهنادكة الضالعة مع الجيوش المستعمرين الاجانب . وقد هزم نواب البنغال فى موقعة (بلاسى) فى ٢٣ / ٦ / ١٧٥٧ م بعد ان أسطلحت عليه خيانة القواد العسكريين الهنادكة وتقصيرهم عن اداء واجبهم . اما (روهيل كند) فقد اندمجت فى «اود» ١٧٧٤/٤/١٧ م بعد ان هزمت الجيوش البريطانية اهل روهيلا الموجودين فى (بريلى) وكان القائد الشجاع نواب حافظ رحمت خان قد سقط قتيلا ايضا . وقد حدث فى هذه المعركة أيضا ان كان البريطانيون يتلقون المعونة التامة من الهنادكة .

اما (تيبو سلطان) حاكم ميسور الذى أعلن نفسه حاميا للاسلام فانه هزم بعد معركتين رهيبتين وقد قتل تيبو بينما كان يحارب ببسالة وكان



تيبو سلطان

لايزال قابضا على سيفه بيده امام باب حصن (سرنجاباتام) فى ١٧٩٤/٥/٤ م بعد ان تالبت عليه قوات البريطانيين وقوات المراتا الهندوكية الضالعة معها وكان البريطانيون يرون فى تيبو سلطان عدوهم المخيف الاكبر وكانوا قد شنوا ضده عدة حروب ولكنهم لم يستطيعوا ان يهزموه . واخيرا تحالفوا مع المراتا بقصد تجميع قواتهم لقهره واسقاطه .

حركة المسلمين الجماعية

وبرغم ان حكم المسلمين انتهى في الجنوب بنهاية تيبو سلطان الا ان النضال من اجل استقلال المسلمين استمرطويلا وقد صاحبت قوة المقاومة المسلحة التى كان يبديها الزعماء المسلمون حركة سرية كانت تهدف الى احياء مجد المسلمين الدينى والاجتماعى . وكانت قد نظمت فى اوائل القرن التاسع عشر ، وقد اضيفت هذه الحركة بدورها الى النضال العسكرى الذى كان يقوم به نواب سرنجاب تام ونواب البنغال وبهار واهالى روهيلا فى بريلى وتيبو سلطان حاكم ميسور .

وكانت حركة المجاهدين المعروفة كثيرا باسم الحركة (الوهابية) حركة من هذا القبيل وهذه الحركة اسسها السيد احمد شهيد ، وكان من منطقة (راى بريلى) وقد اعلن الجهاد وقاد حمله ضد الحكام السيخ الذين كانوا يحكمون البنجاب

وكانت المظالم التى يوقعها هؤلاء الحكام بالسكان المسلمين كثيرة الى حد أن اثارت الرعب والقلق بينهم وكان ان بدات سلسلة من المصادمات العسكرية بين السيخ وبين هؤلاء المجاهدين نتج عنها قتل



ظافر خان
حامى الاسلام

كثير من العلماء والصوفيين الذين استشهدوا فى ذلك الوقت .

وقامت الحكومة البريطانية من جانبها بحملة شديدة قاسية القت فيها القبض على هؤلاء (المتآمرين) المسلمين وقدمتهم الى المحاكمة . وقد عرفت هذه القضايا باسم قضايا المتآمرين وكان اولها قضية مؤامرة امبالا التى جرت عام ١٨٦٤ م .

وقد كان يمكن ان تكون امبالا هذه عاملا من عوامل محو الحكم الاجنبى وازالته من شبه القارة منذ ذلك الوقت لو لم تتوطأ الدبلوماسية البريطانية مع الهنادكة وتنتصر فى هذه المعركة حيث كان يمكن لقوتهم المسلحة ان تفشل .

وان تاريخ القرنين الاخيرين الذين مرا بالحكم الاسلامى بالهند لا يمكن ان يعرض لنا امثلة جليلة عن البطولة والتضحية والفروسية اجل من قصة عصبة من المجاهدين مكونة من ٥٠٠ شخصا بدأت بارتحالها من دلهى حتى وصلت الى ممر خيبر بافغستان دون ان تتوفر لها حتى ضروريات الحياة وبعد ان عبرت صحارى بها ولبور والسند وبعد ان تسلقت تلال بلوجستان وقندهار السامقة . وكانت قوافل المسلمين القادمة من سهول شبه القارة ومتطوعى الجزء الشمالى الغربى قد انضموا الى هذه الجماعة وهى فى طريقها الى حيث تقصد . وكان جميع هؤلاء المجاهدين من المتطوعين فى سبيل الله الذين لم يبتغوا من وراء عملهم هذا اى كسب مادى سوى الفوز برضى الله .

وكانوا يقتاتون باوراق الاشجار والفواكه البرية وكان عليهم ان يوفروا لانفسهم الاحطاب وان يطحنوا القمح الذى كانوا يعدونه لطعامهم . وكثيرا ما كانت تنقضى الايام ولم يكن لديهم فيها حتى كسرة من الخبز ، ومع هذا فانهم لا يبخلون على غيرهم بالعطاء ان ساق الله لهم الرزق فكثيرا ما كانوا يسدون رمق الجائع ويعطون الفقير فى حين كانوا يموتون من أثر الجوع والمسغبة . والواقع أنه لم يكن امام هذه الجماعة سوى هدف ارادوا تحقيقه وهو استقلال المسلمين وازالة الاستعمار من البلاد .

وفى عام ١٨٢٥ م ثارت خواطر الناس بقيادة السيد احمد بريلوى واتباعه وشنوا حربا سافره ضد الحكم الهندوكى القائم فى الجزء الشمالى الغربى ، وكانت هذه الحركة حركة جماعية كانت كما وصفها السير وليم هنتر (واحدة من اعظم حركات الاحياء التى شاهدها تاريخ الهند) .

وقد ادرك البريطانيون أن عليهم من اجل تدعيم حكمهم بسلام ان يقضوا على ما تبقى من قوة

المسلمين فى شبة القارة اولا ، وعلى هذا فقد انتهزوا
سياسة كان من شأنها ان تشل حركة المسلمين ،
فاعطوا الهنادكة الاراضى التى اخلاها المجاهدون
وجعلوهم ملاكا لها . وطرد المسلمون من وظائف
الادارة وشجعوا الهنادكة على ممارسة الاعمال التجارية داخل
البلاد ، وكذلك عين الهنادكة فى وظائف الجيش
والبوليس ، خاصة البوليس السرى الذى كان يقصد
به التجسس على الطائفة المسلمة وكان من اثر ذلك ان اصبح
المسلمون فقراء سواء كان ذلك فى الميدان الاقتصادى
أو الميدان الثقافى كما اصبحوا ايضا عديمى
الاهمية فى الميدان السياسى . ولكفالة تحقيق هذه
الخطة الكبيرة تحقيقا فعالا تكون فى شبه القارة
ما لا يقل عن ٥٠٠ ولاية قامت على الاعانات
كانت اغلبها من الهنادكة واقلها من المسلمين وقد عرف
حكام هذه الولايات المحليون باسم (الراجوات) او
(المهراجات) أو النواب ، وكانوا العماد الذى يستند
عليه الحكم الاجنبى فى شبه القارة ولم يكن لدى
هؤلاء الحكام جيوش كما لم تكن لهم صلات
بالخارج ، ولكنهم كانوا من الناحية السياسية منبعا
استمد البريطانيون منه قوتهم التى فرضوها على
الهند وقد ساعد اخلاصهم للحكومة البريطانية
على كبث حركة المسلمين القومية التى كانت
تهدف الى تحقيق الاستقلال تحقيقا كاملا وقد بقى الحكام
الهنادكة امثال حاكم كشمير على اخلاصهم لاسيادهم
الانجليز حتى عام ١٩٤٧ حين تم تقسيم شبه القارة
الى هندستان وباكستان .

محنة المسلمين خلال الحكم البريطانى

ولم يتخلف المسلمون نتيجة لهذه الاعمال والتصرفات
فى هذه الميادين وحسب بل كان عليهم ان يتخلفوا ايضا
فى ميدان التعليم ، وقد اغلقت الآلاف من المعاهد
التى كانت مخصصة للدراسات الاسلامية والتى
كانت قد ازدهرت ايام حكم المسلمين .
وقد قاطع المسلمون المعاهد العلمية
الغربية لمدة طويلة وكانوا يعدونها معاهد
غير اسلامية . وفى ذلك الوقت كان يفرض على
الطلاب المسلمين على أنهم اعداء الهنادكة واعداء
البريطانيين وكانت الحكايات الكاذبة تلفق لتظهر
المسلمين بمظهر المتوحشين الذين يرتكبون افظع المآتم
ضد الهنادكة وضد البريطانيين . وكانت دراسة التاريخ
تتصور فى صور الكراهية للتقاليد الاسلامية وكان
الحكام المسلمون الذين حكمو بالهند او بأى مكان اخر
مصورين من جهة اخرى بصور سوداء قاتمة ، وفى
حين كانت الاساطير والقصص الهندوكية تفرض على
البرامج كانت تعاليم القرآن تستبعد من الدراسات
المدرسية . ولم يكن حظ اللغة الفارسية وآدابها باحسن
من ذلك . ومع انها ساهمت بقسط وفير كبير فى
الحياة الثقافية فى شبة القارة الا أن استعمالها كان محرما
وممنوعا وكان المسلمون فخورين ومعتدين بدينهم
وثقافتهم . وكانوا اما من ابناء الحكام او من ابناء
الجنود وكانوا يرفضون الذهاب الى المدارس الاجنبية

لانها كانت تقدم لهم دروسا كانت كلها حط من شان التقاليد الاسلامية وفى حين كان هذا يحدث من جانب المسلمين كان الهنادكة ينتهزون فرصة التسهيلات التى كان يقدمها لهم الحكام الانجليز ويتعلمون الانجليزية التى كانت تؤهلهم لتولى وظائف الحكومة ٠

وبرغم كل هذه الحملات الرتيبة التى كانت تواجه المسلمين من كل اتجاه فان هؤلاء الناس المحبين للحرية واصلوا جهادهم فى سبيل الاستقلال بجرأة وشجاعة ولم تكن المصاعب العديدة التى كان يخلقها الهنادكة تحت حكم البريطانيين لتعيق المسلمين من القيام بجهادهم المقدس لاستعادة حكمهم ٠

النهضة الاسلامية

وفى غمار هذه الاحداث وهذه الظروف التى قعدت بالمسلمين ظهر على المسرح مفكر عظيم من ١٨١٧ الى ١٨٩٩) هو السيد احمد خان الذى كان يلمس هذه الاحداث ويؤمن بانه سوف لن يقدر لاخوانه المسلمين الحياة الا اذا غيروا من انفسهم ليتمشوا مع الاحوال الجديدة التى كانت تحيط بهم ٠ وكان السيد احمد خان يطالب المسلمين بالاخذ من علوم الغرب والا كان عليهم ان يبقوا فى هذه العبودية الكاملة.وقد بدأ السيداحمدحملاته بحركة(عليكرة)الشهيرة وانشأ اول معهد دراسى اسلامى بعليكرة يسير على غرار النظم الغربية وكان من شان هذا المعهد ان اوجد حالة جديدة من الحماس بين المسلمين ٠ وكان السيد احمد يهدف الى احياء الدين الاسلامى والثقافة الاسلامية بشبه القارة ٠ وتسمى هذه الفترة من تاريخ مسلمى الهند بعصر النهضة الاسلامية ٠ وقد كرس السيد خان نفسه وعقد العزم على انتشال المسلمين من وهدة الركود التى سقطوا فيها ، وبدأ بان طالبهم بالتذرع باسباب العلم الحديث والتمشى مع الظروف الراهنة،كما طالبهم بان يستوعبوا الافكار السياسية الغربية وان يعدوا انفسهم لتحقيق الاستقلال من طريق الوسائل الدستورية ٠ وكان السيد احمد يلقى معارضة شديدة من الزعماء الدينيين لانهم ظنوا ان المسلمين قد يفقدون مقومات شخصيتهم بوصفهم امة مستقلة اذا أخذوا بتعاليم الغرب ووسائله وانهم سينغمسون ويضيعون فى المجتمع الهندوكى ٠ ولكن السيد احمد لم يأبه بهذه الظنون وواصل حملته على يقين منه بأن تقاليد الاسلام المقدسة يمكن ان تتمشى مع التقدم الذى يحرزه العصر الحديث وهكذا بدأ المسلمون يتنورون فى ضوء التعليم الحر وراحوا يطالبون بنصيبهم فى الحياة الادارية والسياسية فى البلاد كما اخذوا يطالبون الانجليز بنصيبهم الكامل فى شئون التجارة والخدمة المدنية وسلك البوليس والقوات المسلحة وفى الميدان الاقتصادى ايضا ٠ وقد اصبحت هذه الحركة ، التى كانت تتجه من اول الامر ناحية الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى ثم اتجهت فيما بعد ناحية تحرير المسلمين تحريرا سياسيا ، حركة تتحدى النظام والكيان الذى اقامه الحكام البريطانيون ،

والذى مكن الهنادكة من قطف ثمار كل الفوائد وفرض سيطرتهم على المسلمين المتخلفين . وقد عمل السيد احمد على تعريف الحكومة بطريق الاقناع الودى بالاسباب الحقيقية التى قامت من اجلها حركة (العصيان) وردها الى فرض حكم على البلاد ضد رغبات اهلها . وكان مما طالب به السيد احمد ايضا وجوب السماح للمسلمين بدخول المجالس التشريعية بالهند والاعتراف بالحكومة الذاتية المحلية . وقد عاش السيد أحمد الى ان رأى تحقيق هذين المطلبين .

وجاء فى عدد اخر من مجلة الباكستان تحت عنوان : (دور مسلمى الهند فى حرب الاستقلال) ولاهميته رأيت ان أنقله لحضرة القارى .

دور مسلمى الهند فى حرب الاستقلال

يكذب بعض المؤرخين اذ يقولون ان حركة عام ١٨٥٧ م التى شبت فى شبه القارة الهندية الباكستانية كانت من قبيل المصادفة أو كانت نتيجة لتمرد بعض القوات الغاضبة، فالواقع ان هذه الحركة كانت اول حركة منظمة هدفت الى تحرير البلاد من نيـــــر الحكم الاجنبى وان تسميتها بحرب (الاستقلال) ما هى الاتسمية صحيحة تتضمن الهدف والغرض الذى من أجله قامت وما أن بدأت هذه الحركة بالتمرد العسكرى حتى اصبحت الثورة التى طوت بين جناحيها الشعب الهندى وعلى راسه الامراء والرؤساء وحتى قام الجميع بما فيهم الجند

يثورون ضد السلطة وضد رجال السلطة . وان التاريخ سوف لن ينسى هذا الجهاد النبيل الذى قام به الشعب منذ ذاك اليوم كما أنـــه ســـوف لـــن ينسى التضحيات الكثيرة النفيسة التى بذلها فى سبيل الحرية القومية .

وأنه من الخطأ كذلك ان يقول بعض المغرضين ان ثورة ١٨٥٧ م لم تكن الانتيجة لبعض الاعمال الاستفزازية المؤقتة ، لان بذور هذه الثورة كانت قد انزرعت فى صدور الناس هناك منذ ربع قرن قبل ذاك التاريخ ، حين سقط سيد احمد شهيد بريلوى ومساعده شاه محمد اسماعيل عام ١٨٣١ م شهيدين فى موقعة (بلاكوت) التى حارباها ضد قوات السيخ .

والتاريخ يشهد ان ثورة ١٨٥٧ م بـدأهـــا المسلمون ليخلصوا انفسهم وغيرهم من براثن المستعمرين الانجليز ولينقوا الحياة السياسية مما كان يعلق بها من أوشاب وفساد . وكانت الهند جميعها باستثناء دلهى التى كان يحكمها بهادر شاه الثانى ، تحت سلطة الانجليز وكانت السند قد ضمت الى حكمهم فى ١٨٤٣ م كما ضمت البنجاب بعد ذلك فى ١٨٤٩ .

ولما أضمحلت الامبراطورية المغولية انحط شان المسلمين سياسيـــا واقتصاديـــا وكان البريطانيون يعاملونهـــم معاملة شاذة دعتهم الى ان يؤمنوا بانه لم يعد لهم مكان فى بلادهم ولا صوت فى تصريف امورهم .

ومما زاد الطين بلـه ان الانجليز عمدوا الى وسائل مختلفة كانوا يعبرون فيها عن احتقارهم للمسلمين وعدم احترامهم لدينهم . فقد كانوا مثلا يتزوجون من مسلمات في حين كانوا يعرفون تمام المعرفة ان الدين الاسلامي يحرم مثل هذه الزيجات . وقد حدث ان تزوج (اغسطس بروك) حاكم بنارس و(من دراو كمبور) من زوجتين مسلمتين حسب الشعائر المسيحية . وكذلك تزوج الكولونيل (سكينر) المشهور باحدى المسلمات بعد أن تحولت عن دينها . ويقول الدكتور برسيفال سبير في في احد كتبه المعروفة ان الانجليز كانوا يتزوجون من المسلمات وان منهم من كان يتزوج حتى من العائلة المالكة نفسها .

ويعترف المؤرخون الانجليز انفسهم مثل هنتر بأن مسلمي الهند كانوا يقاسون يومئذ من حكم الاستبداد بهم فقد كانوا يعطون احقر الاعمال ، وكانوا يحرمون من ممارسة التجارة والصناعة فكان طبيعيا والحالة هذه ان يمتلئ صدر المسلمين حنقا وغيضا من هذه الحالة وكانت كل الاعمال وكل التصرفات تنطبع بهذا الطابع . . . استنفزاز المسلمين والعمل على وضع انوفهم في الرغام . .

وزاد التوتر حدة عندما ثار الجند في (بتنا) عام ١٨٤٣ وعام ١٨٥١ م حين سرت بينهم اشاعة تقول ان رصاص بنادقهم مغلف بشحم الخنزير وبشحم البقر . وكان عليهم ان يجذبوا غلاف هذا الرصاص من البنادق بعد ان يطلقوها . فكأنه كان على المسلمين ان يلمسوا بالسنتهم شحوم الخنازير وكانه كان على الهنادكة ان يتذوقوا شحوم البقر . وكان الشعب لا يزال يذكر ان أبطاله بذلوا ارواحهم رخيصة منذ ٢٥ سنة بينما كانوا يحاربون الانجليز .

وقد حدث اول تمرد في (بركبور) بالقرب من كلكتا حيث كانت تعسكر قوات معظمها من البراهمة وكان ان رفض هؤلاء البراهمة استعمال هذه الدخائر ولكنهم قدموا الى المحاكم العسكرية . ومع ان رؤساء هم افهموهم ان مخاوفهم تلك لم يكن لها ما يبررها فانهم لم يطمئنوا الى هذه التكذيبات وعدوا ذلك اهانة لحقتهم.وانتشرت الاخبار عند غيرهم من الجند . وكان احد الجنود قد اخذ على عاتقه ان ينشر هذه الانباء من فرقة الى فرقة ومن معسكر الى معسكر ولكن البريطانيين امسكوا به ووضعوه في فوهة المدفع واطلقوا به فتناثرت جثته قطعة قطعة وكان ذلك امام الجند انفسهم .

ووصلت هذه الانباء دلهي وميروث حيث كان يعسكر عدد كبير من القوات الانجليزية والهندية وفي ٩ مايو ١٨٥٧ م طلب قائد حامية ميروث من جنده ان يقوموا ببعض التمرينات على بنادقهم ولكنهم رفضوا اطاعة الاوامر وفي الحال ادخلت هذه القوات الى معسكراتها وقبض على زعماء الحركة ووضعت فيهم القيود امام جموع غفيرة من الجنود . وفي اليوم التالي - ١٠ مايو ١٨٥٧ - ثارت هذه القوات

وخرجت الى المدينة حيث اشعلت النار في بيوت البريطانيين وتوجهوا بعد ذلك ناحية دلهي - وكانوا يطلبون وهم في طريقهم ذلك الى كل من يقابلونه ان يزودوهم بما يعينهم على محاربة الانجليز . وقطعوا اسلاك البرق ليمنعوا الاتصال بين ميروث ودلهي . وفي يوم ١١ مايو اجتمعت القوات عند الحصن الاحمر وطلبت رؤية الامبراطور ولما أطل عليهم الامبراطور طلب منهم الا يعملوا على ما من شأنه ان يجلب الخزى لهم والعار له ولكن القوات رفضت الاستماع الى نصائح الامبراطور العجوز . ولما عادوا من الحصن اخذوا يقتلون الحراس الانجليز وكل من يقابلونه من الانجليز وفي نفس الوقت قتل بعضهم المقيم العام البريطاني وكان في الحصن الاحمر نفسه وما ان خيم الظلام في تلك الليلة على دلهي حتى لم يكن فيها بريطاني ولم يسلم فيها غير بيت واحد لجأ اليه اربعون منهم بقوا على قيد الحياة .

واصبح لامفر من القتال . . وكما تجمع الشعب تجمعت القوات البريطانية وهنا حدثت خيانة من جانب المهراجا بتيالا فانه بعد ان تسلم من الامبراطور بهادر شاه ظفر الرسالة التي يطلب اليه فيها ان يمده ببعض القوات بعث بهذه الرسالة الى القائد البريطاني . ولم يكتف هذا الخائن بذلك بل ترك الطريق الحيوى مفتوحا امام الجنرال نيكلسون الذى جلب قوات اضافية كبيرة من البنجاب وكان طبيعيا ان تؤثر هذه العملية على المحاربين البواسل .

وامتدت الثورة الى كل مدينة بشبه القارة وكان الدور الذى قامت به البنجاب عموما ولاهور خصوصا دورا لايزال التاريخ يذكره بالفخار والاكبار ولكن السيخ الذين كانوا قد اضاعوا بلادهم نتيجة لاغتصاب البريطانيين لها انحازوا لجانب البريطانيين وحاربوا المسلمين وقتلوا منهم في جيلم وسيالكوت اكثر من ١٥٠ مجاهدا وقد ظهرت النذالة في هذه الموقعة باجلى صورها اذ اضطر المجاهدون الى أن يلقوا بانفسهم الى نهر راوى ولكنهم انقذوا منه ووضعوا في احدى جزره ولكن الى ان يجيء السيخ ويحيطوا بهم ويرمونهم بالرصاص . وكان السيخ الذين لم يكونوا على ود ابدا مع المسلمين يظنون أن مما يجب عليهم عمله ان يقهروا المسلمين الذين كانوا يتوقون الى استعادة امجادهم واملاكهم . وقد اعترف البريطانيون بالمساعدات القيمة التي منحها مهراجا (باتيالا) ومهراجا (نبها) وغيرهما من الحكام السيخ لقواتهم اثناء حرب الاستقلال .

وجرت مثل هذه الاحداث في نوشيرا ولديانا وجولندر وملتان وهوشياربور .

وقد عمد البريطانيون خلال هذه الاحداث الدموية الى استغلال النعرات الطائفية والدينية فكانوا يغرون صدور المسلمين ضد الهنادكة وصدور اهل البنجاب ضد اهل غير البنجاب وكانوا يعرفون ان القوات الهندية القادمة من الهندستان مثلا تكره اهل البنجاب فكانوا يستغلون هذا العامل النفساني استغلالا سيئا مشينا وكانوا يرمون من ورائه الى وقف الاضطرابات بالبنجاب وقد

شاهدت (جانسى) وهى فى الهند الوسط، معركة نبيلة تحتفظ لها حرب الاستقلال بصفحة من نور ، فقد خرجت (الرانى) الحاكمة على رأس قواتها لمحاربة مغتصبى مملكتها ولكنها كاختها (رضياسلطانة) وقعت فى ميدان الجهاد الشريف ضحية الغدر والقوة .

وبعد ان نجح البريطانيون فى اقرار الامور بدلهى شنوا حملة فضيعة على اهلها وعلى قواتها بقصد التشفى والانتقام وقد اضطر السكان الى ان يخلوا بيوتهم أما لان المستعمرين كانوا قد اشعلوا فيها النيران واما لانهم كانوا قد هدموها وكان افراد الجند الفارين للخلاص مما ينتظرهم يعتقلون ثم يرمون بالرصاص . ومات مع هؤلاء عدد كبير اخر منهم المتأدبون والعلماء والمثقفون ورجال الدين ومنهم رجال افاضل لا يزال تاريخ الادب الاوردى والفارسى يحتفظ لهم بمكانتهم المرموقة وكان من هؤلاء مولانا امام بخشى صحباى ، وميرزا غالب ومحمد حسين .

وكانت المتاعب والماسى التى لقيها اهل دلهى شديدة فظيعة وكانوا اذاسلموا من الانجليز لم يسلموا من الهنادكة وقد ادى الامر بامبراطور دلهى العجوز الى ان يلجأ الى مقبرة سلفه امبراطور همايون طلبا للنجاة ولكن حموه ورئيس وزرائه نفسه خاناه وافهماه ان البريطانيين سوف يؤمنونه على حياته وسلماه اليهم مع ابنائه الصغائر الثلاثة وان التاريخ ليذكر هذه الخيانة بما فيها من خسة ونذالة كما لا يذكر حادثة اخرى شبيهة بها . فقد كان القائد العام البريطانى قد اعطى كلمة الشرف للامبراطور ليحميه هو وأهله ولكن لما ركب الامبراطور مع ابنائه جيادهم بصحبة الماجور هدسون الذى كلف بحراستهم امرهم بالنزول فى منتصف الطريق واوقف الاولادالصغار على حافة الطريق وأمر بخلع ملابسهم ثم اخرج هذا الرجل غدارته ورماهم بالرصاص ويقول احد المؤرخين ان رؤوس هؤلاء الصغار اجتثت من اجسادها ووضعت على أوان وقدمت لـلاب البائس المتهالك . وبعد ذلك نفى الامبراطور الى رانجون بعد محاكمة مضحكة عقدت فى الحصن الاحمر وهناك مات فى فقر مدقع وفى حالة بائسة للغاية .

وبهذه المرحلة انتهى اول فصل من فصول حرب التحرير التى انتهت بعد تسعين سنة بتأسيس الباكستان حين انتهى الفصل الاخير منها ، ذلك الفصل الذى شاهد نضال امة مجيدة واخلاص زعيم قدير هو محمد على جناح .

وقد جاء فى كتاب اخترنا لك ../ ١٣

المسلمون والقومية الهندية

شغل المسلمون والهنود على السواء بالحركة الاصلاحية بعد اخفاق الثورة التحريرية وظلوا كذلك الى قبيل نهاية القرن التاسع عشر فان الهدف من تكوين (المؤتمر الوطنى) كان اسماع الهنود اصواتهم

للانجليز القائمين بالحكم ، والتقدم اليهم بمطالبهم في الاصلاح كما ذكر السكرتير العام لحكومة الهند سنة ١٨٨٣م حين اكد حاجة البلاد الى مثل هذا المؤتمر حيث يستطيع صفوة رجالات الهند ان يلتقوا في كل عام ليظفروا بحرية اكبر ، ويمرنوا على ادارة اوسع ويساهموا بقسط اوفر في تدبير شئون وطنهم .

تكون (المؤتمر) وكان حفل افتتاحه الاول في بومباى سنة ١٨٨٥ م والاعم الاغلب من مؤسسيه من خريجي الجامعات الانجليزية او ممن تتلمذوا على اساتذة انجليز في الهند ولهذا سيطر عليه روح الاعتدال في مستهل وجوده فكان من زعمائه (جويال كرشنا جوكهيل) الذى كان يؤمن بان خير الهند في ارتباطها بالحكم الانجلبزى و(بونرجى) اول رئيس للمؤتمر الذى صرح بان (بريطانيا قد فعلت الكثير لخير الهند وصالحها) واطرى ماقامت به من جهود (في سبيل اقرار النظام وتحسين المواصلات وادخالها التعليم الغربى في البلاد) .

ولكن تطور الامور في الشرق والنزعة الاستقلالية التي اجتاحت العالم والاخطار التي وقع فيها الحكام الاستعماريون كل اولائك وجه البلاد وجهة اخرى وجهة تدعوا الى الاستقلال والتحرر من كل ما هو اجنبى فبريطانيا قد اغفلت نشر التعليم في الهند وقصرته على الفئة الاقطاعية الثرية .

وبريطانيا قد عينت في الهند حكاما يتسمون بالقسوة والتعالى ويجنحون الى الحكم المطلق مما حد بالشبان الذين طافوا باوربا وتفتحت اعينهم على مبادىء الحرية والعدل والمساواة التي نادت بها الثورة الفرنسية وغيرها من الثورات التحريرية ان يظهروا ضيقهم بسياسة الاستعمار وان يهبوا لتحرير بلادهم من ربقته وقد زاد الوقود ضراما انتصار الصفر على البيض أو اليابان على الروس سنة ١٩٠٥ م فقد جاء في احد تقارير نائب الملك في الهند ان المجتمعات العامة في الهند اخذت تشيد بهذا النصر نصر الاسيويين الصفر على الاوربيين البيض ، بل ان هذا الهمس قد تحول للجهر والعلانية بعد خمسة اشهر من هذا الانتصار حين عمد الانجليز الى تقسيم البنغال فقد اعطى ذلك اشارة العمل لهؤلاء الشبان الساخطين وكان من الطبيعى ان نرى بوضوح اثر هذا السخط في الهند الشرقية (البنغال) حين نادى الهنود بمقاطعة البضائع الانجليزية

وقد دعا هذا الامر الحكام الانجليز الى استخدام العنف والقسوة لاخماد هذه الحركة التي تشل اقتصادهم - الهدف الاول من استعمارهم - ولم يكن بد من ان يسرى هذا التيار الجارف تيار الثورة والتذمر الى هيئة المؤتمر الوطني فسيطر على اعضائه المعتدلين منهم من أمثال جوكيهل والمتطرفين كتيلاك على السواء ، ففي أثناء دورة انعقاد المؤتمر التالى للتقسيم ندد جوكيهل بسياسة تقسيم البنغال وختم خطابه قائلا (ان الهدف الذى اصبح يرمى اليه المؤتمر ان الهند ينبغى ان تحكم لخير الهنود

انفسهم وان حكومة هذا القطر يجب ان تقوم على اساس الحكم الذاتي القائم في حكومات الامبرطورية البريطانية) .
واقترنت هذه الثورة باسم زعيم وطني برهمي هو

(تيلاك) الذي اخذ ياجج نيرانها بخطبه الملتهبة وكتاباته الثورية في صحيفته (ياغنتار) التي تصدر في كلكوتا مما كان له دويه في الرأى العام الهندي فكثرت حوادت اغتيال الانجليز وتقتيلهم اذ امن الوطنيون الهنود بان الاغتيال السياسي للاجنبي الدخيل لايعد قتلا البتة فهو دفاع مشروع تجاه القوة الغاصبة .

وما أروع مانطق به الشاب الهندي الذي اغتال الموظف الانجليزي الكبير السير كرزن ويلي وهو على حبل المشنقة «ان أمة يتحكم فيها الاجانب الدخلاء بحرابهم الماضية المسمومة لهي على حرب مشبوبة دائما ، حرب العصابات والاغتيال لانها عزلاء من السلاح .

وقد لجأت الى غدارتي اطلق منها الرصاص على الاجنبي لانى لم أجد مدفعا يدمدم بالحمم والصواعق . انى بصفة كوني هنديا أومن بان الاساءة الى وطني انما هي اساءة الى ربي . . . ومن كان مثلي صفر يدين خالي الوفاض فليس في وسعه الا ان يجود بدمه الذى يسرى في عروقه ، وأن يسفك اخر قطرة منه على مذبح الهند المقدس ان العظة التي ينبغي تلقينها في الهند اليوم تتمثل في معرفة الهندي كيف يجب عليه ان يموت ، والوسيلة الوحيدة لتلقين هذه العظة هي أن اشرب انا وأمثالي ... كأس الردى فمرحبا بالموت ومرحبا بالاستشهاد . .

أن هذه الحرب القائمة في ديارنا ستظل مشتعلة في ربوع الهند مادام الجنسان الانجليزي والهندي على هذا العداء . ومالم تتبدل هذه الحال بافضل منها . .

هذه الروح الوطنية الدافقة هي التي سيطرت على الهنود وهي التي دفعت حكومة الهند الانجليزية الى قمعها بالحديد والنار وتعطيل الصحف الوطنية وتعقب الزعماء الوطنيين وسجن بعضهم وتقتيل بعضهم الاخر والالتجاء الى الوسائل الارهابية العنيفة مما زاد الفتنة اشتعالا والنار ضراما . على أن هذه الحركة قد صاحبها شيء غير قليل من التعصب ، التعصب للهند الارية أو البرهمية والدعوة الى العودة بالهند الى ماقبل الحكم المغولي الى العصور الذهبية كما يطلقون عليها .

انها حركة تشبه تلك التي قامت في تركيا تدعو الى (الطورانية) أو في مصر تدعو الى (الفرعونية)

هذه الحركة هي التي دعت المسلمين الى ان ينظروا بحذر ، وفي شيء كثير من التشكك الى الروح الوطنية الهندية الدافقة التي بات شعارها (رجوعا الى الفيدا) ومعنى هذا احياء الروح الهندي القديم . والتعفية على كل ما هو غربي او حديث والايمان بالفلسفة الهندية والبرهمية الهندية ، التي تقدم

القرابين والذبائح الى الهة الهند ، وتطهير تربة الهند المقدسة من كل ما هو اجنبى ، والاجنبى فى نظرهم ومعتقدهم غير البرهمى ، واذن فالمسلمون اجانب وينبغى تطهير الوطن منهم .

هذه الروح المتعصبة دفعت المسلمين الى حركة المقابلة ، حركة أحياء القومية المغولية التى تأبى كل الاباء ان تخضع فى حكمها لعبدة الاوثان والمشركين بالله واذا كانوا قلة بالنسبة الى الهندوس فليعملوا على التكتل والاتحاد، وليوالوا الانجليز حتى يجدوا لانفسهم مخرجا ، وحتى لايقعوا بين شقى الرحا ويحاربوا من جهتين معاديتين خطيرتين .

فاداهم تفكيرهم الى تكوين (الرابطة الاسلامية) على غرار المؤتمر الوطنى وذلك فى ٣٠ ديسمبر ١٩٠٦ م / فى مدينة دكا . وبتكوينها اخذ المسلمون فى الهند فى اعادة خلق تاريخهم السياسى .

وكان تكوين هذه الرابطة بدعوة من السيد نواب وقار الملك لقادة المسلمين فى الهند ، وقد انتهوا فى اجتماعاتهم الى تكوين (الرابطة) التى تتلخص اهدافها فيما يلى : -

(١) تقوية شعور الولاء للحكومة البريطانية وابعاد كل تصور خاطىء يمكن ان تتهم به نيات الحكومة او تصرفاتها .

(٢) حماية حقوق المسلمين الهنود السياسية ومصالحهم والعمل على تقدمها وتمثيل وجهة نظرهم امام الحكومة من حيث آمالهم ومطالبهم .

(٣) منع اظهار شعور العداء نحو اى مجتمع اخر بدون تعصب لمواد الرابطة التى سبق ذكرها .

ثم تقدم المسلمون خطوة اخرى فى سبيل تدعيم كيانهم ، ذلك انهم فى سنة ١٩٠٦ ، تحت زعامة آغا خان اوفدوا جماعة منهم الى نائب الملك فى الهند لورد منتو مطالبين بحماية خاصة للمسلمين عند زيادة تمثيل الهنود فى الحكومة فيكون للمسلمين ممثلون مستقلون فى المجالس البلدية والقروية والمجالس التشريعية الاقليمية والمركزية .

وقد صرح لهم لورد منتو بموافقته على مبدأ المشروع ، وضمنه اصلاحات مورلى - منتو منذ سنة ١٩٠٩ م . ومنذ سنة ١٩١١ م اخذ التطرف الذى جنح اليه المسلمون للمطالبة بكيانهم يميل الى الاعتدال وبخاصة بعد ان قطع لهم الهنود العهود والمواثيق على ضمان مستقبلهم مما كان له أثره القوى فى اشتداد الحركة الوطنية . والمطالبة بتحرير الوطن ، واقامة حكم ذاتى فى الهند داخل نطاق الامبراطورية البريطانية .

وعند نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ هادن الحكومة كل من زعماء المؤتمر والمسلمين ووعدوها

بالمؤازرة لهـا فـى نضالها ، وامدها حكـام الاقاليـم بالمال والرجال ففـى اقـل مـن شهـر بعـد اعلان الحرب ابحـر ٨٠٠،٠٠٠ هنـدى ليخدموا قضيـة الانجليز وحلفائهم فيمـا وراء البحار .

وفى سنـة ١٩١٨ قبـــل اعـــلان الهدنـة كـان ١،٢٠٠،٠٠٠ جنـدى مـن الهنود عـلى اهبة الاستـعداد للسفر الى ميادين القتـال .

عـلى أنـه عند انتهـاء الحرب العـالميـة الاولى حاولت بريطـانيـا ان تتدرج فـى منح الهنود الحكـم الذاتـى فى نطـاق الامبراطوريـة البريطانيـة حيث اصدرت قانونـا فـى ضـوء تقـريـر (منتاجو - شلمزفورد) ولكـن هـذا القانون خيب آمال كثيـر مـن الهنود ودعاهـم فيما بعد الى الثورة والانتقاض .

وفى الوقت ذاتـه أحدث تمزيـق الدولـة العثمانيـة وانهيار الخلافـة الاسـلاميـة ثـورة هوجاء فـى نفوس المسلمين الهنود ، واجتاحتهـم موجـة كـراهيـة شديدة للانجليز ، العامـل الاول فـى هذا التمزيق وذاك الانهيار حتى بلـغ الامر بمتطرفى المسلمين ان اظهروا استعدادهـم لتشجيع اغارة مسلمى الافغـان على الهنـد ؛ والترحيب بهـم وقـد وحدت خيبة الامـال المعقـودة على الانجليز بيـن الهندوس والمسلمين فنقموا جميعا عـلى الاستعمار ؛ واجتمعوا عـلى رأى واحـد ؛ وتبلورت هـذه الوحدة فـى نفوس زعمائهـم الثلاثـة غاندى زعيـم الهنود وشوكت ومحمـد عـلى مـن زعماء المسلمين .

وبلغ الاتحاد بينهما ذروتـه فـى الفتـرة ما بيـن ١٩١٩ - ١٩٢٣ التـى حدثت فيها الاضطـربات الشديدة فـى اقليم البنجاب ؛ وقعت حادثـة امرتسار التـى اطلقـت فيها المدافع الـرشاشة عـلى المواطنيـن العـزل حيث كانوا يستمعون الى خطاب احـد الزعماء عـلى أثـر اعتقال كبيرين منهـم احـدهما هندوسـى ؛ والاخـر مسـلم فقتـل ٤٠٠ شخص وجـرح ثـلاثـة اضعاف هـذا العـدد .

وما تلا هـذا الحادث الوحشـى مـن اذلال فقـد اصدر الجنرال (ديـر) بطـل الحادث المشئوم امـرا الى كـل مـن يمـر بشارع اعتـدى فيـه بالضـرب عـلى نـاظـرة مـدرسة انجليزيـة ان يـزحف عـلى اربـع وان يكـن مـن سكـان هـذا الشارع .

وفـى هـذه الفتـرة ايضـا لم تصـغ الحكـومة الانجليزية الى مطـالب المسلميـن الهنود حول الابقـاء عـلى تـركيا رمـز الجامعـة الاسـلاميـة ؛ فادى بهـم الامـر الى عقـد مـؤتمـر دلهـى فـى نوفمبـر ١٩١٩ تجـلى فيـه بوضوح قوة الاتحاد بيـن عنصرى الامـة الهنديـة اذ حضـــر المـؤتمـر جمـع كبير مـن الهنـدوس عـلى رأسهـم الزعيـم غاندى عضـدوا فيـه المطـالب الاسلاميـة ؛ وادى بهـم التفكيـر الى اعـلان سياسـة عـدم التعـاون مـع الانجليـز فـلايقتصـر الامـر عـلى مقاطعـة بضائعهـم بـل تجـاوزو الى عدم دفـع الضـرائب ومقاطعـة مدارسهم ومحـاكمهم ووظائفهـم وكـل مـا يمت اليهـم بسبب ؛ وفـى هـذا الوقت اعلن مشروع (منتاجو) الذى سبقت الاشارة اليه

فقوبل بتحفظ فى بادى الامر ولكن الظروف السيئة التى حفت به ادت الى الانقلاب عليه والمضى فى سياسة عدم التعاون التى رسمت من قبل .

وفى ديسمبر سنة ١٩٢٠ عقد المؤتمر الوطنى احدى دوراته فى (نجبور) بالهند الوسطى ليقرر الهدف من حركة (عدم التعاون) او العصيان السلمى فكان من رأى غاندى الوصول بالبلاد الى الحكم الذاتى فى نطاق الامبراطورية البريطانية ان امكن وخارجها اذا لزم الامر، وفى رأى جناح الاقتصار على الحكم الذاتى داخل نطاق الامبراطورية ولكن المؤتمر لم يأخذ برأى جناح مما دعاه الى الاعتزال .

ولعل جناح كان يخشى كاغلب المسلمين الهنود اذا خرج الانجليز من الهند فان السلطان سيكون فى يد الاغلبية الهندية وبالتالى تضيع مصالح المسلمين وحقوقهم على ان بعض الزعماء المسلمين الاخرين كان لايرى طغيان الهندوس على مصالح المسلمين لما ابداه زعماء الاولين من التسليم بحقوقهم فوقفوا فى صف الحركة الهندية الى النهاية وبخاصة السيد محمد على شقيق شوكت على الذى صحب غاندى فى رحلاته للدعوة الى مبدأ (عدم التعاون) وليكون رمزا للوحدة الهندية .

وقد شاء الحكام الانجليز ان يقبضوا على السيد محمد على ثم شقيقه شوكت ويصدروا الحكم عليهما بالسجن عامين لتحريضهما المسلمين الهنود على عدم الانتظام فى الجيش البريطانى فتأثر غاندى وأخذ بدوره يحرض الهندوس على ترك خدمة الجيش البريطانى تضامنا مع زميليه محمد على وشوكت؛ واستجابة للقرار الذى اصدره المؤتمر الوطنى فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٢١ م .

وفى ٢ فبراير سنة ١٩٢٢ لجأ المتظاهرون فى قرية صغيرة تدعى (شاورى شاورا) الى العنف والخروج على مبدأ العصيان السلمى حين اطلق البوليس النار عليهم ؛ واضطراره الى الاحتماء بمركزه عند نفاذ ذخيرته؛ فما كان من المتظاهرين الا ان احرقوا بعض الشرطة وهم احياء .

هذا الحادث كان له صدى هائل فى انجلترا وتأثيره سيىء فى نفس غاندى الذى دعا الى انهاء حركة (عدم التعاون) والذى كان من نتائجه ان طالبت انجلترا تحت ضغط الرأى العام الانجليزى بالقبض على غاندى واعتقاله ثم الحكم عليه بالسجن ست سنوات .

وفى هذه الاثناء كانت حركة المسلمين من أجل الخلافة الاسلامية قد فترت بعد ان جنح مصطفى كمال الى العلمانية ؛ وعزل السلطان والغى الخلافة فى تركيا .

وما ان فترت المطالب العامة للمسلمين الهنود حتى عاد الانشقاق الى صفوف المواطنين ، وثارت الخلافات بين المسلمين والهندوس كسابق عهدها الاول . (١)

---

(١) ـ كان هذا لاسباب اعتقال غاندى وغيابه عن الميدان



مع سعادة راد حقى شان وكيل رئيس الجمهورية لدولة الهند

المسلمون فى طريق الانفصال

تزخر الهند بالوان من الطوائف ؛ وعديد من الاديان ؛ وخليط عجيب من الاجناس واللغات ؛ ففيها ٦٨٪ هندوس أو براهمة ؛ ٢٢٪ مسلمون ؛ ٣٪ بوذيون ؛ ٢٪ مسيحيون ؛ ١٪ مجوس أو زراد شتيون ٣٪ مذاهب اخرى :

وفى الهند ما يقرب من ١٢ لغة وأكثر من مائتى لهجة .

فكيف يتأتى لمثل هذه الرواسب الضاربة بجذورها فى اعماق الماضى ان تنزاح من الطريق حتى تأتلف هذه الاجناس والمذاهب وتلتقى على رأى موحد؟

ومن الطبيعى ان تبحث الاقلية الكبيرة عن مخرج تبقى فيه على وحدتها وتكاملها فلا تبغى عليها الاكثرية لتبتلعها أو تعرض مصالحها للخطر..

وهكذا عمل اكثر قادتها على تكوين أمة مستقلة، وتهيئة الرأى العام الاسلامى تحت ظل الحكم البريطانى للسير فى هذا الطريق .

وقد انتهز هؤلاء القادة كل فرصة سانحة ليعبروا فيها عن هذا الشعور الذى يخالجهم ويستولى على مشاعر اكثريتهم ؛ وآية ذلك ما حدث عند تقسيم البنغال سنة ١٩٠٥ م ؛ فهذا التقسيم الذى اقدم عليه اللورد كرزون كان لعبة بارعة حقا فهو يرضى من ناحية السياسة الانجليزية التى تقوم على التفرقة وانتهاز الفرصة، ومن ناحية اخرى يرضى المسلمين ويضرب لهم مثلا على امكان استقلالهم ولو لم يشب هذا التقسيم بعض الشوائب؛ ولو لم يتقدم به الزمن عما قدر له ؛ ولو لم يقتصر على البنغال لرحب به المسلمون وعضوا عليه بالنواجذ كما يقولون .

فهذا حاكم (دكا) يصرح فى الدورة السادسة لانعقاد الرابطة الاسلامية بعد ان صرف النظر عن التقسيم .

«لقد منحنا التقسيم فرصة عظيمة للتحرك ؛ وايقظ فى قلوبنا خفقات حياة قومية جديدة سكنت دقاتها خلال تعاقب الفصول فى البنغال الشرقية .

لقد ادرك سيئو النية ان التقسيم سوف يحقق المطالب المهملة لمسلمى البنغال الشرقية وان ما سنحصل عليه وان يكن قليلا يعد خسارة جسيمة بالنسبة اليهم . ان صرف النظر عن التقسيم سيكلف غاليا من الامتعاض وعدم الولاء ؛ اذ أوجد تأثيرا سيئا فى عقول الجماعات غير المسئولة مما يجعل الحكومة تخر راكعة نتيجة تحدى سلطتها القائمة ؛ وفوق ذلك فقد انقص هذا العمل من قدر الحكم البريطانى وهذا شيء يؤسف له » .

وجدير بالاعتبار أن البراهمة كانوا يرون ان المسلمين دخلاء على بلادهم ، وانهم احق بالسيطرة والسلطان ، ويعتقد المسلمون ان البراهمة على خطأ فيما يرون لانهم حكموا الهند قرونا طوية وان غالبيتهم من الهنود

الـذيـن اعتنقوا الدين الاسـلامى طواعيـة لا كرها، ومن هنا انعـدمـت الثقـة وتجسـمـت هنـات كـل مـن الفـريقيـن وكـثـرت حوادث الشغـب واتيـرت الفتـن الطـائفيـه الهوجـاء ؛ ففـى البنغـال فيمـا بيـن سنتـى ١٩٢٢ و ١٩٢٧ سبيت . . . ،٣٥ امـرأة فيمـا عـدا حوادث الغصب والقتل؛ وحـرق النـاس احيـاء ممـا تقصـر دونهـا فظائـع سنـة ١٩٤٧ م عنـد قيـام دولـة « باكستان » .

وفى اضطرابات (كـانبور) فـى مارس سنـة ١٩٣١ م قـدر عدد القتلى بمـا يتراوح بيـن ٤٠٠ و ٥٠٠ قتيـل .

وفى مقاطعـة (بومباى) فيمـا بيـن فبـرايـر سنـة ١٩٢٩ وابـريـل سنـة ١٩٣٨ قتـل ٥٦٠ وأصيـب ٤٥٠٠ باصابات بالغة فـى مـدى ٢١٠ أيام .

ومرد هـذه الاضـطـرابات الداميـة والحوادث المحزنـة الى اسباب تافهة امـلاهـا عقـل محـدود، وفكـر ضيق، واهاجها جموع مـن الغوغاء، وجماهيـر من الدهماء، فالتسامح الدينـى ورحابـه الافق وبعـد النظـر تابى قيام هـذه الفتـن وحـدوث هـذه المذابـح، فمـن اسبابهـا احتفـال الهندوس باعيادهـم فـى الوقت الذى يسترسـل فيـه شيعـة المسلميـن فـى الحزن فـى العـاشـر مـن المحرم يـوم ان استشهـد الحسيـن بـن على فـى كـربلاء .

أو أن يعمد الهنـدوس الى دق اجـراس معابدهم دقات صاخبة تقطع على المسلمين اداء فرائضهم الخمس فى صلواتهم

أو الى تضحيـة المسلميـن بذبـح الابقـار فـى عيدهـم عـلى حيـن انهـا تقـدس عنـد الهنـدوس ؛ او الى ابـداء رأى فـى مـوضوع دينـى مـن احد الجانبين ؛ وما الى امثـال هـذا الذى ذهبنـا اليه، فهـل تؤدى مثـل هـذه الاسباب الى ذلـك التقتيـل والتحـريق ؟.

ولكنـه انعدام الثقـة الذى يجسـم الامور التافهـة .

وربما اذا تعمقنـا الامور وجدنـا عـوامـل اخرى تعمـل عملهـا فـى هـذا الاضطـراب، تؤدى الى هـذا الاحتكـاك والصـدام ؛ مـن بينهـا هـذا التنافـس الذى يسيطـر عـلى الفـريقيـن للظفـر بالمنـاصـب الحكـوميـة والتبريـز فـى الميادين الاقتصاديـة لـلاستحواذ عـلى اوفـى حظ من الثـراء والقـوة والجاه .

وانعدام الثقـة جعـل كـل فريـق ينظـر الى الاخر نظـرة المستريـب ؛ فماذا يكـون الوضـع لـو تخـلى البريطـانيون عـن السلطـة؟ أيكـون الامـر بيـد الاغلبية الساحقة . ؟ ام يكـون فـى يـد المعـارضـة القـويـة ؟ ان كـلا منهمـا تتوجـس خيفـة مـن الاخـرى وتتربـص بهـا الدوائـر ؛ فعـلى الرغـم مـن ان المسلميـن يعتبرون اقليـة فنسبتهـم الى الهنود ١ الى ٥ ولكـن مقـاليـد الامور ظلـت فـى يـدهـم قـرونـا طـويلـة وفيهـم مـن المـواهـب مـا يمكنهـم مـن السيطـرة والتفـوق ؛ ومـن الامانـة التـاريخيـة ان نـذكـر تلك الجهـود الجبارة التى بذلها بعـض الزعمـاء مـن الفـريقيـن لتجنـب هـذا الانفصـال والابقـاء عـلى وحـدة البـلاد ؛ ويعـد فـى الصـدارة الزعيـم جوكيهـل وكـذلـك الزعيـم غاندى فهـذا الاخير ظـل حتـى الممات مؤمنـا بامكـان الوحـدة فعـرض حياته

للهلاك مرات فى سبيل الابقاء عليها ؛ ففى سبتمبر ١٩٢٤ نذر غاندى لله صوما احتجاجا على الحوادث الدامية التى وقعت بين المسلمين والهندوس فى (كوهات) وظل صائما ثمانية عشر يوما .

وتكرر صيامه حتى أشرف على الموت كلما هاجت الفتنة النائمة .

ومن ماثور قوله (أننى أكن للمسلمين من الحب ما أكنه للهندوس، ويتجه قلبى الى المسلمين بقدر ما يتجه الى الهندوس سواء بسواء) .!

وكان قتله على يد برهمى نقم منه سياسة التقرب الى المسلمين .

وكيف يخمد مثل هذه الجهود التى هى فوق طاقة البشر ؟. ولكنه التخلف ولكنها النفس الامارة بالسوء .

وكان ان منحت الهند دستورا جديدا فى سنة ١٩٣٥ نص فيه على ان تضم كل وزارة اقليمية مشكلة أعضاء من احزاب الاقلية وان يكون لكل طائفة ناخبوها حيث يصوتون فى انتخابات خاصة، فاوجدت هذه التفرقة معسكرات فى البلاد الهندية وأكدت فصم عرا الوحدة بينها، واخذ الزعماء يعملون لحساب طوائفهم واصبح الطريق الى انفصال المسلمين امرا محتوما وغاية مؤكدة، فما ان اقبلت انتخابات سنة ١٩٣٧ حتى اخذ المسلمون والهندوس يعدون العدة للفوز باغلبية المقاعد، واضحى الفريقان كجيشين متحاربين فى ميدان المعركة يحمل احداهما علم (الرابطة) والاخر علم (المؤتمر) .

وما ذاك الا لان هناك بعض المسلمين الاعضاء فى حزب (المؤتمر) يعملون للوحدة ويؤمنون بها ويرون فى الخروج عليها حنثا بالوطن ومبادئه .

وقد كان الاستعداد لهذه الانتخابات مبكرا ؛ ففى اوائل سنة ١٩٣٦ اجتمعت الرابطة الاسلامية فى بمباى برئاسة جناح وكونت الهيئة الانتخابية المركزية العامة التى اخذت تحضر للانتخابات وتستعد لاكتساح الدوائر وتعلن برامجها ولعل هذا الخطاب الذى القاه جناح فى مارس من السنة نفسها يوضح لنا فى أى طريق تسير الرابطة قال جناح : ينبغى ان نفكر فى مصالح مجتمعنا ، انكم ايها الاعضاء «فى الرابطة» اذا لم تبذلوا جهودا جبارةفستفشلوا، ولن يحترمكم احد أو يحفل بمشورتكم ؛ نظموا أنفسكم والعبوا دوركم .

أن المسلمين والهندوس يجب ان ينفصل تنظيم كل منهما عن الاخر . واذا تم هذا اضحى كل منهما أكثر فهما للاخر . . . .

أنى سأعمل على مساعدة ثمانين مليونا واقول لكم كلما كنتم ادق تنظيما كنتم اعظم نفعا فى خوض المعركة الوطنية » .

وقد كانت نتيجة الانتخابات مخيبة لامال الرابطة واكتسح المؤتمر اكثر المقاعد ولم تصب الرابطة أكثر من ٥ ٪ من أصوات المسلمين .

ولذا صرح نهرو بقوله : لم يعد في الهند غير حزب (المؤتمر) وبريطانيا ؛ فكان جواب جناح «بل يوجد حزب ثالث ؛ المسلمون ؛ (وأضاف) اننا لا نأتمر بامر أحد بل اننا نتعاون مع أية جماعة تعمل على تقدمنا وانجاح سياستنا ونحن لا نود ان نكون اتباع اى حزب وان نكن على استعداد للعمل على قدم المساواة لرفاهية الهند وخيرها .

وكتب أقبال الى جناح في ٢٨ ما يو سنة ١٩٣٧ قائلا (الا تظن ان الوقت قد حان لانشاء دولة الهند الاسلامية لتحل مشكلات المسلمين ؟) .

وفي ١٥ أكتوبر خطب جناح في (لكناو) قائلا في صراحة ووضوح « لقد رأت اغلبية المجتمع الاسلامي ان الهندستان للهنود » ثم حذر سامعيه قائلا : ان سياسة المؤتمر الحالية ستفضي الى شدة التعصب ، وتعمل على حرب اهلية » مما جعل المهاتما غاندى يكتب اليه قائلا : ان قرائتي لخطبتك جعلتني اعتقد انك تدعو في صراحة الى الحرب » .

لقد أصبح جناح في هذه الفترة المسير للرابطة الاسلامية والممسك بزمام اغلبية المسلمين في الهند، ومن ورائه السيد لياقت على خان فاقبال فارق الحياه في ٢١ ابريل سنة ١٩٣٨م بعد ان كتب النذير الاخير الى جناح قائلا : انى اعتقد ان التنظيم السياسى اذا لم يمنح شعبنا املا في تحسين مستوى معيشته فلن يجذب انظار الكثرة منا » .

وقد كان لنشاط جناح، وقدرته على التنظيم اثره البالغ في نشر دعوته وايمان المسلمين الهنود بفكرة الانفصال ؛ وتكوين دولة خاصة بهم ففي الشهر الذى مات فيه اقبال خطب جناح يقول : ان الرابطة يشتد ساعدها يوما بعد يوم فقد انظم الى الرابطة مئات الالوف من المسلمين» .

وقد أيدت الانتخابات الفرعية التي أجريت في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٩ النجاح الباهر لمرشحي الرابطة الاسلامية.

وهذه آية الايات على ان باكستان تسير الى طريقها المقدور .

ميلاد باكستان

بعد أن أعلنت الحرب العالمية الثانية اخذ (المؤتمر) و (الرابطة) في تحديد موقفهما من المعاونة في المجهود الحربي مع الدول المتحالفة ومن بينها بريطانيا، وكان من الطبيعي ان يدرس كل من الفريقين موقفه تجاه الاخر .

وقد دعت الرابطة الى اجتماع تاريخي عقد في (لاهور) سنة ١٩٤٠ ؛ شهده جميع مسلمى الهند المنظمين الى الرابطة ؛ وفي هذا الاجتماع راجعت (الرابطة) برنامجها وحددت اهدافها ومطالبها ؛ واتخذت قرار خطيرا نادى بفكرة اقبال الاولى التي اعلنها سنة ١٩٣٠، وهي أنشاء الدولة الاسلامية في الهند او أقامة باكستان.

وذكرت في هذا القرار انها لن تقبل أى تعديل في الدستور، أو ترتضي اى حل الا اذا

قام على اساس ايجاد حكومة ديموقراطية اتحادية اسلامية تجمع بين الولايات التى للمسلمين فيها أكثرية معتبرة .

بهذا القرار التاريخى دخلت فكرة الدولة الاسلامية فى طور جديد وبخاصة بعد ان وقف المؤتمر وقادته موقف عدم التعاون مع بريطانيا فى كفاحها بعد ان رفضت الاعتراف له باستقلال الهند ووحدتها، وقبض على أكثر القادة ومن بينهم نهرو وغاندى (١) اذ استطاع المسلمون ان يتقووا وان يدعوا لفكرتهم الجديدة ؛ ومبدئهم الجديد لا فى داخل الهند فحسب بل فى العالم الاسلامى اجمع اذ انهم اختطوا سياسة جديدة ؛ سياسة التعاطف والمشاركة الاسلامية الخارجية، فطالبوا بالا يحارب المسلمون فى ميادين القتال المتحالفة دولا اسلامية ، وازروا العرب فى قضية فلسطين وعروبتها، وطالبوا بان تبسط العدالة سلطانها على المسلمين فى الولايات الهندوسية والعمل على التخلص من دستور سنة ١٩٣٥ .

وعلى أساس القرار الذى اتخذته الرابطة رفضت مقترحات سير ستافورد كريس لانها لم تشمل الاعتراف بانشاء دولة باكستان .

وبعد رفض المقترحات من فريقى المؤتمر والرابطة حاول احد أعضاء المؤتمر وهو راجا جو بلشا ى الرئيس السابق للمؤتمر، ورئيس وزراء مدراس فض النزاع بين الفريقين اذ ان قوات اليابان المظفرة باتت على حدود الهند فتقدم باقتراحين الى المؤتمر فى اجتماع له فى مايو سنة ١٩٤٢ لبحثهما ، والاخذ باحدهما، اما اولهما فالتسليم بمبدأ الباكستان واما الاخر فتكوين اتحاد بين الرابطة والمؤتمر فى مدراس، فكان جواب المؤتمر على الاقتراحين. ان أى مشروع يهدد وحدة الهند بمنح الحرية لاية حكومة فيها أو السماح لها بالانفصال عن الوحدة أو الاتحاد سيضر ضررا بالغا باطيب المنافع التى تعود على سكان الولايات الهندية بل بالقطر كوحدة لاتتجزأ ، وان المؤتمر لا يوافق على النظر فى أى اقتراح من هذا النوع .

وعلى أثر ذلك استقال راجا جوبلشارى من المؤتمر ، وظل الامر كذلك حتى افرج عن غاندى سنة ١٩٤٤ . فاقنعه بان يبحث مع جناح « اسس النزاع بين المؤتمر الوطنى الهندى ومسلمى الرابطة » .

وفضا لهذا النزاع تقوم المباحثات على اساس اتحاد « الرابطة » و « المؤتمر » فى حكومة انتقالية، وبعد ان تضع الحرب اوزارها يجرى استفتاء فى الولايات ذات الاغلبية المسلمة على ان يسمح لها بتكوين حكومة ذاتية اذا اسفر الاستفتاء عن رغبتها فى ذلك .

ولكن المحادثات التى اجريت بين غاندى وجناح فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ وظلت ثمانية عشر يوما لم يكتب لها النجاح ؛ فان غاندى لم يقبل المبدأ الذى تعمل له

(١) حتى يتسنى للرابطة العمل على التجزئة وهى سياسة المستعمر « فرق تسد » .

الرابطة مبدأ تكوين أمة أسلامية فقد صرح بانه فيما يتصور «فان حل (لاهور) الذى قررته (الرابطة) غير عملى لانه يهدد كيان الهند ».

ثم أضاف : أن استقلال الهند يجب ان يحصل عليه اولا فان شاءت الولايات الاسلامية ان تقيم لها حكومة منفصلة فحينئذ يرتب الامر فيما يخص بالدفاع ، والتجارة ، والمواصلات، والشئون الخارجية وما اليها .

ومن المفيد فى هذا البحث ان نورد وجهتى النظر لكلا الزعيمين حتى تكون على بينة من أمرهما ، ففى مساء ١٥ ستمبر كتب غاندى الى جناح يقول :

لقد احتججت في مباحثاتنا بان الهند تتكون من أمتين - الهندوس والمسلمين وان كلا له أراضيه الخاصة به ؛ ولكن لاأجد لرأيك سندا من التاريخ . . . فلو كانت الهند أمة قبل دخول الاسلام فينبغى ان تظل كذلك على الرغم من تغير معتقد كثير من ابنائها .

أنك لا تدعى وجود امة منفصلة بحق الفتح بل ترد ذلك الى قبول الاسلام ؛ فهل تصبح الامتان واحدة لو قبلت الهند باجمعها الدخول فى الاسلام ؟»

فاجابه جناح :

«أننا نذهب الى ان المسلمين والهندوس أمتان فى ضوء التعريف المعترف به للامة فنحن امة مكونة من مائة مليون نسمة ، لها ثقافتها الخاصة بها ؛ وحضارتها ؛ ولغتها وادابها . فنها وهندستها ، اعلامها ومصطلحاتها ؛ شعورها بقيمها وانتسابها ، شريعتها ودستورها الاخلاقى ؛ عاداتها وتاريخها ، ثراتها وماضيها ؛ ميولها ومطامحها .

وفى اوجز عبارة . ان لنا اسلوبنا الواضح فى الحياة ورأينا ايضا عن الحياة ؛ فكل هذه الاسباب التى لها سند من القانون الدولى تؤكد حقنا فى أن نكون امة ».

هذان الرأيان لايمكن ان يلتقيا ؛ وهذا ماكان على الرغم مما بذله الزعيمان من جهود مضنية ، وما تحليا به من صبر وصراحة ؛ وقد استطاع جناح ان يوجز رأيه فى الدولة الاسلامية المقترحة فى حديث له بعد مع مراسل جريدة (لندن نيوس كرونيكال ».

ان الطريق العملى الوحيد لحل الخلافات بين الهندوس والمسلمين انما يتمثل فى انقسامهما الى أمتين :

«الهندوستان - وباكستان » على ان تضم الدولة الجديدة مقاطعة الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والبنجاب والبنغال وأسام .

وعلى كل من الدولتين ان تعامل الاقلية فيها ؛ سواء المسلمة او البرهمية معاملتها للاكثرية .

ونحن على استعداد لنقدم ضمانا لتأمين الاقلية فى ولاياتنا عشرين مليونا من المسلمين اذا هم قبلوا تقديم مثل هذا الضمان .

الحقيقة أن الهندوس يريدون نوعا من الاتفاق الذى يمنحهم مزيدا من السلطان .

انهم لايريدون ان يهيئوا انفسهم لقبول استقلالنا التام » .

ثم انهزم الالمان فى ربيع سنة ١٩٤٥ فاطلق سراح الهيئة التنفيذية لحزب المؤتمر ودعا اللورد ويفل نائب الملك فى الهند ممثلى «الرابطة» و«المؤتمر» للاجتماع به فى (سملا) لحل القضية الهندية ؛ واقترح ان يحول المجلس الاعلى جمعية فى الحال الى مجلس هندى خالص فيما عدا نائب الملك والحاكم العام ؛ وأن يكون هذا المجلس بمثابة حكومة انتقالية الى ان تنتهى حرب اليابان والى ان تلتقى وجهات النظر بخصوص نظام الحكم فى الهند .

وطلب الى كل منهما ان يرشح ممثليه فى هذا المجلس .

ولعل السبب المباشر فى اخفاق هذا الاقتراح اصرار جناح على ان الرابطة لها وحدها حق تعيين ممثليها فى هذا المجلس من غير مراجعة وعدم موافقة المؤتمر على ذلك اذان فى المؤتمر اعضاء مسلمين ينبغى ان يمثلوا فى المجلس وكذلك نائب الملك ، الذى اراد ان يضم مسلما الى المجلس يمثل الحزب الاتحادى فى البنجاب .

واخيرا قفزت الى الحكم حكومة العمال فى انجلترا بعد أن سلمت اليابان فدعت الى اجراء انتخابات جديدة فى الهند سواء فى المجالس الاقليمية و المركزية أ واعلنت فى نفس الوقت عن رغبتها فى أن تجتمع هيئة وضع الدستور بعد الانتهاء من الانتخابات مباشرة .

واذن فلابد من أجراء محادثات مع الولايات الهندية لتحديد وضعها فى الدستور الجديد .

وانتهت الانتخابات بفوز ساحق « للرابطة » اذ أحرزت كل القاعد المخصصة للمسلمين فى المجلس المركزى و٤٤٦ مقعدا من ٤٩٥ فى المجالس الاقليمية، وكذلك فوز المؤتمر فى دوائر الهندوس .

وكانت الحكومة البريطانية قد عقدت العزم على منح الهند استقلالها واصبحت «الرابطة» و« المؤتمر » وارثى السلطة فى الهند .

وفى مارس ١٩٤٦ ارسلت الحكومة البريطانية بعثة مكونة من اللورد لورينس وسير ستافورد كربس ومستر الكسندر لتعاون نائب الملك فى ايجاد حل لنظام الحكم الذى سيقام فى الهند ووضع هيكل للدستور الجديد وانشاء مجلس اعلى مؤيد من الاحزاب الهندية .

وبعد مباحثات لم يصل حزبا « المؤتمر » و« الرابطة » الى أتفاق فوضعت البعثة تقريرها فى شهر مايو وضمنته مقترحاتها التى تقضى بانشاء جمعية تاسيسية (لاتحاد انهند) تنتخبها المجالس الاقليمية بنسبة ممثل واحد لكل مليون من السكان على ان يكون لكل طائفة دينية انتخابات خاصة بها وان يكون للاتحاد

السلطة في الشئون الخارجية والدفاع والمواصلات وبعد الدورة البرلمانية التمهيدية التى تعقدها الجمعية التأسيسية ينقسم النواب فى اجتماعاتهم الى ثلاثة اقسام

أ - القسم الاول يتكون من نواب مدراس، وبمباى والمقاطعات المتحدة، وبيهار، واوريسا والمقاطعات الوسطى .

ب - والقسم الثانى يتألف من نواب البنجاب، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية والسند .

ج - والقسم الثالث يتألف من نواب بنغال وأسام .

ويلاحظ أن القسمين الاخرين فيهما اغلبية اسلامية .

اضف الى ذلك مقترحات اخرى رأتها الرابطة خطوة موفقة نحو تحقيق اهدافها فقررت فى ٦ يونيو سنة ١٩٤٦ قبولها والاشتراك فى الحكومة التى يعينها الحاكم العام من وزراء يمثلون احزاب الاغلبية وقد قبلت هذا المقترح على امل ان يؤدى ذلك فى المستقبل القريب الى تأسيس دولة باكستان حتى ان الزعيم محمد على جناح وصفها «بانها تؤدى الى نصف الطريق الى مسكن الباكستان» وقد حذر جناح الحكومة البريطانية والمؤتمر من أنهم ان لم يوافقوا على باكستان فسيعمل المسلمون على اقامتها على الرغم من الجميع وعلى الرغم من جميع الحلول المقترحة فانها لم تؤد الى اتفاق سواء من جانب المؤتمر أو من جانب الرابطة حتى باتت المشكلة اعقد من ذنب الضب كما يقولون وتعذر على بريطانيا حلها وباتت الهند على شفا حرب اهلية طاحنة ففى ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٦ وقف جناح يقول فى اجتماع الرابطة فى بمباى : -

«انى أقول اليوم ان مسلمى الهند لم تبلغ بهم الاستثارة الحد الذى بلغت الان - لقد تعلمنا درسا قاسيا بل أقسى درس سنراه فى المستقبل ؛ ولم يعد هناك امل فى التفاهم فدعونا نعمل» .

وقد أنتهى الاجتماع بسحب الرابطة ما سبق ان وافقت عليه من مقترحات مجلس البعثة وعولت على ان تقوم بعمل ايجابى لاقامة دولة الباكستان وحددت «الرابطة» يوم ١٦ أغسطس لتوضح موقفها من الرأى العام حيال رفضها لمقترحات البعثة وتغيير سياستها .

وكان أن دعا ويفل نائب الملك نهرو فى ٨ أغسطس ليؤلف الحكومة المؤقتة من غير اشراك الرابطة فيها فقبل نهرو تأليفها وتقابل نهرو وجناح وتباحثا بعض الوقت ولكنهما كعادتهما لم ينتهيا الى رأى .

وفى ٤ أغسطس اذاع نائب الملك اسماء اعضاء الحكومة المؤقتة وجعل نهرو نائب رئيسها، وفى مساء هذا اليوم وجه نائب الملك - فى اغفال لذكر جناح أو «الرابطة» - نداء الى مسلمى الهند يطلب منهم التعاون مع الحكومة فاجابه جناح فى اليوم التالى فى خطبة له فى بمباى بان مافعلته الحكومة البريطانية تضليل للرأى العام والصحافة وتشويه للحقائق وان عمل نائب الملك ما هو الا خرق لتصريح اغسطس سنة ١٩٤٠ الصادر من الحكومة البريطانية .

وفى ٢ سبتمبر عندما باشرت السلطة الحكومة المؤقتة أعلن جناح الحداد العام وطلب الى كل مسلم ان يرفع على مسكنه أو متجره علما اسود كاحتجاج صامت على تولى الهندوس السلطة فى البلاد ، هذه الملايين من الاعلام السود التى ترفرف فى طول الهند وعرضها اكدت الخلاف المستحكم بين الهندوس وجيرانهم المسلمين وأثارت ما بين الفريقين من احقاد ومحن وافضت الى كثير من المذابح .

وفى أكتوبر تباحث جناح مع اللورد ويفل ونجحت المباحثات بدخول خمسة من أعضاء الرابطة الحكومية المؤقتة على رأسهم لياقت على خان ولكن هذا الحل كان مؤقتا اذ لم تصل الحكومة المشكلة الى ارضاء الطرفين ورأى جناح ان نائب الملك يقع تحت سيطرة حزب المؤتمر فقرر الا تشترك الرابطة فى المجلس الذى سيقوم بوضع الدستور ، وفى هذه الايام الاخيرة من الحكم البريطاني وقعت احداث خطيرة بين المسلمين والهندوس فاريقت دماء وازهقت ارواح وبدأت الحرب الاهلية التى لوح بها جناح . ففى ١٦ أغسطس وقع فى كلكتا قتال عنيف بين المسلمين والهندوس بخناجرهم الماضية وراح ضحية هذا العدوان مالا يقل عن أربعة الاف من الهندوس والمسلمين فقد أنتاب الفريقان نوبة هسترية واخذوا فى التذبيح والتقتيل من غير عاطفة أو أنسانية فكان من الضحايا أطفال ونساء وشيوخ وكذلك فى (بيهار) فيما بين اكتوبر ونوفمبر حيث ذهب ضحية المذابح التى دبرها الهندوس ما يقرب من ثمانية الاف مسلم وفى الاقاليم المتحدة مثلت بجثث القتلى وارتكبت بعض الفضائع .

هذه الحوادث المفزعة ايقضت المضاجع فى لندن فارسل رئيس الوزراء الى نائب الملك يطلب اليه الحضور فى ٣ ديسمبر مع جناح ولياقت على خان ونهرو وسارد ار بلدوف سنغ ممثل السيخ ليعملوا على الخروج من هذه الازمة الضارية . فطار نائب الملك والزعماء الى لندن ولكنهم لم يتفقوا على رأى بعد اجتماعات دامت ثلاثة أيام ، ثم أعلن مستر أتلى ان حكومته لن تتخلى عن الهند الا اذا مثلث الرابطة فى وضع الدستور الجديد .

وفى ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٧ اعلن مستر أتلى فى مجلس العموم البريطانى ان بريطانيا ستمنح الهند استقلالها التام قبل يونيو سنة ١٩٤٨ م .

وأعلن فى الوقت نفسه ان اللورد منتباتن اختير ليكون اخر نائب للملك فى الهند وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٧ وصل نائب الملك الى الهند بهيئته ومستشاريه ؛ وفى ١٤ ابريل تجددت الفتن وقامت المذابح الرهيبة وبخاصة فى البنجاب حيث يعيش الهندوس والسيخ والمسلمون جنبا الى جنب وكذلك فى مقاطعة الحدود الغربية الشمالية .

ولم يجد نفعا توقيع « ميثاق السلام » من المهاتما غاندى وجناح فى تهدئة الفتنة فأخذ غاندى يطوف القرى والولايات داعيا الى المحبة والسلام .

ولكـن ريـح الفتنة لـم يسكن الا بعد ان قبل حزب المؤتمر « مشروع التقسيم » ولكنه اصر على تقسيم البنغال والبنجاب ومقاطعـة سيالكوت ورأى حزب الرابطـة ان يقضى على هذا النزاع ويحسمه بعد ان طال امده فوافق عـلى تقسيـم هـذه المقاطعـات بـالرغـم مـن أن هـذا التقسيم يتعارض مع أماني المسلمين ومطالبهم وبموافقة الطرفين عـلى مشروع التقسيـم وموافقـة البرلمـان البريطانـى فـى ١٨ يـوليو ١٩٤٧ عـلى تقسيـم الامبراطوريـة الهندية الى دولتيـن مستقلتيـن تحققت فكرة مسلمى الهند بقيام حكـومة وطنيـة اسـلاميـة فـى الباكستان .

وكـان أول حاكـم لهـا الزعيـم الذى افنـى حياتـه فـى النضال مـن اجلها القائـد الاعظـم جناح وقـد اعلن فـى هـذه المناسبة التـاريخيـة «ان تأسيس البـاكستـان وهـو ما جاهـدنـا مـن أجلـه طيلـة السنوات العشـر الاخيرة اصبـح اليوم بفضـل الله حقيقـة واقعـة ؛ وقـد كـان يحذونا فـى كل ذلـك أقـامة دولة نستطيـع فيها ان نعيش وان نكيف حياتنـا وفق مواهبنا وثقافتنـا وحيث يمكن لتعاليم الاسـلام فـى العـدالـة الاجتماعيـة ان تجـد لهـا مكـانـا وان تسود بيننا» .

عواقب التقسيم

أصبحـت دولـة باكستان حقيقـة واقعـة واتخـذت «كراتشى» عاصمـة لها تلك المدينـة الرئيسيـة فـى أقليم السنـد وذلـك الميناء القائـم فـى باكستان الغربية .
لقد اقيمت مراسم الاحتفال بانشاء هذه الدولة التى تضم اكثـر مـن ثمانيـن مليونـا مـن المسلمين واخذت الجموع المحتشدة تهتف للدولة الناشئة. ولكن اسورا مقلقة كانت تعمل على تعكيـر صفـو الاحتفـالات المقامة هنا وهناك ؛ أنها العقبات التـى وضعـت فـى طـريـق الدولـة التـى ظفـرت بوجودها عـلى الرغـم مـن شقيقتها الكبرى دولة «الهند» وآيـة الايـــــات عـلى ذلـك انهـا ظلـــــت تسـوف فى دفـع ما قدر للباكستان من نصيب فى مال الهند ويعادل ١٧،٥ ٪ من الاحتياطي . ولم تشأ ان تدفـع هـذا المبلغ وهـو اربعون مليونـا مـن الجنيهات الا بعـد ان اخـذ غاندى فـى الصـوم ليضـع حدا للخـلاف الناشـب بيـن الاختيـن ، وكـان عـلى الدولـة الناشئـة ان تكـون لهـا جيشـا واسطـولا وان تنظم ادارتهـا . كل هـذه المشكـلات قامت فـى وجـه الدولة الجديدة ولكـن اعظم هذه المشكلات تجلت فيما حدث فى «البنجاب» و«كشمير»
ولنستطيـــع ان نتفهـــم الحـوادث الرهيبـة التى جرت فـى البنجاب فى خريف سنة ١٩٤٧ ينبغى ان نرجع الى الوراء لنلـم بتـاريـــخ هـــذه الولايـة التـــى يقطنـــها عدد كبير مـن «السيخ» وهـم فرقـة مـن البرهميـة خرجوا عـلى تعـاليمها بزعـامـة «جوجو ناكاكا» الـذى نشر مـذهبه سنة ١٤٦٩ ويقوم على تطهيـر البرهمية من عبادة الاوثان وتعـدد الالهـة والتحرر مـن النظـام الطبقـى أو بالاحرى تقـريـب البرهمية مـن الاسـلام فهـو مذهـب وسط بيـن الديانتيـن .

وفـى عهد السلاطين المغول حورب «السيخ» حربا عنيفـة لا هوادة فيها حتـى خضعـوا لهؤلاء السلاطيـن

وان لم يكن خضوعا تاما وما أن ضعفت سيطرة خلفاء المغول حتى انتهز (السيخ) وهم قوم مشهورون بالشجاعة والباس الفرصة السانحة واعلنوا استقلالهم في ولايتي لاهور و«البنجاب» سنة ١٧٦٤ م .

وفي سنة ١٨٤٩ م غلب السيخ على أمرهم في البنجاب من الشركة الهندية الانجليزية الشرقية وان يكونوا قد استردوا فيما بعد كبريائهم كحكام مستقلين واحتفظوا بسماتهم العسكرية في الجيش الهندي .

وفي سنة ١٩٤٧ م تجمع حشد هائل منهم يقرب من أربعة ملايين وأخذ يثير الاضطربات بين الاقاليم الشرقية والغربية يحدوهم الى ذلك المعارك الطويلة الماضية التي وقعت بينهم وبين المسلمين ايام سلطان المغول، ولان قيام «باكستان» سيسلبهم اخصب اراضيهم ويخضد شوكتهم بتشتيت قواهم بين حكومتين .

وفي مارس سنة ١٩٤٧ استقالت وزارة البنجاب الاتحادية برئاسة خضر حياة خان تحت ضغط الاضطراب الشديد الذي قام به مسلمو العصبة احتجاجا على الاتحاد الذي قام بين السيخ والهندوس وبعض المسلمين من غير «الرابطة» .

وقد ادت هذه الحال الخطيرة الى ان يقبض حاكم الاقليم على زمام السلطات وهو سير افان جنيكز وتبع هذا صدام عنيف بين «السيخ» ومسلمي «الرابطة» حيث ردد الاولوف هتافا مدويا «الموت للباكستان» وعقد الاخرون العزم على ادارة دفة الحكم في البلاد .

وانتهى الامر بوقوع الفتنة الطائفيةالجائحة وبخاصة في اقليم (روالبندى) حيث عاني الهندوس والسيخ اكثرما عاني المسلمون .

وما ان أعلن في يونيو تقسيم البنجاب حتى نادى زعماء (السيخ) وعلى رأسهم السيد (تاراشنغ) بالتاهب للانتقام. وأخذ «السيخ» بتحالفهم مع الهندوس في البنجاب الشرقية يذبحون جيرانهم المسلمين ويخرجونهم من ديارهم، اما في البنجاب الغربية فقد خرجت عصاباتهم الى الحدود الهندية واخذت تشن حرب ابادة وتدمير .

بل أنه اكتشفت مؤامرة لاغتيال جناح ابلغت الى نائب الملك . . .

وكلما اقترب موعد قيام دولة الباكستان زادت النار اشتعالا والفتنة هياجا واللهيب امتدادا حتى باتت مدن البنجاب «كلاهور» و «امرتسار» « وشيخ كبارا » طعمة لها .

وفي القرى تعرضت نقطة الحراسة للنهب والحرق والذبح والغصب وخطفت الوف من النساء مسلمات وهندوسيات ومسيحيات ولم يعثر عليهن احد من اقاربهن .

وأمام هذا الحال المدمرة عجزت قوات الحدود المسلحة عن اقرار الامن واستتباب السلام

ولكن فما كان من الاقليات الا أن اخذت فى الرحيل الى الحدود حيث تعرضت فى سراها لرجال العصابات المنبثين هنا وهناك فجزر منها الكثير كما تجزر الماشية فى غير رحمة أو شفقة ولم ينج من هذا التقتيل من سافر بالقطار .

وانتهى الامر بان اتفقت حكومتا الهند وباكستان - وقفا لهذه المجزرة البشرية - على ان تتعاونا فى ان يخلى المسلمون اخلاء تاما البنجاب الشرقية وغير المسلمين البنجاب الغربية وشكلت فى (لاهور) هيئة اتصال حربية للاشراف على تنفيذ هذا الاخلاء زودت بالمخافر التى تقوم على حراسة خيام اللاجئين وقطرهم وسياراتهم وطرقهم .

وعلى الرغم من هده الاحتياطات الشديدة فقد ظلت الاضطرابات سائدة فى البنجاب ؛ وقامت المذابح الوحشية فى (دلهى) نفسها حتى اضطر مئة الف مسلم الى الالتجاء الى قلعة قديمة مطالبين بترحيلهم الى باكستان .

وأشد رهبة من كل اولائك ماحدث للمسلمين فى البنجاب الشرقية من التقتيل والتشريد فلم ينج منهم الا النذر اليسير تمكن من الوصول الى باكستان .

وقد قدرت حكومة باكستان عدد اللاجئين اليها - بما فى ذلك لاجئى كشمير - بما يقرب من ستة ملايين ونصف منهم ٥،٢٠٠،٠٠٠ قدم من البنجاب الشرقية و٣٦٠،٠٠٠ من منطقة «دلهى» والباقون من شمال الهند .

وقدرت المهاجرين من باكستان الغربية بما يقرب من خمسة ملايين ونصف من الهندوس والسيخ واذن فالزيادة فى سكان الباكستان قد بلغت مليون نسمة .

وقد نجم اضطراب اقتصادى عظيم من حركة تبادل السكان بين المسلمين والهندوس . ففى قرى البنجاب الغربية مثلا اختفى نظام التسليف الزراعى برحيل مموليه من الهندوس وتعذر على الفلاحين بيع حاصلاتهم الزراعية فى الاسواق لمغادرة الهندوس لها .

وفى المدن أغلقت المصارف ابوابها اذ لم يعد بها كتبه أو حاسبون فاكثرهم من الهندوس .

هذا الاضطراب دفع جناح ولياقت على خان الى السفر الى «لاهور» عاصمة البنجاب الغربية لاتخاذ اجراءات سريعة حازمة وانشاء وزارة للاجئين تشرف على عمل حكومة الاقليم فى هذا الصدد وبذل الجهود الجبارة لايواء اللاجئين بمجرد وصولهم ومدهم بالغذاء والكساء وتطوع الباكستانيات المحجبات من الطبقة المتوسطة لتمريض الجرحى والمرضى منهم .

والعمل السريع على الحاق المزارعين منهم بالارض التى اخلاها الهندوس والسيخ حتى لا ينضب معين الحاصلات الزراعية وتجتاح البلاد مجاعة مروعة .

وقد أظهر الشعب الباكستانى فى هذه المحنة من الاتحاد والتعاون ما جعله جديرا بالبقاء .

ومن عواقب التقسيم الخلاف على الحدود فى المناطق التى قسمت كالبنجاب والبنغال وقد كان عبئا ثقيلا على لجان الحدود المشكلة لما بين ممثلى الجانبين من تباين شديد فى وجهات النظر .

وقد أنتهت هذه اللجان من أحكامها وارتضاها الفريقان فيما عدا ولايات جوناجادا وكشمير وحيدر اباد فقد نشب عليها خلاف حاد بينهما .

فالولاية الاولى اغلبية السكان فيها ٨٠٠،٠٠٠ نسمة هندوس ولكن حاكمها المسلم قبل الانضمام الى الباكستان فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ م مما اثار عليه جماعة من رعاياه اعلنوا عليه الانتقاض واستنجدوا بالجيش الهندى وطلبوا اليه دخول الولاية وقد عقدت الهند استفتاء لشعب هذه الولاية فاذا ٩٠٪ يصوتون فى صالح الانضمام الى الهند وكان من أثر ذلك ان احتجت باكستان على هذا العمل لدى مجلس الامن .

أما كشمير فالامر فيها على خلاف جوناجادا فسكانها يقربون من اربعة ملايين نسمة ثلاثة منهم مسلمون ولكن حاكمها هندوسى وقد ثارت الاغلبية المسلمة فى وجه الحاكم ليمكنها من التعبير عن رأيها فى الانضمام الى باكستان واستعانت عليه برجال القبائل المسلمين فاضطر الى الهرب وعقد ميثاقا سريا بالانضمام الى الهند .

هذا الموقف العجيب من الحاكم الهندوسى ادى الى وجود نزاع محلى فى كشمير بين قوات الهند وباكستان.
وكشمير لها اهميتها بالنسبة لباكستان فثلاثة انهار عظيمة من انهار البنجاب تنبع من كشمير .

الا أن حدود الولاية تقع على بضعة أميال من الاتحاد السوفييتى وتتاخم التبت والصين فهى حيوية بالنسبة الىباكستان من ناحية استقرارها الاقتصادى والسياسى فليس من العجيب ان تجد جانبا كبيرا من سياستها الدفاعية والخارجية بدور حول النزاع على كشمير .
وحيدر اباد ثالثة الولايات التي يقوم عليها النزاع سكانها يبلغون ستة عشر مليونا منهم مليونا مسلما .

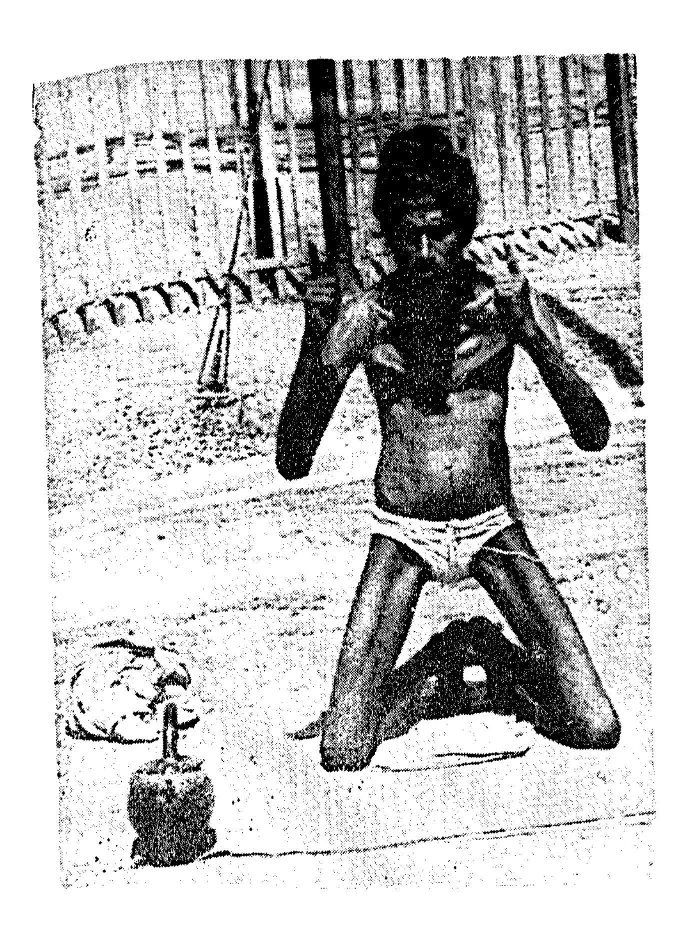
وهذه الولاية تقع بين المناطق الهندية الصرفة مثل « بمباى » و « مدراس » وقد حال النظام الابقاء على استقلالها ولكنه لم يفلح الا فى تاجيل انضمامه الى الهند عاما اخر وقبل نهايته احتلت القوات الهندية الولاية بعد ان هزمت جيشها واعلنت ضمها الى الهند .

وعقب ذلك انتشرت اشاعات فى دولة باكستان بان مذابح ستحدث فى حيدر اباد ، واذا الجماهير فى كراتشى تحيط بمنزل رئيس الحكومة وتجبره على ان يتخذ اجراء وازاء هذا الضغط رفع الامر الى مجلس الامن

خريطة بلاد الهند



امرأة بسوق بلاد درجلين تبيع الفواكه وهى ترتدى رداء مشابها للرداء المستعمل فى الصحراء الليبية



احد الفقراء (وهم كثيرون) يقوم بعملية صعبة جدا وهى رشف الصدر وادخال اضلعه حتى الظهر

ملاحظة - ان التعليقين الذين جاءا فى صفحة ٩٧ و ١٠٣ وكلاهما تحت رقم (١) هما من وضع صاحب المشاهدات


الاحتفال بالعيد الثلاثين
لشركة
١٩٣٠
١٩٦٠
1930-1960
زراعة
30th ANNIVERSARY
OF THE ESTABLISHMENT
FIGLI DI
B.
MISCERGHI